

البيت في الحضارة الإسلامية

من المقالات المترجمة لدائرة معارف العالم الإسلامي

ترجمة أ.د. دلال

عبّاس

البيت [المنزل]، بناءً سكني يعيش فيه شخصٌ أو أكثر، لا سيّما أعضاء العائلة الواحدة.

تتطرق هذه المقالة لدراسة لفظة البيت ومرادفاتها في اللّغات العربيّة والفارسيّة والتركيّة، ومعطيات المصادر الإسلاميّة المتعلّقة بمفهومها، ومن ثمّ أنواع البيوت في دول العالم الإسلاميّ المختلفة. حاولنا في تنظيم علامات المطابقة في الأقاليم الجغرافيّة، أخذَ التشابه الإقليميّ في الاعتبار، وكذلك العلاقات والصلات الثقافيّة بين الدول الإسلاميّة، فوضعنا الدول التي تربط بينها مثل هذه العلاقات، وتبادلت التأثير والتأثير في كينيّة بناء البيوت، إلى جانب بعضها. عالّجنا في كلّ قسم من أقسام هذه المقالة قدر الإمكان، تاريخ السكن، وعناصر البناء، وأنماط البناء، والمعايير البيئيّة. تتضمّن هذه المقالة:

1) المباحث النظرية

أ) الألفاظ

ب) الجوانب الدينيّة والثقافيّة

2) البيت في الدول الإسلاميّة

أ) إيران

ب) غربيّ آسيا

1- العراق

2- شبه الجزيرة العربيّة واليمن

3- دول الخليج الفارسيّ

4- بلاد الشام

ج) آسيا الوسطى والصين

1- تركيا والقوقاز

2- آسيا الوسطى والصين

د) الجنوب وجنوب شرقيّ آسيا

1- أفغانستان

2- شبه القارّة الهنديّة

3- ماليزيا وأندونيسيا

هـ) أفريقيا

1- البلدان العربيّة في شماليّ أفريقيا

2- البلدان الإسلاميّة غير العربيّة

1) المباحث النظرية

1) الألفاظ، مرادف البيت بالفارسية: خانه، ومرادف خانه في الفارسية القديمة آهنة (āhana)، بمعنى المكان، والموضع، ومشتق من الجذر (hān)، وهو في البهلوية بمعنى اسم الإشارة البعيد، ومرادفه في الفارسية الحديثة "آن" [ذاك]. لكن حين يُستخدم اسمًا مركبًا من هان ومان (hānimān) يُصبح مصطلحًا بمعنى البيت [خانه] (← نيبرغ¹، ج 2، ص 93). ولهذه اللفظة ولفظة ستان (stāna-) في الفارسية القديمة والأفستائية المعنى نفسه كليًا. ستان مشتقة من اللفظة الهندو-إيرانية ستهان (sthāna-) بمعنى الموضع الثابت والمحدد، وقد بقيت في الأفستائية والفارسية القديمة بصورة -stā، بمعنى الاستقرار والتوقف (← كنت²، ص 210؛ بارتولوماي³، الفقرة 1605؛ بورداود، ج 1، ص 87؛ ترنر⁴، ص 793، رقم 13753). حافظت ستهان في السنسكريتية على صورتها الهندو-إيرانية، واستخدمت بمعنى الإقامة والاستقرار الدائم في مكان ما، وأيضًا بمعنى البيت والغرفة (مونير-ويليامز⁵، ص 1263). تُستخدم هذه اللفظة حاليًا في بعض اللغات الدردية مثل البشائية والتيراوية (← الدردية*، اللغات) بالصورة المعدلة thān وفي الكشميرية بصورة thāna، بمعنى مكان السكن والبيت (ترنر، م.ن، ص.ن). ومن هذا الجذر نفسه اشتقت لفظة hān في الأردية بمعنى "إلى البيت" و"في البيت" (← بلتس⁶، مادة "هان"؛ أيضًا ← معجم اللغة الأردية، مج 21، ص 594). مرادفات "خانه" في اللغة الأردية كذلك، اللفظتان گهر (ghar) وحويلي (hevayli)، والكلمتان العربيتان بيت ودار (فيروز الدين، مواد هذه الألفاظ). يعتقد داعي الإسلام (مادة "خانه") أن المقطع اللفظي الأول [البادئة] "ست" (st) في الفارسية القديمة والأفستائية استُبدل بها الصامت "خ" (x) في البهلوية والفارسية الحديثة. اللفظة "آستانه" في الفارسية القديمة (-ā-stānā-) مركبة من جزأين: البادئة -a والجذر -stāna بمعنى القصر وبلاط القصر الحسن. الصورة المختصرة لهذه اللفظة سيتان (-sitān)، دخلت الفارسية الوسطى الغربية بصورة (-istān)، لاحقة زمنية ومكانية، على سبيل المثال بنستان (bann-istan)، الفارسية الوسطى الترفانية بمعنى السجن (زندان). لفظة تابستان (tab-istān) [فصل الصيف] في الفارسية الوسطى مثال على

¹-Nyberg

²-Kent

³-Bartholomae

⁴-turner

⁵-monier- williams

⁶-Platts

الاستخدام الزماني لهذه اللاحقة (← هُرن⁷، ص 7 رقم 25، ص 157، رقم 710؛ أبو القاسمي، ص 324-325). هذه اللاحقة في الفارسية الحديثة لاحقة دخلت في صياغة أسماء أمكنة عديدة (← حسن دوست، مادة "آستانه"؛ الهاجري، ص 158-160).

في البهلوية، كانت الألفاظ خان (xān) و خانك/خانگ (xānāk/xanag) و خانكك (xānakik) بمعنى البيت والقصر. في أكثر المعاجم البهلوية، توجد مادّتان منفصلتان لكلمة خان: إحداهما بمعنى البيت، ومحطة القوافل، والأخرى بمعنى النبع ورأس النبع، والبئر والساقية (على سبيل المثال ← مكنزي⁸، ص 93-94؛ فره وشي، 1967م/1386هـ، ص 483). عدّ هُرن (ص 103، رقم 465) المادّتين كليهما مشتقتين من الجذر الهندو إيراني القديم (khan-، بمعنى الحفر، والنقب).

في اللغة البهلوية، اشتقت لفظة خانگ (xānag) من المادّة الأولى، ولفظة خانگ (xānig)، بمعنى النبع ورأس النبع (من المادّة الثانية) (← مكنزي، م.ن، ص.ن). في البهلوية استخدمت اللفظة المركبة بون خان (bun-xan) بمعنى رأس النبع، واللفظة المركبة بون كدگ (bun-kadag)، بمعنى البيت (← م.ن، ص 20). في اللغة البارتية أيضاً لفظتا خانگ و خانسار ذاتا الجذر المشترك بمعنى النبع والبئر، أمّا مرادف لفظة خانه [البيت] في البارتية فكلمة خان (بويس⁹، ص 160؛ رضائي باغ بيدي، معجم عسكر البهرامي، ص 208). في الفارسية المعاصرة، فضلاً عن أن لفظة خانه، كلفظة مستقلة ذات معانٍ متعددة، أوجدت، كلاحقة في صياغة أسماء الأمكنة، العديد من الأسماء المركبة مثل كتابخانه [المكتبة]، وقهوه خانه [المقهى]، وکارخانه [المعمل] (لمزيد من الاطلاع ← محمودي البختياري، ص 183-190). اللاحقة المكانية القليلة الاستعمال "خن"، المخففة من اللاحقة خانه، استخدمت في كلمات عديدة مثل گلخن [الأتون، موقد نار الحمام]، وبادخن [الكوة، منفذ الهواء]، وفلاخن [المقلاع] (← الهاجري، ص 136).

في اللغة الأفستائية، كانت الألفاظ نمان (nmāna) و دیمان (demāna)، وخشي (xšaya)، وشين (šayana)، وميث (maθa)، ومثنيا (maeθanyā)، وهست (hasta)، وهيثا (hiθa)، وشيتي (šiti)، وكَت (kata)، تُستخدم كلّها بمعنى البيت، ومكان الإقامة، والقصر، ومكان الجلوس (← البهرامي، أمكنة متعددة). كما استخدم عددٌ من الألفاظ المذكورة أعلاه، في أسماء مركبة، مع ألفاظ أخرى (على سبيل المثال ← م.ن، الدفتر 1، ص

11، الدفتر 2، ص 836-837، 1091، الدفتر 3، ص 1226؛ أيضًا ←
الأفستا [الأبستاق]، ص 576-577: garō denāna كرودمان = الجنة).
هذه المجموعة الواسعة من مرادفات لفظة خانة [البيت]، والأسماء المركبة
منها، شاهدٌ على عمق الاهتمام بالبيت طيلة تاريخ إيران (لمزيد من الاطلاع
← براتي، ص 24-55). إحدى الكلمات المرادفة لكلمة خانة في اللغة
الأفستائية لفظة نمانَ (nmāna، في الشكل المتأخر من اللغة الأفستائية)،
بمعنى الموضع، والبيت، ومكان الاستحمام، ومكان الراحة العائلي، وبقيت في
البهلوية بصورة mān (البهرامي، الدفتر 2، ص 759، 815-816، 835،
كنت، ص 53، 202)، وفي الفارسية المعاصرة دخلت تركيبات مثل خان
ومان/خانمان ودودمنان واللفظتان بمعنى العائلة (دهخدا، موادّ هذه الألفاظ).
في اللغة البهلوية استُخدمت الألفاظ كدگ (kadag، في الفارسية
المعاصرة اللاحقة كده)، ومان، وسراي (sray) وخان/خانگ (xān/xanag)
كلّها للتعبير عن المفهوم العام للفظه خانة [البيت] (← مكنزي، ص 48، 53،
93-94). في الفارسية القديمة kata بمعنى "الغرفة الصغيرة، ومخزن
المؤونة، وسرداب المنزل" (بارتولومه، الفقرة 432)، وفي البهلوية، kadag
معناها الحرفي البيت، واستُخدمت بعض الأسماء المركبة مثل
kadag-bānug (كدبانو=رَبّة البيت)، kadagig (خانگی)
[البيتي=المنزلي] و kadag-xwatāy (كدخدا=مختار المحلّة) (مكنزي، ص
48؛ فره وشي، 1967م/1386هـ، ص 263). اللاحقة-كده في الفارسية
الحديثة لها معانٍ متعدّدة مثل البيت، والقرية، والبلدة، والضيعة، والمحلّ،
والمكان، والموضع، والمسكن، على سبيل المثال: آتشكده [معبد النيران]،
دولتکده [مقرّ الحكومة]، دهکده [القرية]، وماتمکده [موضع التأبين] (الهاجري،
ص 190-191).

مرادف آخر من مرادفات لفظة خانة في الفارسية القديمة سرادَ (srāda)،
مرادفها في الأفستائية srādha بمعنى خانة [البيت]، والقصر والقصر
الصيفي، والمبنى العالي. من بقايا هذه اللفظة في الفارسية الحديثة سرا
[السراي]، التي تقوم مقام اللاحقة المكانية زايا [المولد، المنتج]، واشتقت منها
كلماتٌ عديدة (← م.ن، ص 162).

من مرادفات خانة في الفارسية القديمة لفظة فيث (viθ-) بمعنى البيت،
والبلاط، والعائلة الملكية، وفي الأفستا فيس (vīs، بمعنى منزل الأسياد)، وفي
السنسكريتية فيس (vis، البيت والمسكن) (كنت، ص 208) هذه اللفظة مشتقة
من اللفظة السامية [السامية الأم] "بيتو" (bitu)، الباقية في جميع اللغات
السامية كالعبرية والآرامية والسريانية، والأشورية، والحبشية والعربية (بيت)

(وُلْفَنسون¹⁰، ص 245). في البابلية القديمة كانت كلمة بيت تُطلق على السراي، وكانت بمعنى العائلة أيضًا. استعار الإيرانيون هذه اللفظة، واستخدموها بمعنى المقرّ ومكان الجلوس. وردت لفظة بيت في النصوص البهلوية بصورة الهزواريش [الهزوارش مصطلح مستخدم للكتابات والكتب والرسائل البهلوية المكتوبة بالخط البهلوي، لكن في أثناء القراءة، تُقرأ ترجمتها الآرامية]. (← أذكائي، ص 72-75؛ مشكور، 1987م/1407هـ، مج 1، ص 90-91؛ نفسه، 1967م/1386هـ، 187؛ مكنزي، ص 94). في البهلوية، وبعد ذلك في الفارسية الحديثة تغيّرت لفظة بيت تغيّرًا جذريًا، فحذف حرف "التاء"، وأصبح صائنتها ā، وصارت السابقة المكانية "با" التي استُخدمت في صياغة أسماء أمكنة مختلفة، مثل "باجرمي" معرّب "بيت گرمای = بيت الحرّ = بيت النيران" وباعربايا* معرّب بيت عرّباهه (← أذكائي، ص 75).

في الفارسية كانت لفظة خانه [البيت] تُطلق في الماضي على الغرفة (جزء من البيت) (دهخدا مادة "خانه"). وعلى العكس، كانت لفظة اتاق [الغرفة] وهي لفظة تركيّة (معجم سخن الكبير، مادة "اتاق")، تُستخدم أحيانًا بمعنى البيت (شاد، مادة "اتاق"). في اللهجات الفارسية المعاصرة أيضًا لللفظة خانه استخدام مع المرادفات الأخرى. بعض هذه المرادفات: خانوو، مال في الكردية (صفي زادة، مج 1، ص 563، 972)، وكي في اللهجة النائيينية (ستوده، ص 206)، كيبه في اللهجة الخوانسارية (أميري، ص 250)، وسرا (-serā) في اللهجة الخورية (فره وشي، 1976م/1396هـ، ص 37)، وهوش في اللهجة اللّكّية (إيزد بناء، مادة "هوش"). استُخدمت لفظة خانه أيضًا في تركيب الكثير من الأسماء المكانية المركبة مثل كتاب خانه [المكتبة]، وقهوه خانه [المقهى]، وأبدارخانه [المشربة = المَشْرَب]. وهي من الأسماء المركبة تركيبًا إضافيًا، بمعنى المركز أيضًا، مثل خانه فرهنگ [المركز الثقافي]، وخانه بهداشت [المركز الصحيّ = المصحّ] (للاطلاع على الأسماء المركبة من خانه تركيبًا إضافيًا ← معجم سخن الكلام الكبير، المادة نفسها). وكانت هنالك في الماضي أسماء مركبة متداولة مثل طربخانه [المعنى]، وشربت خانه [المشرب، المقصف] عدالت خانه [العدلية]، ضراب خانه [دار الضرب]، ومريض خانه [المستشفى] (دهخدا، موادّ هذه الألفاظ). ومتداول في اللغة الفارسية أيضًا استخدام لفظة خانه في صياغة مصادر مركبة من الجملة مثل خانه تکانی کردن، وخانه پرداختن [والبعبارتان بمعنى تنظيف البيت] (← م.ن، الموادّ نفسها). في الفارسية المعاصرة، تُستخدم بعض الألفاظ مثل جا [المكان]، جای باش [البقاء في المكان] جايگاه [المقرّ]، كاز/كازي/كاشه،

¹⁰ -Israel Wolfenshon

وكاشانه [بمعنى العش] مرادفاتٍ للفظه خانه [البيت] (م.ن، الموادّ نفسها؛ براتي، ص 34، 36-38). من المرادفات الأخرى للفظه خانه في الفارسيّة المعاصرة، الكلمات العربيّة مأوى ومسكن وأحياناً مقام، وكذلك منزل ومكان (دهخدا، الموادّ نفسها؛ لمزيد من الاطلاع— براتي، ص 38-41).

من المتداول في التركيّة فضلاً عن كلمتيّ (ev) ومسكن (mesken)، لفظنا خانه وسرا (لا سيّما خانه) لاحقة في الأسماء المركّبة (—) الكاشغريّ، مج 1، ص 425؛ كانار¹¹، مادّة "mesken"، "hane"، "ev" sera). تُستخدم لفظه خانه في جميع اللهجات التركيّة، ومن بينها الأذريّة، والتركمانيّة، والأوزبكيّة، والقوزاقية والقرقيزيّة (المعجم العام: مادّة "خانه"). معنى خانه في اللّغة العربيّة بيت (جمعها: بيوت و بيوتات) (— ابن منظور، مادّة "بيت"). يمكن الاستنتاج من معاني الآيات القرآنيّة التي وردت فيها كلمة بيت، أنّ المقصود مكان السكن الطويل الأمد، والمنزل (— الأعراف: 74؛ الحجر: 82).

قيل كذلك أنّ استخدام "من" في الآية "وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا" (النحل: 80)، للتبويض، لأنّ البيت يتضمّن قسماً للسكن وأقساماً أخرى لغير السكن، كموضع العبادة، والمخزن، والحظيرة (الطباطبائيّ: شرح الآية؛ لمزيد من الاطلاع على السكن والمسكن في القرآن— عادل السبزواريّ، مج 3، ص 273-277).

استُخدمت في القرآن فضلاً عن كلمة بيت، أسماء مركّبة، منها البيت [معرفاً بـ ال] بمعنى الكعبة وبيت الله (على سبيل المثال— آل عمران: 97). ففي القرآن الكريم الكعبة أوّل بيت وضعه الله للناس ليعبدوا الله فيه (— م.ن: 96؛ لمزيد من الاطلاع — بيت*؛ أهل البيت*)، استُخدمت كلمة بيت في القرآن أيضاً بمعنى مسكن الحيوان، مثل بيت العنكبوت (— العنكبوت: 41)، شُبّه به بيت الكفر والبيت الذي لا أسس له؛ وبيت النحل أو الخليّة (النحل: 68).

فضلاً عن ذلك، وردت في القرآن الكريم بكثرة مشتقّات الفعل سَكَنَ، واسم المكان (المَسْكَن) وجمعه (المساكن)، إشارةً إلى مكان السكن (على سبيل المثال— الأنبياء: 13؛ طه: 128؛ القصص: 58؛ إبراهيم: 45). تشرح الآية الثمانون من سورة النحل بوضوح وصراحة، السكن، والبيت والموادّ المستخدمة فيه. كما استُخدم مصطلح "المُنْزَل" في القرآن الكريم بهذا المعنى أيضاً (— المؤمنون: 29). من المصطلحات القرآنيّة المستخدمة بمعنى البيوت الرفيعة البنيان، والمباني الفخمة، مصطلح الصَّرْح (— غافر: 36)، والقصر (الأعراف: 74) والغرفة (العنكبوت: 58).

¹¹ -kanar

كلمة الدار (جمعها: الدور، والدارات) معناها أيضًا البيت (الراغب الإصفهاني، مادة "دور"؛ ابن منظور، مادة "دار"). استُخدمت هذه الألفاظ في الأسماء المركبة مثل: دار الكتب، ودار الأيتام، ودار الضرب. وهي شائعة في العربية، وبعضها في الفارسية أيضًا (← آذرنوش، مادة "دار"). وردت كلمة دار في القرآن مضافة إلى كلمات أخرى مختلفة، وفي الإشارة إلى عالم الآخرة، بعد أن تقوم القيامة (← محمد فؤاد عبد الباقي، اللفظة نفسها؛ أيضًا ← الجنة*، قسم 2). وصف جورج مارسه¹² الدار بأنه مكان محاط بعدة جدران، وهو إلى حد ما دائري الشكل، وأشار إلى ميل المسلمين إلى السكن في محيط أحد المراكز، مثلًا مرعى الأغنام (د. الإسلامية، الطبعة الثانية، مادة "الدار").

البيت القديم في إيران يتألف في معظم الأحيان من قسمين، صيفي (يضم قسمًا داخليًا وآخر خارجيًا)، وشتوي (يتضمن قسمًا داخليًا وقسمًا خارجيًا)، ويتألف مرورًا من الخارج إلى الداخل من أجزاء أسماؤها مهمة في تعريف مصطلحات البيت: (1) بيشخان أو جلوخان* [الفسحة الأمامية؛ 2] كنه/كانه، الجزء المسقوف من مقدمة البيت يتضمن صفتين على جانبي العتبة (← فلاح فر، مواد الألفاظ؛ 3) العتبة؛ 4) پلنگ الممر من العتبة حتى الجدار (دهخدا، مواد الألفاظ؛ 5) هشتی [الردهة] الجزء الذي يلي المدخل مربع أو مثنى الأضلاع أو أكثر؛ 6) مخزن الحطب، يتم الدخول إليه من خلال إحدى زوايا الردهة؛ 7) دالان أو الدهليز بين الردهة ومنتصف المنزل [الموزع؛ 8] الموزع، الجزء المتسع في وسط المنزل المفتوح على الأجزاء الأخرى؛ 9) میاندر، الجزء الواقع بين جزأين آخرين، يُسمى إن كان واسعًا تختگاه [المجلس]. أمّا سائر الأجزاء فهي: أنواع الغرف، والأبواب الخمسة أو السبعة، والقاعة، وغرفة الجلوس الشتوية، وغرفة الجلوس الصيفية المتنوعة الاستعمالات، والمطبخ، والإيوان أو الجزء المفتوح على الخارج من جهة واحدة أو من ثلاث جهات، الپستو، أو المخزن وراء أو بين غرفتين، والسرداب أو المحوطة تحت الأرض، للاستخدام الصيفي، بالاخانه أو الغرفة العلوية فوق السطح، مهتابي أو المنامة الربيعية وهي صفة مفتوحة في وسط المنزل، أو الطبقة العليا من المنزل، وآغل أي الإسطبل أو حظيرة الحيوانات (بيرنيا، ص 159-164؛ دهخدا مادة "آغل"، "پستو"؛ فلاح فر، المواد "تتبي"، "سرداب"، و"مهتابي"؛ أيضًا ← سرداب*؛ إيوان*).

في المنازل المعاصرة، البيت مزيج من بضعة أجزاء من المنازل القديمة وبضعة أجزاء حديثة، على أساس أنماط الحياة والضغوط المدنية المعاصرة. هذه الأجزاء هي: درآيگاه أي المدخل، ورختكن أي موضع

¹²G. Marçais-

المشجب، راهرو أي الرواق والممر، سرسرا أي الردهة، والمرافق الصحيّة كالمغاسل والحمامات والمراحيض، وغرف الطعام، والعمل والمطالعة والجلوس، والصالة، والشرفة، والمصطبة، والباحة، (والمنور والباحة الخاصّة، والفضوة خلف البيت)، والقبو، وموضع جهاز التدفئة، وموقف السيّارات.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن الكريم، أدرتاش آذرنوش، فرهنگ معاصر عربی-فارسی [المعجم العربي-الفارسي المعاصر]، طهران 1375 ش [1996م]؛ برويز أذكائي، "أسماء الأماكن المعتدلة (أ-ب)"، في يشتِ فرزانيّ: جشن نامه دکتر محسن ابو القاسمي [اليشت أحد فصول الأفيستا؛ كتاب الحكمة: كتاب تخليد الدكتور محسن أبو القاسمي]، إعداد سيروس نصرالله زادة وعسكر بهرامي، طهران: هرمس، 1384 ش [2005م]، اردو لغت (تاريخي اصول بير) [اللغة الأردية (القواعد التاريخية)] كراتشي: ترقى اردو بورد، 1977-؛ هوشنغ أميري، فرهنگ لغات خوانسار [معجم الألفاظ الخوانساريّة]، طهران 1379 ش [2000م]؛ اوستا. يسنا. گاهان، گات ها: كهنترين بخش اوستا [الأفيستا (الأبستاق) وأجزاؤه وفصوله، أقدم أجزاء الأفيستا]، إعداد إبراهيم يورداد، طهران 1378 ش [1999م]؛ حميد ايزدبناه، فرهنگ لکي [معجم اللهجة اللکيّة]، طهران 1367 ش [1988م]؛ ناصر براتي، "تعريف مفهوم "خانه" في اللغة الفارسيّة والثقافة الإيرانيّة"، مجلة خيال، العدد 8 (شتاء 1382 ش [2003م]؛ ماري بويس، فهرست واژگان ادبيات مانوي در متن های يارسی ميانہ و يارتى [فهرس ألفاظ الأدب المانويّ في نصوص الفارسيّة الوسيطة والبارثيّة]، ترجمه بالفارسيّة أميد بهبهاني وأبو الحسن التهامي، طهران 1386 ش [2007م]؛ إحسان بهرامي، فرهنگ واژه های اوستائي [معجم الألفاظ الأفيستائيّة]، طهران 1369 ش [1990م]؛ إبراهيم يورداد، فرهنگ ايران باستان [الثقافة الإيرانيّة القديمة]، ج 1، طهران 1356 ش [1977م]؛ محمد كريم بيرنيا، آشنایی با معماری اسلامی ايران: ساختمانهای درون شهری و برون شهری [تعريف بالعمارة الإسلاميّة الإيرانيّة: المباني داخل المدن، والمباني خارجها]، تدوين غلامحسين معماريان، طهران 1371 ش [1992م]؛ محمد حسن دوست، فرهنگ ریشه شناختی زبان فارسی [معجم علم اشتقاق اللغة الفارسيّة]، بإشراف بهمن سرکاراتي، طهران 1383 ش- [2004م]؛ محمد علي داعي الإسلام، فرهنگ نظام [المعجم العسكريّ]، ط. حجرية حيدر آباد الدکن 1305-1318 ش [1926-1939م]؛ دهخدا، حسين بن محمد الراغب الإصفهاني، المرادفات في غريب القرآن، ط. محمد سيّد كيلاني، طهران [1332 ش؟] [1953م]؛ حسن رضائي باغ بيدي، راهنمای زبان يارتى (يهلوى اشكاني) [دليل اللغة البارثيّة

(البهلوية الأشكانية)]، طهران 1385 ش [2006م]؛ منوتشهر ستودة، فرهنگ نائینی [معجم اللهجة النائية]، طهران 1365 ش [1986م]؛ محمد بادشاه غلام محیی الدین شاد، آندراج: فرهنگ جامع فارسی [المعجم الفارسی الجامع]، ط. محمد دبیر سیاقی، طهران 1363 ش [1984م]؛ صديق صفي زادة، فرهنگ بوره که یی کردی- فارسی [المعجم الكردي الفارسی]، طهران 1380 ش [2001م]؛ محمود عادل السبزواری، لغتنامه قرآن کریم [معجم الألفاظ القرآنية]؛ طهران 1387-1385 ش [2008-2006م]؛ الطباطبائي، فرهنگ بزرگ سخن [معجم مجلة الكبير]، بإشراف حسن أنوري، طهران: مجلة سخن 1381 ش [2002م]؛ فرهنگ مشترك ای-سی-او ممالك مین بولی جانی والی [-----]، إسلام آباد: مقتدره قومي زبان [-----] *13، 1997م؛ بهرام فره وشی، فرهنگ یهلوی [معجم اللغة البهلوية]، طهران 1346 ش [1967م]؛ نفسه، واژنامه خوری [معجم الألفاظ الخورية]، طهران 1355 ش [1976م]؛ سعيد فلاح فر، فرهنگ واژه های معماری سنتی ایران [معجم ألفاظ العمارة التقليدية في إيران]، طهران 1379 ش [2000م]؛ فیروزالدین، فیروز اللغات اردو جامع [فیروز [معجم] الألفاظ الأردية الشامل]، لاهور. فیروز سنز، [لاتا.]: محمود بن حسین الکاشغري، کتاب دیوان لغات الترك، [إسطنبول] 1335-1333هـ؛ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة 1364هـ، ط. أوفست طهران [1397هـ ؟]؛ بهروز محمد البختری، "مورفيمه "خانه" ووظيفتها المعنوية في صياغة الألفاظ الفارسية"، زبان وادب: مجلة دانشکده ادبیات فارسی وزبانهای خارجی دانشگاه علامه طباطبائی [مجلة اللغة والأدب: مجلة كلية الأدب الفارسی واللغات الأجنبية في جامعة العلامة الطباطبائي]؛ العددان 9 و 10 (خريف وشتاء 1378 ش [1999م]؛ محمد جواد مشکور، فرهنگ تطبیقی عربی با زبانهای سامی وایرانی [المعجم المقارن: اللغة العربية واللغات السامية والإيرانية]، طهران 1357 ش [1978م]؛ نفسه، فرهنگ هزوارش های یهلوی [معجم التعبیر البهلوية]، طهران 1346 ش [1967م]؛ إسرائيل ولفنسون، تاریخ اللغات السامية، بیروت 2001م؛ ضیاءالدین الهاجری، فرهنگ وندهای زبان فارسی [معجم لواحق اللغة الفارسية] طهران 1377 ش [1998م]؛

أجنبي

/آرزو نجفیان و علي محمد زنجير

الكرمانی /

*13- يجب ترجمة هذه العبارات من اللغة الأردية.

ب) الجوانب الدينية والثقافية، البيت أو المكان الذي يسكنه الإنسان المعاصر ويعيش فيه، كغيره من المفاهيم كالفضاء والمكان، له تعريف أدق وأحياناً أكثر تعقيداً. بعض هذه التعريفات هي: موضع المعرفة المباشر للعالم والمكان الذي تجري فيه الحياة اليومية (نوربرغ- شولتز¹⁴، ص 141)، أو مركز الحياة الشخصية للإنسان التي تتشكل منذ مرحلة الطفولة، والبيت مركز الوجود البشري، كالكعبة للمسلمين في مركز العالم (معماريان، ص 333-334).

النظرة الفلسفية إلى مفهوم السكن في العصر الحاضر، شديدة التأثير بآراء هايدغر¹⁵ (ص 3-4). فهو يرى أن السكن غير ممكن إلا من خلال البناء، والهدف الغائي من العمارة الإسكان، فالإنسان من خلال بناء البيت يحشد قوته (أيضاً - نوربرغ- شولتز، ص 25؛ براتي، ص 28). بعد ذلك كرّس الباحثون المحققون في الثقافة المتعلقة بالحقل المعماري، من أمثال رابوبورت¹⁶ الميل إلى التفسير المعنوي للعمارة، ومفهوم السكن والبيت. يقول رابوبورت (ص 68-74). ليست أساليب البناء، ولا عناصر البناء والعوامل الإقليمية، هي العناصر الأولية، فشكل البيت متأثر بفهم البشر للعالم والحياة، وبتقافتهم ومعتقداتهم الدينية، وأنماط علاقاتهم الاجتماعية (أيضاً - معماريان، ص 375-384).

يمكن البحث عن تاريخ الشروح المعنوية لمواضيع كالفضاء، والمكان والسكن والبيت في الثقافة الإسلامية، من ذلك آراء ابن سينا في تعريف المكان (ص 13-25). أيضاً الملاً صدرا (السفر 2، مج 1، ص 39) الذي عدّ المكان الشيء الذي يخرج الجسم منه ويدخل فيه، ويسكنه. طرح الفارابي أيضاً في وصف المدينة الفاضلة، رؤيته الفلسفية إلى الحيز المكاني للمدينة (ص 139-160).

كذلك فإن ابن خلدون (مج 1: المقدمة، ص 426-427) عدّ العمران أول الصناعات الاجتماعية، استخدم مسكناً للإنسان وملجأ، لأن السكن جزء من الطبيعة الإنسانية. وقد درس بنظرة علم-اجتماعية المباني التي شيدها البشر في أثناء شرحه لمفاهيم المدينة، والبلدة، والأقاليم السبعة، وأيضاً المَواطن والأقاليم المختلفة.

من وجهة نظر العرفان الإسلامي، البيت أيضاً هو الفضاء الكيفي الذي يحتله جسم الإنسان، أي الوعاء الذي يحتوي في داخله جوهرًا باسم الإنسان. من ناحية، يرتبط هذا الفضاء بالعالم الكوني، وفيه يتصل العالمان الكبير والصغير ببعضهما (أردلان¹⁷ وبختيار¹⁸، ص 15). من هذه الناحية، لأجزاء

Christian norberg- Shulz-¹⁴

Martin heidegger-¹⁵

Amos Rapoport-¹⁶

¹⁷ -ardalan

¹⁸ -Bakhtiar

البيت معان رمزيّة. فالأرضيّة المرتفعة في معظم البيوت الإسلاميّة، يمكن أن تكون سريراً، لذا فإنّ الأحذية تُخلع على العتبة قبل وطء السجّاد، موضع الراحة الجسديّة. يُنظف فضاء البيت دائماً من الزوائد، كي لا تخدش التأثير الإيجابي لجو الغرفة الناجم عن رسوم السجّاد ومفهوم الحديقة. الباحة أو الحديقة ذات الحوض الشبيه بالمرآة في وسطها، ترمز إلى الروضة والجنّة. الباب بمعنى المغبرّ والممرّ والدهليز رمز الانتقال إلى فضاء آخر. الغرفة المظهرُ المكعب للإنسان وعلاقته بالبيت بمقدار علاقته بالعائلة، والحياة العائليّة كدوائر تتمحور حول مركز واحد، وهي الحرّم الخاصّ بعيداً من أعين الآخرين (م.ن، ص 35-37، 73). الباحة الداخليّة بمنزلة الجنّة والعالم الآخر المستور. وهكذا تتفصل الحياة العائليّة عن الحياة الاجتماعيّة (بوركهاردت¹⁹، 2002م/1422هـ، ص 148).

هنالك تقارب بين عمارة المسجد وعمارة البيت أسلوباً واستخدماً. فالبيت كالمسجد مكانٌ للصلاة والعبادة، وكلّ مسلم عادل تتوافر لديه الشروط، يمكنه أن يكون إمام الجماعة في بيته، وهذه الوحدة بين المسجد والبيت علامة التوازن والسكينة المشتركة (نفسه، 2007م/1427هـ، ص 100).

نظرة القرآن الكريم إلى مفهوم البيت تمنح التوازن للضمير العام لدى المسلمين، وتؤثر في الطرق المعتمّدة في بناء البيت. فقد طرح مفهوم البيت في القرآن الكريم بألفاظ متعدّدة، تتضمّن معنى السكن. السكن من الجذر "س ك ن"، بمعنى ثبات الشيء بعد الحركة، وبمعنى استوطن (الراغب الإصفهاني، مادّة "سكن"). ورد في القرآن الكريم سكون ماء المطر في الأرض (← المؤمنون: 18). السكينة في القرآن الكريم معناها الطمأنينة (← الفتح: 4). أوّل مفاهيم السكن ورد في مخاطبة الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (الأعراف: 19؛ البقرة: 35)، وأهمّ محاور اهتمام القرآن بالبيت ورد ضمن الآيات (كالأعراف: 74) التي عدّت فيها عمارة الأرض وتشيد البيوت نعمةً من نعم الله عزّ وجلّ.

في الآية 80 من سورة النحل شرح بوضوح موضوع السكن، والبيت ومواد البناء: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ". البيت في هذه الآية يمكن أن يكون كناية عن مكان العبادة أيضاً. السكن والسكينة الواردان في الآية، يحصلان في البيت، وإذا أخذنا في الاعتبار الآيات المتعلّقة بالزواج والزوجيّة (← فاطر: 11؛ النبأ: 8؛ الروم: 21)، يمكن أن يكون المقصود بالسكن والسكينة في هذه الآيات المحيط العائلي (← بهشتي، ص 39-40).

¹⁹-Titus Burckhardt

في القرآن الكريم، الكعبةُ هي أوّل بيت وُضع للناس ليعبدوا الله فيه (آل عمران: 96). وحيث أنّ مكان العبادة بيتٌ، فهذا يُضفي جانباً قدسيّاً على البيت. كذلك فإنّ البيت المعمور* (الطور: 4)، بيتٌ مقدّس، بمحاذاة الكعبة في السماء، وهذا تأكيدٌ على مفهوم مركزيّة البيت.

تطرق القرآن الكريم إلى آداب البيت وأحكامه، وهذا على الأرجح ما استند إليه في تصميم البيوت الإسلاميّة، كالاستئناس وطلب الإذن من أهل البيوت، وتعريف الطارق بنفسه قبل الدخول، والتسليم على أهلها، وإن لم يجد فيها أحداً فلا يجب أن يدخل قبل أن يؤدّن له، وإن قيل له ارجع فيجب أن يرجع (— النور: 27، 28)، وهناك اهتمام خاصّ ببيوت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، وآداب الدخول إليها والتواجد فيها (الأحزاب: 53؛ الحجرات: 4، 5).

بُنِيَ بيتُ الرسول، أوّل نماذج البيت الإسلاميّ في أثناء بناء المسجد. بنى الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم أوّل الأمر غرفة لزوجه سودة، وسكن فيها. في السنة التالية بنى حجرة عائشة. هاتان الغرفتان كانتا إلى الشرق من المسجد، أي القسم الذي هو اليوم موضع مزاره الشريف، بعد آونة بُنيت غرفتان لزوجتيه الأخريين صفية وأمّ سلمة. أكّدت المصادر التاريخيّة على البساطة اللَّافِقة لهذه الغرف (قائدان، ص 202؛ على سبيل المثال — ابن سعد، مج 1، ص 499). كانت هنالك كوة بين بيت النبيّ وبيت فاطمة والإمام عليّ عليهما السلام، ولمّا صدر الأمر بسدّ الأبواب جميعاً، الباب الوحيد الذي لم يُسدّ هو باب بيت الزهراء بأمر من النبيّ (شرف الدين، مج 1، ص 231-233). في عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ)، هُدمت بيوت النبيّ وزوجاته، لتوسيع المسجد (ابن سعد، م.ن، ص. ن). ظلّ هذا البيت البسيط والمتقشّف كشكلٍ من أشكال التمازج بين المسجد والبيت بما يتلاءم وشؤون قائدٍ إسلاميّ، رمزاً خاصّاً في ضمائر المسلمين. في هذا الأنموذج، على الرغم من تلاصق البيت والمسجد، فإنّ فضائيهما منفصلان (هيلن برند²⁰، ص 39-40؛ غرابار²¹، ص 108-109؛ أيضاً — حاجي إبراهيم زرغر، ص 30-31).

على هذا الأساس، فإنّ منازل المسلمين سواء منها البسيط أو الفخم، مثلها مثل المباني التذكاريّة كالمساجد والأضرحة، تحمل روح التعاليم الإسلاميّة في بنيتها. هذه البيوت، بغضّ النظر عن خصائصها الجغرافيّة والمحليّة، تتشابه في الكثير من الحالات، وتجسّد التعاليم الإسلاميّة وطرق تطبيقها. بحيث كان الابتعاد عن الزخارف الفائضة، واعتماد البساطة التي تجسّد روح الأخلاق الإسلاميّة، الأنموذج المحتذى في بناء المنازل. لقد أظهر

²⁰ -Hilen brand

²¹ -Grabard

المسلمون التزامهم بهذه البساطة باتّباعهم أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، في النهي عن بناء قبة فوق بيت أحد الأنصار (أبو داود، مج 4، ص 360، الحديث 5237)، والأمر باحتذاء بساطة بيوت الصحابة (— مصطفى بن حموش، ص 47). لقد أمر الإسلام بالتواضع (— الكليني، مج 2، ص 121-124). ويبدو الالتزام بهذا المبدأ الأخلاقي بيّنًا في مظهر بيوت المسلمين (— مرتضى، ص 41). وعلى هذا النحو، فإنّ المنازل بالترامها البساطة الخارجية، تُعبّر عن وحدة المستوى الذي يحيا فيه المسلمون في المجتمع الإسلامي (مصطفى بن حموش، م.ن، ص. ن؛ مرتضى، ص 29؛ الصورة 10). هذا المضمون موجود في حديثٍ للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، في ذمّه الشخص الذي يبني لنفسه منزلاً للتمظهر والشهرة (— المجلسي، مج 73، ص 149، الحديث 4) من هنا فإنّ المناطق السكنية للطبقات الغنيّة والفقيرة في المدن الإسلامية غير منفصلة عن بعضها في معظم الحالات (جينايني²²، ص 371).

من ناحية أخرى، تعبّر هذه البساطة عن نظرة أخرى إلى فضاء المنزل، الذي هو فضلاً عن كونه موضع السكن، مكان العبادة أيضاً، فالإمام جعفر الصادق عليه السلام، أوصى باختيار موضع للمنزل بصفته "مسجداً" (— المجلسي، مج 73، ص 162، الحديث 3، نقلاً عن كتاب المحاسن)، وفي المصادر الفقهيّة وردت الإشارة إلى استحباب ذلك (— نوبهار، مج 1، ص 185-186).

كذلك أخذ في الاعتبار، في بناء المنازل مبدأ حُسن الجوار، واحترام حقوق الجيران (— النساء: 36؛ ابن هشام، مج 1، ص 359؛ الكليني، مج 2، ص 666-669). وقد خُصّص لهذا الأمر أيضاً فصول في الكتب الفقهيّة، ويُلاحظ الالتزام بهذا المبدأ بوضوح في أحكام منها: عدم إقامة حاجز يمنع تسرّب الهواء والنور إلى المنازل المجاورة، أو تجنّب تشييد بناء أرفع منها، أو إقامة شرفة متقدّمة عن مستوى البناء، حتّى أنّ بعض الفقهاء طرحوا موضوع وجود الشرفة، مصداقاً من مصاديق بحث "تزامم الحقوق" (— العلامة الحلي، مج 2، ص 173-175؛ مصطفى بن حموش، ص 48-49). في الوقت نفسه، من وصايا النبي الأكرم والأئمّة الأطهار عليهم السلام امتلاك بيت كبير (— ابن بابويه، مج 1، ص 100؛ المجلسي، ص 73، ص 155، الحديث 36)، وفي هذا الصدد، فإنّ السعة في بيوت المسلمين داخلية وليست خارجية (خالد العزب، ص 21).

لم يكن اتّساع البيت الإسلامي مقتصرًا على توسيع هيكلية، وإنّما من خلال امتداد العائلة وزواج الأولاد، وتشكيل العائلة الكبيرة؛ حتّى أنّ هنالك

²² -Hidenabu Jinnai

منازل تضمّ في جوانبها أحياناً أربعة أجيال (للاطلاع على رأي الإسلام الإيجابي من العائلة الواسعة ← مرتضى، ص 34-35). هنالك أمرٌ آخر، وهو أن توسيع هيكلية البيت كانت تتمّ على نحو عموديّ أو أفقيّ (خالد العزب، ص 29).

المعلم الثابت في منازل المسلمين هو الفصل بين جناحي الرجال والنساء، واستقبال الرجال الغرباء في جناح منفصل، صوناً لحرمة النساء. عادةً كان استقبال الرجال يتمّ في غرفة منفصلة قريبة من المدخل، أو في جناح إضافي، اسمه المضافة أو المجلس، أو الخارجي، من دون دخول المنزل (← الأقسام اللاحقة من المقالة).

في الكثير من البلدان يُسمّى هذا الجزء السَلَمَلِك، ويُسمّى مكان استقبال الضيقات وإقامة أفراد العائلة الحَرَمَلِك، والاسمان مأخوذان من الألفاظ والثقافة التركيّة (← قسم تركيا). حتّى أنّ هنالك في بعض البلدان الحارّة كتونس مثلاً، يُصمّم مكان السطح مثلاً مرتفع الجدران، ويخصّص منامة للنساء، وفي المناطق الباردة للتعرّض لأشعة الشمس، وتجفيف الملابس، ولا يُسمح للرجال أن يستخدموه (مصطفى بن حموش، ص 49).

النقطة اللافتة الأخرى هي مداخل البيوت المصمّمة على نحو غير مستقيم ومنكسر، لصون الحرمة، وتؤدي إلى القسم الداخلي من المنزل (على سبيل المثال ← المناطق الإيرانيّة؛ تونس). استخدام الممرّ، والدھليز، والردهة، وغير ذلك من المساحات، وسيلة تُساعد في تنفيذ هذا المخطط. في الماضي، كان مدخل عدد كبير من المنازل قائم الزوايا (خالد العزب، ص 26)، وأحياناً كان يُقام مدخل آخر مخصّص لأهل المنزل. في حالات خاصّة، كما في بعض النماذج الإيرانيّة، من خلال استخدام الردهة والممرّ، كان عدد مداخل المنزل يصل إلى خمسة، من دون التعرّض المباشر لحرمة المنزل (بيتر بريج²³، ص 197). على هذا الأساس، كان استخدام مطارق الأبواب، المتنوّعة الأصوات، لتعيين جنس الزائر، أمراً متداولاً، وكذلك بناء أسوار عالية باسم الحجاب وراء باب مدخل المنزل لمنع الغرباء من مشاهدة الداخل. كان هذا النوع من الاحتياط أمراً شائعاً في بناء المنازل في العالم الإسلاميّ (معماريان، ص 395).

يتجلّى بوضوح تطبيق تعاليم الإسلام في إكرام الضيف (← الكلينيّ، مج 2، ص 200-204؛ أيضاً ← خالد العزب، ص 27-28)، من خلال إيجاد مكان مخصّص لاستقبال في المنازل التقليديّة، مقابل الأسلوب المضاد أي التهرّب من الضيوف في بعض المنازل الأوروبيّة (← معماريان، ص 390-391). البعض الآخر من خصائص المنازل الإسلاميّة، فضلاً عن ملاءمتها

²³-Pether bridge

للتقافة الإسلامية، تأثرها بالأوضاع الحضارية والإقليمية، كالشائع في بناء البيوت ذات الداخل المنعزل، واستخدام الباحة الوسطية في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (جينائي، ص 369). يعود التاريخ المعروف لهذا النموذج إلى العام 2000 ق.م على الأقل، في مدينة أور في بلاد ما بين النهرين (م.ن، ص 371). حتى أن البيوت ذات الباحات، في بعض المدن كبغداد، شديدة الشبه بالمنازل القديمة في تلك المناطق (وارن²⁴، وقتحي، ص 18). بشكل عام، النمط السائد في البلدان الإسلامية، استخدام الباحات الداخلية في منازل المدن، والباحة الخارجية في المنازل القروية لملاءمتها لأعمالهم وأنشطتهم، وللنمطين نماذج قديمة (بيتر بريج، ص 199).

على الرغم من أن الباحة الوسطية، فضاء مقفل، لكنها من خلال إفراح النظر نحو السماء، تربط السكان بالفضاء الخارجي، وتلطّف أجواء المنزل (جينائي، ص 376). تُحسب الباحة الداخلية التي تسمى في بعض المناطق وسط الدار، مركز الحياة في البيوت الإسلامية، وموضع التقاء أفراد العائلة ببعضهم، والرابط بين أجزاء البيت المختلفة (← أجزاء المقالة المتعلقة بتونس؛ العراق). الباحة الوسطية موضع هادئ، تساعد من خلال إضافة بعض العناصر كالحوض، والأشجار والنباتات، في تجميل المكان، وتلطيف المناخ الداخلي (خالد العزب، ص 26؛ جينائي، ص 375)، ولها في المناطق الحارة والجافة، دور مهم في تحريك الهواء. هذه الباحات المحاطة عادةً بالجدران والأواوين والأروقة ذات الأعمدة، تحمي الفضاء الداخلي من الحرّ، وتساعد في تهوية المنزل (بيتر بريج، م.ن، ص. ن).

اتجاه المنازل مناسب للظروف المناخية والإقليمية في النقاط المختلفة في العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال، تُبنى المنازل في مصر باتجاه الشمال، وفي لبنان باتجاه البحر، لِيُتاح لها ما يكفي من الهواء (م.ن، ص 201-202). في دمشق صُمّمت المنازل مستطيلة الشكل، متّجهة من الشمال إلى الجنوب، منحرفة 20° عن الغرب، لتحظى بالإضاءة الكاملة من الشمس، وتكون بمنأى عن التأثير السلبي للرياح الشمالية والغربية. كذلك يُستفاد من عنصر باسم الشمسة، شائع في المنازل الشامية، وفي منطقة الخليج الفارسي. الشمسة على شكل لوح مشبك من الجصّ، مزخرف بالزجاج الملون، يُنصب في الأقسام العليا من المنزل، ليدخل نور الشمس المنازل ملوّنًا (خالد العزب، ص 27).

تُلاحظ كذلك في اتجاه المنازل، الخصائص الدينية والاجتماعية. فعلى سبيل المثال، تُنصب خيام شيوخ القبائل السودانية باتجاه مكة. كذلك كان يُراعى التسلسل الطبقي، مثلاً خيم نساء الشيخ، تُنصب في خط مستقيم، كي لا يكون لإحداهن أيّ تميّز عن الأخريات. كذلك كانت أبواب مداخل البيوت البوسنية تقام

²⁴-Warren

في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة، كي لا يدير الشخص الداخل ظهره إلى القبلة. كما أنّ المرافق الصحيّة، تبعاً للأحكام الشرعيّة لا تُقام في جهة القبلة (بيتربريج، ص 202؛ للاطلاع على هذا الحكم في المذاهب الفقهيّة — الزحيلي، مج 2، ص 307-308؛ الحكيم، مج 2؛ ص 194-195). على أساس جميع اتجاهات المنازل الإسلاميّة، لا سيّما في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كان أفراد العائلة يتنقلون داخل منازلهم إلى الموضع الأنسب الأكثر ملاءمة للفصل ولساعات النهار المختلفة. كان هذا الأسلوب فاعلاً للتخلّص من حرارة الصيف (جينائي، ص 374؛ على سبيل المثال — قسم العراق).

يميل تقسيم الأقسام الداخليّة من المنزل المستمدّ من الثقافة الإسلاميّة، إلى البساطة، وقلة الزخرفة، والاستفادة عملياً من مختلف أجزائه، ولهذا الغرض صُمّمت الأجزاء الداخليّة والغرف متعدّدة الأغراض، بحيث تُتجزّ فيها الأعمال اليوميّة، والطعام، والنوم، والاجتماعات العائليّة. الصلة بين الفضاءات الخصوصيّة وغرفة الضيوف، تتمّ من خلال إقامة فضاءٍ رابط بينها (مرتضى، ص 118-121).

يُساعد بناء المنازل ذات الداخل المستقلّ، فضلاً عن إيجاد الحرمة اللّازمة، في حفظ أمن أصحابها، وكانت تُلاحظ في بعض بلدان العالم الإسلاميّ، ذات الأوضاع السياسيّة والعسكريّة الخاصّة، تصاميم أكثر تعقيداً. من هذا النوع المنازل الشبيهة بالأبراج، التي تقتقد إلى الباحات، التي نشاهدها في اليمن والمغرب، والجنوب الغربيّ من شبه الجزيرة العربيّة (— أجزاء المقالة المتعلّقة بشبه الجزيرة العربيّة؛ واليمن). شاع كذلك بناء نوع آخر من المنازل الدفاعيّة باسم كُلا (القلعة)، في منطقة أفلاق الجبلية (فالاكيا)، في الجنوب الغربيّ من شبه جزيرة البلقان، لا سيّما في مرحلة انهيار الدولة العثمانيّة. كانت تلك المنازل [القلاع] مؤلّفة من ثلاث أو أربع طبقات، مربّعة أو مستطيلة الشكل، ذات جدران ضخمة في الطبقات السفلى، ومدخل في جداره مزاغل للرمي. الأنموذج الآخر هو الأكسار أو المجمّعات الدفاعيّة في غربيّ العالم الإسلاميّ، المربّعة أو المستطيلة الشكل، وترتفع في زواياها أبراج مربّعة الشكل، ولها مدخل واحد، وباحة مركزيّة في الوسط، ومسجد. المباني المشابهة المثيرة للاهتمام، هي المستودعات الحصينة الجَمعيّة في المناطق الجبلية الليبيّة وصولاً إلى شرقيّ مراكش، لتخزين الموادّ الغذائيّة والسلاح. كانت هذه المنازل في زمن الحرب، تتألّف من مدخل ضيق، وباحة داخليّة، وغرف لسكنى العائلات، وغرفة للتشاور، وغرفة لعالم الدين، ومساحات إضافيّة (— بيتر بريج، ص 204-205).

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن الكريم؛ ابن بابويه، كتاب الخصال، ط. علي أكبر الغفاريّ، قم 1362ش [1983م]؛ ابن خلدون؛ ابن سعد

(بيروت)؛ ابن سينا، طبيعيّات دانشنامة علائي [طبيعيّات الموسوعة العلائيّة]، ط. محمّد مشكوة، طهران 1353ش [1974م]؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ط. مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، [القاهرة 1355هـ/ 1936م]، ط. أوفست بيروت [لاتا.]. سليمان بن الأشعث أبو داود، سنن أبي داود، ط. محمّد محيي الدين عبد الحميد، [القاهرة، لاتا.]. ط. أوفست [بيروت، لاتا.]. ناصر براتي "تعريف مفهوم البيت في اللّغة الفارسيّة والثقافة الإيرانيّة"، مجلة خيال، العدد 8 (شتاء 1382ش [2003م]؛ تيتوس بوركهارت، مباني هنر اسلامي [قواعد الفنّ الإسلاميّ]، الترجمة والتدوين لأمير نصري، طهران 1386ش [2007م]؛ نفسه، هنر مقدس: اصول وروشها [الفنّ المقدّس: المبادئ والأساليب] ترجمه بالفارسيّة جلال ستاري، طهران 1381ش [2002م]؛ أحمد بهشتي، خانواده در قرآن [العائلة في القرآن الكريم]، قم 1386ش [2007م]؛ هيدنبو جينائي، "العالم العائليّ الصغير حول الباحة"، في شهر نشيني در اسلام [سكنى المدن في الإسلام] [تقرير المؤتمر الدوليّ لسكنى المدن في الإسلام (22-28 أكتوبر - ت 1989م)]، [إعداد]، مركز طوكيو للدراسات الثقافيّة الشرق أوسطيّة، ترجمه بالفارسيّة مهدي أفشار، مج 2، طهران: مكتب الأبحاث الثقافيّة، 1386ش [2007م]، أكبر حاجي إبراهيم زرغر، راهنمای معماري مسجد [الدليل المعماريّ للمساجد]، طهران 1386ش [2007م]؛ محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ط. أوفست قم 1404هـ؛ خالد العزب، تراث العمارة الإسلاميّة، القاهرة [2003م]؛ حسين بن محمّد الراغب الإصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ط. محمّد سيّد الكيلانيّ، طهران [1332ش؟] [1953م]؛ إيماس ربوبورت، "المبادئ الثقافيّة المعماريّة"، ترجمه بالفارسيّة صدف آل رسول و افرا بانك، مجلة خيال، العدد 8 (شتاء 1382ش [2003م]؛ وهبة مصطفى الزحيليّ، الفقه الإسلاميّ وأدلّته، دمشق 1418هـ/1997م؛ عبد الحسين شرف الدين، موسوعة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، بيروت 1427هـ/2006م؛ محمّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازيّ (الملا صدرا)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، طهران 1337ش [1958م] ط. أوفست قم [لاتا.]. حسن بن يوسف العلامة الحلّيّ قواعد الأحكام، قم 1413-1419هـ؛ محمّد منصور الفلامكيّ، الفارابيّ وسير شهروندی در ايران [الفارابيّ ومسار بناء المدن في إيران]، [طهران] 1367ش [1988م]؛ أصغر قائدان، تاريخ وآثار اسلامي مكّة مكرمه ومدينة منوره [تاريخ مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وآثارهما الإسلاميّة]، طهران 1386ش [2007م]؛ الكلينيّ؛ المجلسيّ؛ مصطفى بن حموش، جوهر التمدّن الإسلاميّ: دراسات في فقه العمران، بيروت 2006م؛ غلامحسين معماري، سيري در مباني نظري معماري [جولة في المبادئ النظرية المعماريّة]، طهران 1387ش [2008م]؛

رحيم نوبهار، سيماي مسجد [سمات المسجد]، مج 1، قم 1373 ش [1994م]؛
كريستيان نوربرغ-شولتس، مفهوم سكونت: به سوى معماري تمثيلي [مفهوم
السكن باتجاه العمارة التعبيرية]، ترجمه بالفارسيّة محمود أمير يار أحمدي،
طهران 1381 ش [2002م]؛ مارتين هايدغر، شعر وزبان وانديشه رهايي:
هفت مقاله [الشعر واللغة وفكر الخلاص: المقالات السبع]، ترجمه بالفارسيّة
عبّاس منوتشهرى، طهران 1381 ش [2002م]
أجنبي.....

/أكرم أرجح/

(2) البيت في البلاد الإسلاميّة

أ- إيران. يمكن أن نقسّم تاريخ البيت في إيران إلى مرحلتين قبل الإسلام،
ومرحلة ما بعده.

مرحلتنا ما قبل الإسلام تمتدّ حوالى ثمانية آلاف عام. المصادر الأصليّة
التي تُعرّف البيوت في هذه المرحلة هي تقارير علم الآثار عن الآثار المُكتشفة
في بعض الأماكن الأثريّة، من بينها الصخرة الصوّانيّة في ضاحية شاهرود (8000-7000 ق.م)، وجغاميش في جنوبي دزفول (6500-3000 ق.م)، وتلّة
زاغة في جنوبيّ قزوین (6470-5200 ق.م)، وسِتلك كاشان (5500-3200 ق.م)، وتلّة حاجي فيروز في جنوبيّ بحيرة أروميه (6000 ق.م)؛ وتلّة قلعة
دامغان (4200-3500 ق.م)، وتلّة هفتوان في الشمال الغربيّ من بحيرة أروميه
(4500-4000 ق.م)؛ وتلّة باكون سهل مرو في فارس (4500-3400 ق.م)،
وتلّ إبليس في مَشيز کرمان (4000-3000 ق.م)، وتلّة الشاه في الشمال
الغربيّ من جرجان (3200-1000 ق.م)، ومدينة سوخته* في شماليّ زاهدان (3200-1800 ق.م)، وتلّ مليان بالقرب من شیراز (3000-1200 ق.م)،
وتشغاز نبيل* (1265-1245 ق.م)، ونوشيجان في الشمال الغربيّ من ملایر (750-600 ق.م) (←آثار البيوت في إيران، أمكنة متعدّدة).

تُشاهد في هذه الآثار خصائص كل حضارة من الحضارات وكلّ موضع
محدّد، كما أنّ بينها عناصر مشتركة كذلك. لا تخضع تصاميم ومجموعات
المنازل لهندسة منظّمة. الجدران من التبن والطين، أو من اللبّات الكبيرة
الحجم. في الغرف آثار لمصاطب تشبه الأسيرة، وموقد، وفرن، وسلّم، ووجاق،
ومخزن وإسطبل وفي بعض الحالات مطبخ. أسطح المنازل من الألواح
الخشبيّة المغطّاة بطبقة طينيّة، أو الطين المخلوط بالتبن. صُمّمت المنازل
صغيرةً تلبي حاجات سكّانها المختلفة. فعلى سبيل المثال في منطقة حاجي
فيروز الأثريّة (في أذربيجان الغربيّة) بيتٌ تبلغ مساحته التقريبيّة من ثلاثين إلى
أربعين مترًا مربّعًا، كان يتضمّن حيّز المعيشة، والعمل والباحة (م.ن، ص 68).

بُنيت منازل مدينة سوخته بتنظيم هندسيّ، وجدران قائمة الزوايا، وفيها أنواع من المدافئ، وُصْفَة، وأسقفها من الألواح الخشبيّة، وفيها سلّم داخليّ، ورسومٌ متنوّعة (م.ن، ص 228-229). في تلّ مَليان بُنيت المنازل السكنيّة مناسبة للعمل الصناعيّ، وفيها معملٌ يتضمّن بعض العناصر كالموقد، والمخزن، والمصطبة، وكانت مبنيةً باللّبن الخام. الميزة الفريدة من نوعها في هذه البيوت وجود باحة في الوسط محاطة بالغرف (← م.ن، ص 244، 254). في المرحلة الإسلاميّة، جعلت قلّة الشواهد التاريخيّة على المنازل العائدة إلى الحقبة الممتدّة من عصر صدر الإسلام إلى ما قبل العصر الصفويّ (حك: 906-1135هـ) الدراسة الدقيقة على أساس الوثائق والمستندات أمراً صعباً. فضلاً عن هذه القلّة، تُعطي التحقيقات الأثريّة في المدن قبل الإسلام، تصوّراً ناقصاً عن عمارة المنازل في هذه المرحلة. علماً أنّ بعض المصادر، أوردت، عن المرحلة السابقة على العصر السلجوقيّ، معلوماتٍ حول بعض المنازل العائدة إلى القرنين الرابع والخامس الهجريّين (← المقدسيّ، ص 449؛ ابن حوقل، ص 466؛ ناصر خسرو، ص 164).

مدينة جرجان* من المدن التي بُنيت فوق أطلال مدينة ساسانيّة (كياني، ص 230). عُثر في هذه المدينة على آثارٍ منزل (هو على الأرجح سامانيّ-سلجوقيّ). يتضمّن هذا المبنى باحة، وغرفاً وعدداً من آبار المياه، والقنوات، بُنيت كلّها بموادّ البناء والآجرّ والجصّ، ومساحات الغرف متفاوتة، إنّما المساحة المعتمدة بشكل عامّ 3×4. غُطيت الجدران بطبقة من الجصّ، ورُصفت أرض الباحة بقطع الآجرّ المربّعة الشكل (م.ن، ص 233).

على أساس التنقيبات الأثريّة التي اعتمدت عليها دراسات مدينة ميبد، عُثر على منازل قيّمة تعود إلى عصر آل المظفرّ بين العامين 720 و795هـ. هذه المنازل فريدة من نوعها، ومثيرة للاهتمام، وتُساعد في دراسة المسار التاريخيّ لبناء المنازل في منطقة يزد. مساحة هذه البيوت بين ثلاثمائة وأربعمائة متر مربّع، وتتضمّن باحة صغيرة في الوسط، مساحتها من 15 إلى 24 م، بمقياس قاعة أو صُفّة كبيرة. أجزاء المبنى الأخرى كلّها مفتوحة على هذه الباحة، ممّا يجعلها حيّزاً للتّترّه، ففي مثل هذه المساحة الصغيرة، لا يمكن إنشاء حوض وحديقة، كما هو الحال في المنازل اليزديّة الأكبر. احتلت المحور الأساسيّ للمنزل المتّجه من الشمال الشرقيّ إلى الجنوب الغربيّ، صُفّتان أو إيوانان أساسيّان. إيوان القبلة عادةً أكبر، ويُستخدم في فصل الحرّ. الإيوان الشماليّ أقلّ عمقاً، وتوجد غرفة خلفه، مقفلة على الخارج، ملائمة للشّتاءات الباردة في المناطق الصحراويّة، بعد أن تُجهّز بمدفأة أو تتور. في هذا المنزل الباحات الصغيرة، تمنع حُسن الاستفادة من حرارة أشعّة الشمس في الشّتاء. في المحور الشرقيّ- الغربيّ غرف أو مصاطب أخرى. الطنبي (بمعنى القاعة، أو

إلى حدٍّ ما الإيوان) غرفةٌ صيفيَّة، خلف الصُّفَّة أو الإيوان. تقع العناصر الأخرى كالمطبخ والرواق في الجهتين الشرقيَّة والغربيَّة. الموادُّ الأساسيّة لهذه المنازل من الطين واللبن، وأسقف المساحات الكبرى حديدٌ مقنطر، كما تُشاهد في هذه المنازل نماذج من التقسيم العمليّ. اعتُمد نوعٌ من القبة الصغيرة فوق أرضيّة مثمّنة في إحدى منازل ميبد، استُخدمت في زخرفة أركانها المقرنصات، والتقسيمات اليزديّة (← ذكر العامليّ وإسفنجاري كناري، ص 167، الصورة 4، ص 188، 194، 196، الصورة 45).



ل. ذكر العامليّ و ع. إسفنجاري كناري، طهران 1420 هـ، ص 167

خريطة الأرضيّة الخارجيّة لمنزلٍ في ميبد، عصر آل المظفر
1- الساكف. 2) المدخل 3) الباحة 4) الإيوان الرئيسيّ (الصُّفَّة) 5)
الإيوان الصغير 6) الغرفة 7) الطنبي [القاعة] 8) الأجزاء الجانيّة الشبيهة
بالأواوين.

في القرن التاسع الهجريّ، أورد الجعفريّ في كتابه تاريخ يزد (ص 85-87) أسماء عدد من عناصر البناء والفضاءات في منازل يزد منها: الصُّفَّة (أربع صُفَف)، الحديقة المشجّرة، الحوض، المحكمة، الطنبي [القاعة]، غرفة الجلوس، الملقف، الردهة، والقبو. وضع هذه العناصر المعماريّة في مساحة ما، يمكننا من تقديم تصوّر لتلك المنازل: منزل ذو باحة مركزيّة في الوسط مشجّرة وفيها حوض مياه، ويتضمّن محورين أساسيين: شماليّ شرقيّ وجنوبيّ غربيّ، وتحتلّ كلّ جهة من الجهات الأربعة صُفَّة. الطنبي أو القاعة تقع على الأرجح خلف صُفَّة القبلة، وبها تتّصل ملاقف الهواء، تحت المنزل هنالك قبو. إحدى النقاط الأخرى التي وردت الإشارة إليها في كتاب تاريخ يزد، يأتي بناء المنازل مترافقاً وبناء مجموعة من المباني العامّة كالمسجد والبركة، والحمام، والمطحنة وغيرها، ليتمكّن أهالي المحلّة من استغلال مصادرها (م.ن، ص.ن). من العصر الصفويّ حتّى العصر القاجاريّ، هنالك بيوت لا تُحصى لا تزال قائمة. على أساس النماذج الموجودة، والشواهد التاريخيّة الأخرى، يمكننا أن نرسم صورة لسماتها العامّة. من الملاحظ، لأسباب مختلفة، تجمع منازل العصر الصفويّ في بضع مدن كإصفهان ويزد ودرفول. في بعض المدن كشيراز وكاشان، لم يبقَ من منازل ما قبل العصر القاجاريّ سوى عدد قليل بسبب الزلازل والهزّات الأرضيّة المتكرّرة. هنالك منزل في مدينة درفول يشبه

منازل العصر الصفويّ من حيث استخدام بعض العناصر المعماريّة كالأقواس المسنّنة، والرسوم الأجرية الأصلية.

الميزة المهمّة للبيوت الإصفهانيّة، وجود البيوت الخاصّة بالمسلمين، والأخرى الخاصّة بالأرمن، وتُظهر المقارنة بينها بعض الأمور اللافتة. شاهد شاردن²⁵ (مج 8، ص 71-76) فضلاً عن وصفه للمباني الصفويّة الكبرى، عدداً من منازل التجار والأعيان الإصفهانيّين. هذه المنازل تتألّف من قسمين داخليّ وخارجيّ، لا يُسمح للأجنبيّ أن يدخل القسم الداخليّ [الحريم أو حرمسرا بحسب تعبيره]. كانت الحديقة الصغيرة، والأحواض الجميلة والغرف العديدة المحيطة بالباحة، من أجزاء هذه المنازل. تحيط بالباحة من عدّة جوانب القاعات الكبرى ذات الأعمدة، وخلف القاعات أُرسي [غرفة ذات نافذة زجاجيّة مؤطرة مشرفة على الباحة]. التليسات من النوع المقنطر والمستوي، ومزخرفة بزخارف متنوّعة، من الخشب المحفور والمطعم، والمصفح بالمينا، وأعمال التذهيب، والنحت، والكتابات المتنوّعة بالخطوط الجميلة، وبأشكال فائقة الجمال. ومن العناصر الداخليّة للغرف السجّاد الجميل والوسائد، والأسيرة الخشبيّة.

منزل إمام الجمعة في إصفهان، ذو الباحة المركزيّة في الوسط، أنموذج معبر عن تنظيم الفضاءات المختلفة المحيطة بباحة أو أكثر، بوجود محور متين شماليّ-جنوبيّ. الباحات تضمّ الجزء الداخليّ والجزء الخارجيّ والمنافع. ومن الخصائص الأخرى لهذا المنزل القاعات الكبرى ذات الأعمدة الخشبيّة، والأقواس المسنّنة، واستخدام الفسيفساء الجميلة في التليسات، وغير ذلك من الزخارف المتقنة الصنع.

من المنازل القائمة المنسوبة إلى العصر الزنديّ، أرك كريمخاني (قصر كريمخان)، الذي كان منزله الشخصيّ، وبيت آخر باسم زكي خان أو محتشم، الذي يعدّه البعض منزل زكي خان أخي كريم خان، والبعض الآخر يرى أنّه منزل زكي خان القاجاريّ (ورجاوند، ص 81-84). ما يلاحظ في هذين البيتين استمراريّة التقليد الإيرانيّ في بناء البيوت، بالإضافة إلى السمات الشيرازيّة المحليّة. قصر كريم خان المسمّى الأرك، أو القلعة، إن ألغينا الأبراج المدوّرة في زواياه الأربع، وقلّلنا من ارتفاعه، وصغّرنا حجمه، يُصبح بيتاً شيرازيّاً عادياً (←كريمخاني*، مجموعة).

معظم المنازل الباقية في النسيج التاريخيّ للمدن الإيرانيّة الكبيرة والصغيرة كإصفهان وشيراز وتبريز ويزد وكاشان وطهران وزواره ونائين يعود إلى العصر القاجاريّ. البيوت القاجاريّة التي بُنيت امتداداً للبيوت التي

²⁵ -Chardin

سبقتها، تعرّضت للكثير من التغييرات طيلة ما يقارب القرنين من عمر السلطنة القاجارية.

تُقسم البيوت العائدة إلى العصر القاجاريّ في إيران إلى ثلاث مجموعات: الأصلية، والتي لحقتها تغييرات طفيفة، والتي تعرّضت لتغييرات جذرية.

المنازل التي تُصنّف ضمن المجموعة القاجارية الأصلية، عناصرها وأجزاؤها كلّها إيرانية. مخطّط المنازل يحتفظ بأصالته السابقة، ولا يُلاحظ في المظهر الخارجي للمبنى أيّ تغيير. فعلى سبيل المثال في المنازل القاجارية الأصلية في يزد، استُخدمت كما في السابق الأقواس المسنّنة، والعقود المخفضة ذات الأقواس الحدوية. استُخدم في المنازل الشيرازية موزّعات الأشعة العمودية والأفقية الآجرية ذات القُمرات الزجاجية. تُلاحظ نماذجها في بعض منازل الكازرونيين (بقي منها باحة) (← معماريان، 1386 شـ [2007 م، ص 230، 236]).

بقي المخطّط بهذا الشكل القديم نفسه مع تغييرات طفيفة في المنازل القاجارية، إنّما طرأ شيء من التغيير في الزخارف وبعض العناصر الأخرى. هذه المجموعة من المنازل، لقيت رواجاً منذ منتصف العصر القاجاريّ (حك: 1210-1344 هـ)، وعلى الأرجح منذ عصر ناصر الدين شاه. استُخدمت فيها الأقواس شبه الدائرية في الواجهات، وعناصر زخرفية كالنقوش شبه الغربية. استخدام هذه العناصر يعبر عن اهتمام بعض الإيرانيين بالعمارة وحتى بالمناظر الغربية. كما تدل هذه التغييرات على تغييرات أكثر جذرية، حدثت في أوائل العصر القاجاريّ وبالأخصّ في أوائل العصر البهلويّ (حك: 1925-1978 م). (للاطلاع على أنموذج المنازل القاجارية في قم ← العزب، ص 101-110).

المنازل القاجارية ذات التغييرات الجذرية هي منازل طرأت عليها تغييرات أساسية وعديدة، إنّ في المخطّط وإن في العناصر الأخرى. فعلى سبيل المثال بُنيت في شيراز منازل من طبقتين كاملتين، ذات أقبية قليلة الارتفاع عن أرضية الباحة، أشبه بالطبقة الأرضية. بيت بصيري أنموذج من هذا النوع. في هذا البيت، المساحات تحت الأرض تنخفض عن أرضية الباحة درجتين أو ثلاث درجات. تُفتح أبواب أجزاء المبنى على الباحة مباشرة. في الطبقة العليا أيضاً، وُضعت أبواب ونوافذ كبيرة ذات أقواس نصف دائرية مائلة أو مستوية. فرض ارتفاع الطبقة العليا زيادة في عدد درجات السلم، ولهذا السبب استُخدمت السلالم الخارجية. من نماذجها منزل عطرّوش الشيرازي (← غضبانبور، ص 212).

من مظاهر التأثير الثقافي في عمارة المنازل، إقامة جناح خاص بالحريم، وجناح للضيوف في المنازل الإيرانية. لا تتوافر في متناولنا شواهد دالة على فصل الحريم في عصور ما قبل الإسلام. ما نعلمه فقط، أنه في بعض النماذج الباقية لحظ الفصل بين جناح الحريم، والقسم العام من المنزل أو القصر.

في المنازل العائدة إلى المرحلة الإسلامية هنالك ثلاثة أنواع من الفصل الماديّ- الحريمي. الأوّل بأبسط أنواعه، الفصل بين مكان العائلة ومكان الضيوف في غرفة أو حيز واحد. في هذه الحال النساء يجلسن من ناحية والرجال من ناحية أخرى. مثل هذا الأنموذج يلاحظ في المنازل ذات الغرفة الواحدة في شماليّ إيران، وفي الخيام أو الأكواخ العشائريّة. في النوع الثاني الفصل الماديّ للحريم من خلال تصميم جناحين أو غرفتين متجاورتين لهما الشكل نفسه، واحدة للنساء وأخرى للرجال. النوع الثالث بالفصل الماديّ الكامل بين حرّمي النساء والرجال. يُلاحظ هذا الأنموذج في المنازل البسيطة للعشائر، والمنازل القرويّة والمدينيّة، والأنموذج البارز منها المنازل ذات القسمين الداخلي والخارجي.

للدلالة على تنوّع فصل الحريم نشير إلى بضعة نماذج من منازل المدن والقرى في ضواحي الخليج الفارسيّ وخوزستان. تقع المضيفة أو المجلس أو الغرفة التي يُستقبل فيها الضيوف أحياناً في حرّم المنزل أو داخل جدرانها الأربعة. بعد دخول الباحة يقع الجناح الخاصّ وجناح الضيوف في زاويتين مختلفتين، غرفة الضيوف بقرب باب المدخل، وغرفة العائلة من الناحية الأخرى. يُلاحظ هذا الأنموذج أيضاً في المنازل ذات الباحة المركزيّة في الوسط في المدن الكبرى. هنالك بعد اجتياز الممرّ وقبل دخول الباحة، تقع غرفة الضيوف، ولُحظت الجهة الأخرى من الباحة للعائلة.

إقامة مدخل للمجلس (غرفة الضيوف من الرجال) خارج حرم المنزل، طريق حل آخر للحؤول دون اجتياز الضيوف للباحة. هنا حيز المضافة في داخل الجدران الأربعة للمنزل، لكنّ مدخلها من خارج المنزل. أحياناً تكون غرفة الضيوف خارج جدران البيت الأربعة، ولها مدخل مستقل، ولها باب يُفتح على الداخل. في هذه الحال، غرفة المضافة أو المجلس منفصلة كلياً عن جدران البيت الأربعة، ولا يربطها أيّ رابط عضويّ بالبيت.

تُلاحظ سمات هذه النماذج الأربعة في البيوت الصغيرة والكبيرة ذات الباحة الوسطيّة في مختلف المناطق الإيرانية. ويُلاحظ الفصل أيضاً بين الجناح الخاصّ وجناح الضيوف في المنازل ذات الباحثين أو أكثر. فعلى سبيل المثال في بيت رسوليان في يزد بعد دخول الردهة، ينفصل الجناح الداخلي عن الجناح الخارجي (← معماريان، 2007م/ 1427هـ، ص 310، 316-317). في

منزل صالح في شیراز لكل من الجناحين الداخلي والخارجي باب مستقل. منزل زينب الملك و نارنجستان قوام في شیراز، كانا أشبه ببيت واحد ذي جناحين داخلي وخارجي. فنارنجستان قوام كان هو الجناح الخارجي للمنزل، وهذان الجزءان كان يفصلهما زقاق عن بعضهما، وكان المنزلان يتصلان من خلال ممر تحت الأرض (م.ن، ص 208).

من أهم ما كان يؤرق المعمارين الإيرانيين تأمين الراحة في مواجهة الظروف المناخية القاسية: أشعة الشمس والحر والبرد والرطوبة الزائدة. لقد حاول هؤلاء المعماريون إيجاد طرق حل مختلفة لتحويل المنزل إلى مكان مناسب للصيف الحار والبرد القارس.

كان البدو يرتحلون في الفصول المختلفة إلى الأمكنة الملائمة. ولم يكن هؤلاء يستخدمون نوعاً واحداً من الخيام أو على الأقل كانوا يغيرون جنس الخيمة. كانت الخيام الشتوية أسمك والخيام الصيفية أرق، وكانت الفواصل بين قطع الخيمة مفتوحة في الخيام الصيفية للسماح بمرور الهواء. في بعض الأمكنة كانوا يضعون اللباد فوق الأكواخ أو الخيام، للحؤول دون دخول البرد إلى الداخل. كان وجود الموقد في داخل الخيمة يساعد على التدفئة في الشتاء (← الخيمة*).

كان سكان المنازل القروية والمدينية يتنقلون في داخلها بحسب الفصول. هذه الحركة كانت تتم بمقتضى المناخ، في دائرة نهائية- ليلية. في بعض الحالات أيضاً كان الأثرياء يملكون منزلين، واحد في المدينة لفصل الشتاء، وآخر في المصيف لفصل الصيف، لكن هذا الأمر لم يكن متاحاً لكل الناس. هذه النماذج يمكن مشاهدتها في طهران ورودبار قصران، ولاهيجان وديلماني، وبوشهر، وبهمني (← م.ن، ص 59). نلاحظ في البيت الإيراني حركة فصلية في فصلي الحر والبرد، وهذا ليس أمراً خاصاً بإيران، بل هو أمر شائع في جميع الأصقاع الإقليمية.

يجري التحرك الفصلي في فصل الحر من الغرف والفضاءات الحارة إلى الأمكنة الباردة في المنزل. المكان البارد، هو المكان المظلل والبعيد من أشعة الشمس. في المناطق الحارة والجافة، هذه الأمكنة تقع تحت الأرض، وفي الجهة التي تدير ظهرها للشمس. يُشاهد أحد أبرز نماذج الأمكنة الصيفية في مدينة يزد. ففي منازل يزد، القبو تحت الأرض جزء لا يتجزأ من عجلة الحياة. في هذا البيت من الصباح إلى حين اشتداد درجة الحرارة كانت تُستخدم القاعة، والباحة أو الأواوين الصغيرة في الجهة الشرقية، بعد ذلك ينزل السكان إلى القبو، ويبقون فيه حتى العصر. وهكذا يقضون قسماً لا يُستهان به من النهار، أي منذ الساعة التاسعة تقريباً وحتى العصر في القبو. عند المغرب ينتقلون إلى

الباحة الكبرى، ويجلسون فيها- وأمامهم حوض المياه-، المرحلة الأخيرة، هي التحرك الليلي، حيث ينتقلون إلى النوم فوق الأسطح.

التحرك الفصلي في منازل المناطق الرطبة يتم على نحو آخر. في شمالي إيران حيث المناخ معتدل ورطب. تقع الأماكن المخصصة للجلوس في الطبقات العليا (حيث يكثر هبوب الرياح). والقاعة- وهي مكان نصف مفتوح - مناسبة لهذا الفصل (← نفسه، 2007م^{الف}/1427هـ، ص 123).

في المنازل المسمّاة كوتام في الشمال، والتي تتألف من طبقتين، وتُستخدم في فصل الصيف، مساحة كل طبقة منها تعادل مساحة غرفة واحدة. الطبقة الأرضية- المسدودة بالحائط- تُستخدم لإيواء المواشي، أما الطبقة العليا ذات الأعمدة الخشبية فتؤدي دورَ مَلَقَف الهواء، مع الفارق أنّ أهل المنزل يقيمون فيها (← م.ن، ص 99، 101، الصورة 90).

تُشاهد طريقة حلّ مشابهة في منطقة بوشهر الحارة والرطبة. في بيوت بوشهر تقع أماكن الإقامة الشتوية والخريفية في الطبقة الأرضية، والصيفية في الطبقتين الثانية والثالثة، حيث يكثر عدد النوافذ التي تحوّل الغرفة، إن فتحت إلى مَلَقَف هواء. صُمم البيت على نحو يُتيح للهواء التحرك في كلّ أنحائه (← نفسه 2007م^ب/1427هـ، ص 68، 94-95).

في سواحل الخليج الفارسي تُستخدم الملاقف الكبيرة. هذه الملاقف توضع في مواجهة إحدى الغرف، فيبرد مجرى الهواءِ جوَّ الغرفة. يُشاهد مثل هذه الملاقف في مرفأ كُنج، ولُنْغِه وقشم (← م.ن، ص 77، 80، 83).

في مدينة دِزفول- الواقعة في حَيَر جغرافي حارّ ورطب- يوجد مكان اسمه شوادان محفور في أعماق الأرض. ويبلغ عمقه ضعفي عمق سراديب يزد أو أكثر ويمكن تشبيهه بالباياب [الحفرة تحت الأرض] أو مكان مرور قنوات المياه الجوفية، في المنازل اليزدية. تصل البرودة في هذه الحفر في الصيف إلى حدّ استخدامها ثلاجة. يضع فيها اليزديون المواد الغذائية المعرضة للتلف، ويعالجون مشكلة تجمع الرطوبة بواسطة قنوات هوائية متصلة بالباحة (← ربوي ورحيميّة، ص 192-208).

لم تقتصر الحلول الإقليمية على إعداد الأماكن لملاءمة الفصول المختلفة. بل حاول المعمارِيُّون الإيرانيُّون التصدي لمشكلة الظروف المناخية السيئة، من خلال حُسن اختيار موادّ البناء الملائمة، وبناء جدران مزدوجة، وغير ذلك من الطرق، ويبدو أنّ التوفيق حالفهم في حينه.

موادّ البناء والمباني. يُعطي المعمارِيُّ البيتَ الشكل المطلوب، من خلال استخدامه الموادّ المتوافرة في بيئته، فيوجد علاقة بين البيئة المصنوعة والبيئة الطبيعية. ما يُسمّى في العمارة الإيرانية "الناتج المحلي" ناجم عن هذه العلاقة (بيرنيا، 2001م/1421هـ، ص 31). في البيئات الطبيعية التي يوجد ضمن

عناصرها تماثلُ خاصّ، يُلاحظ نوعٌ من التشابه في استخدام موادّ بناءٍ خاصّة. فعلى سبيل المثال في جيلان، حيث تكثر الموادّ النباتيّة كالأشجار والقش، يُلاحظ أنّ النوع المسيطر في الموادّ المستخدمة في بناء المنازل هو الخشب والموادّ النباتيّة (← معماريان، 2007م^{ألف}، ص 87، 89). من ناحية أخرى في المناطق الجافّة، التراب هو مادّة البناء الرئيسيّة. تُستخدم في بعض المناطق أيضًا توليفة من المادّتين. وذلك سائدٌ أكثر في الأمكنة حيث تُستخدم الموادّ الطينيّة وما يتقرّع منها كاللبن الخام والمصنّع، وكذلك الأشجار كأنواع الحور أو النخيل. ويشيع استخدام موادّ البناء هذه في جنوبيّ إيران، وفي مناطق زاغرس الجبليّة (← نفسه، 2007م^ب/1427هـ، ص 157).



العمارة الإيرانيّة، تصوير كسرايين [طهران] 2002م/1422هـ،
الصورة 37.

منزل قرويّ في لاهيجان

تُستخدم مواد البناء الحجريّة، لتشييد العناصر المعماريّة العموديّة. ففي بوشهر تُبنى الجدران بالحجارة المحليّة المرجانيّة، وفي ماسوله، تُبنى أجزاء من الجدران بالحجارة (← نفسه، 2007م^{ألف}/1427هـ، ص 232). وفي بعض نواحي كردستان كلّ الجدران حجريّة، ويُستخدم أحيانًا المِلاط (أيضًا ← بناء/ينائي *).



Masuleh, photo. S. M. Aznaveh, et al, Tehran 2001, p. 6

منازل ماسوله

في المنازل الإيرانيّة يمكننا تعريف نوعين من موادّ البناء المتشابهة: الموادّ الخشبيّة، والحجريّة، أو الآجريّة. الموادّ الخشبيّة شائعة في منطقة الشمال الخضراء. حيث تقرض الرطوبة الزائدة والمياه السطحيّة، أن تكون أرضيّة المبنى أعلى قليلًا من مستوى سطح الأرض. طريقة الحلّ اللافتة لهذا العمل استخدام الشكيل [أي القدد الخشبيّة]. يُلاحظ ذلك في القرى الممتدّة من ضواحي لاهيجان إلى حدود رشت، لم يبقَ منها اليوم سوى عدد قليل جدًّا للأسف. بعد إقامة قواعد البناء، يُوضع عدد من الألواح الخشبيّة الضخمة فوق بعضها. العدد يقلّ أو يكثر ارتباطًا بمساحة المباني. يُستخدم لبيتٍ ذي غرفة

واحدة وإيوان من أربع إلى ستّ قددٍ. هذه القددُ ترفع أرضيّة البيت من متر إلى مترين، وتوجد نوعًا من الخلاء تحتها (م.ن، ص 92، الحاشية 8؛ نفسه، 2008م/1428هـ، ص 45-46).



العمارة الإيرانية، تصوير كسراييان [طهران] 2002م/1422هـ،
الصورة 28

منازل قرية أورامان تحت، مريوان.

لبناء الفضاءات فوق الأرضيّة الخشبيّة، تُستخدم الأعمدة الخشبيّة ونوعان من الجدران الخشبيّة: هما الزغاليّ والزغمئيّ. الجدران الزغاليّة من الألواح الخشبيّة القليلة الضخامة، يُحشّى ما بينها بالقطع الخشبيّة الصغيرة، أو أغصان الأشجار، ثمّ تُطَيّن. في الجدار الزغمئيّ توضع سوق الأشجار أفقيًا فوق بعضها، ويُحشّى الفراغ في ما بينها بالطين. الغطاء الخارجيّ يُصنع من الخشب أيضًا. التلبيسات الخشبيّة ذات انحدرات، تُغطّى بقشرة خارجيّة. هذه القشرة الخارجيّة تكون إمّا حُزمًا من نباتات المستنقعات، أو من سوق الأرز، أو الألواح الرقيقة، أو كسر الخشب، أو الفخار (← نفسه، 2007م^{الف}/1427هـ، ص 97-99).

في بعض المناطق الإيرانيّة حيث تقلّ الأخشاب تُستخدم موادّ البناء الحجرية والآجرية. في مثل هذه المباني هنالك علاقة لا تتفصم بين عناصر البناء العموديّة وبين السطوح الخارجيّة. حين يُقدّم البناء على إقامة الجدران يكون على معرفة بنوع القشرة الخارجيّة الملائمة، ويحدّد لهذا المبنى سماكة المكوّنات الجداريّة. في العناصر الخشبيّة، يتمّ الوصل بين الأعمدة والألواح بأساليب بسيطة من خلال التعشيق أو الوصلات النباتيّة، وفي العناصر الآجرية والحجرية لمنع الانزلاق، كانت تُعتمد الدقّة القصوى في تنزيل ثقل القنطرة على الجدار.

العمائر المبنية كلّها بالآجر أو اللّبن شائعة في معظم المدن المحاذية للصحراء، مثل كاشان وسمنان وإصفهان ويزد وكرمان ونائين وزواره، ومعظم نواحي خراسان لا سيّما الصحراويّة منها، وعدد كبير آخر من القرى. عادةً يُقام هذا النوع من المباني محيطًا بباحة وسطية، ويُخصّص قسمٌ منه قبوًا. القبو إمّا أن يُحفر في باطن الأرض، أي أنّ الأرض تكون صلبة فيُحفر فيها ما يشبه النفق، كبعض نواحي يزد ونائين، أو تُسطّح الحفرة وتُقام تحت حائط متعرّج مقنطر. في القبو تُستخدم عادةً العقود الحديدية. في الطبقة

الأرضية تُستخدم أنواع العقود الحديدية المحدبة، وإلى حدٍّ ما الجملونية. للمنافذ الكبرى في القاعات والصفوف والغرف ذات النوافذ الكبرى المفتوحة على الفناء، تُستخدم الأقواس الحديدية السهلة التنفيذ. لاستخدام الأقواس والقناطر ارتباط وثيق بالثقافة المحلية (لمزيد من الاطلاع ← القنطرة والقوس*). على سبيل المثال، من الشائع في زواره استخدام الأقواس المحدبة والجملونية، فبيوت زواره ذات الصفوف الأربعة، تحتوي على فناء داخلي في الوسط، له زوايا أربع، وهو قريب من المربع، قوسه جملوني، والصفوف مسقوفة بعدد من الأقواس المحدبة. القوس المحدب له عدة ميزات: الأولى إمكانية تنفيذه السريعة، والثانية خفته، والثالثة ارتكازه على دعائم تجعله شبه دائري.

هنالك نسبة كبيرة من البيوت الإيرانية اعتمد الأسلوب المركب في بنائها. هذا الأسلوب المعماري شائع في عدد من المدن الكبرى كشيراز وبوشهر، وطهران، وعدد من القرى والبلدات مثل أبيانه وماسوله ونواحي عديدة من لرستان وكردستان، وفي أي مكان تتواجد فيه الأخشاب. في شيراز حيث اعتمد الأسلوب المركب، استخدم في الطبقة الأرضية اللبن والأجر في بناء الجدران، والألواح الخشبية للأسطح والكسوات (← م.ن، ص 157).

في الأسلوب المركب بعد إقامة العناصر العمودية كالجدران أو الأعمدة، تُستخدم لتسطيح سقفها الجسور الخشبية الرئيسية وعدد من الألواح والعناصر الفرعية. هذا التسلسل يُنفذ في معظم المناطق الإيرانية مع اختلاف طفيف في نوع المواد، إنما تظهر فيه فروقات واضحة أحياناً. ففي ماسوله مثلاً توضع فوق الجدران جسور خشبية ضخمة تُسمّى جبرين. هذه الجسور أو الألواح تبلغ سماكتها من ثلاثين إلى أربعين سنتيمتراً، من جذوع الأشجار الحرجية الضخمة، تُرصّف بعد ذلك ألواح فرعية مساعدة بفواصل ما بين عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً، وتُحشى الفواصل بقطع خشبية مسطحة، ويُفرش فوقها قش السرخس البري الجاف. يُعطى القش بأنواع الطين، لتسطيح السقف (← نفسه 2007 م^{الف}/1427 هـ، ص 236، 238-239).

النوع الشائع من الأسطح الخشبية، يتشكّل من خلال وضع الدساتر فوق الجدران، وتمدّ أغصان الأشجار أو رُزم القصب موصولة بالدساتر، وتُحشى الفراغات بينها بقطع الخشب المسطحة والحصير، ويُصب عليها التراب والكلس ويُيسّط بالمراكز، حتّى تتداخل أجزاؤها وتلتحم، ويتولّى المعماري والبناء الإشراف على تنفيذ هذا الجزء من العمل بشكل دقيق (← نفسه 2007 م^ب/1427 هـ، 157).

عناصر التجوال. نظام التجوال يخضع لعدة عوامل مهمّة. فالعامل الثقافي يودّي إلى وجود أجنحة مختلفة في البيت. بعد تعيين مكان كلّ جناح، تُعيّن أيضاً سُبُل الوصول إليه. والعامل الإقليمي يودّي إلى تعيين عجلة الحركة

اليومية في الفصول المختلفة، وبعد تعيين الأجنحة الصيفية والشتوية في الخريطة، تُعيّن أيضًا سُبُل الوصول إليها. أمّا العامل الاجتماعي في العوائل الممتدة، فيُستتبع بالعيش المشترك لأبناء العائلة الذكور في منزل واحد. تُعيّن الهيكلية المطلوبة لذلك من خلال عدد الغرف. فثلاث غرف صغيرة وغرفة جلوس كانت كافية للعائلة الواحدة، والغرف الكبيرة ذات الأبواب الخمسة والنوافذ الكبيرة المفتوحة على الفناء مشتركة الاستخدام.

كانت كل غرفة من الغرف تحتاج إلى عنصر تجوال كالممرّ مثلاً. يختلف تنظيم عناصر التجوال في نمط البناء المفتوح على الخارج (من دون فناء)، والمفتوح على الداخل (الذي يتوسطه فناء أو باحة). في النمط الأول القسم الرئيسي هو الممرّ والدرج، وفي النمط الثاني، الباحة الداخلية هي أهم عناصر التجوال في المباني المفتوحة على الخارج، لكون الخريطة محتشدة العناصر، قلما استخدمت الردهة. في حين أنّ الردهة من أهم العناصر في المنازل المفتوحة على الفناء الداخلي.

عناصر التجوال المستخدمة في خارج البيت وفي داخله، تضمّ الباب، والردهة، والممرّ والرواق للبيوت التي لا ردهة لها، هي أنواع الممرّات، والسلالم والفناء والعناصر الخاصة.



ف. الكاتب. عمارة البيوت الإيرانية، طهران 2005م/1425هـ،
الصورة 175.

مدخل منزل شكارگاه، سمنان، العصر القاجاري (الصورة لسعيد
المحمودي من تاوه).

ساكف الباب عنصر معماري يدلّ إلى حدّ ما على المكانة الاجتماعية لصاحب البيت، حين تحتشد فوقه الزخارف. على جانبي الباب صُفّتان للجلوس، وفوق الباب ساقوطة ومطرقة. كانت الأبواب عادةً من مصراعين، لكن تُشاهد أبواب ذات مصراع واحد أيضًا في بعض المناطق مثل أبيانِه و ماسوله (← نفسه، 2007م^{ألف}/1427هـ، ص 264، الصورتان 261 و 277). تعلق أبواب مداخل المنازل في مدينة بوشهر كُوى أو مشبكات معدنية للتهوية. "الباب" يُبيّن الحدّ الفاصل بين الداخل والخارج. وليس "الباب" بالضرورة هو الذي يمنع رؤية الداخل، وإنّما هو الفاصل العام بين الداخل والخارج، كي لا يدخل الغرباء المنزل من دون إذن (← نفسه، 2007م^ب/1427هـ، ص 90).

إنّ طلب الإذن لدخول المنزل، أو الحريم الخاصّ بالعائلة، من النقاط التي وردت الإشارة إليها في القرآن (← النور: 28-29). أن يقول الداخل "يا الله"، لإعلام أهل المنزل بدخوله، وكى لا يدخل من دون إذنهم، من النقاط المهمة في العلاقات الاجتماعية. فحتّى إن كان "الباب" لا يحجب الرؤية، طلب الإذن بالدخول إلى حرّم المنزل ضروريّ. وربّما كان هذا الأمر يصدق على المنازل القروية (مثل جيلان)، المحاطة بالأسلاك، ويمكن مشاهدة داخل فناء البيت أو محوّطته من الخارج (← معماريان، 2007م/1427هـ، ص 109). في هذه المنازل باب الدخول هو الحدّ الفاصل بين الداخل والخارج. وهو في معظم المناطق الإيرانية العنصر الذي يمنح العائلة الطمأنينة النفسية والأمان. من ناحية، يضرب الغرباء الساقوطة أو المطرقة للإعلان عن مجيئهم، ومن ناحية أخرى يشكّل حاجزاً يمنع الآخرين من الدخول إلى المنزل، وربّما لهذا السبب جُعِلت أبواب منازل أبيانه واطنة، لتحول دون دخول الفرسان إليها.

بعد باب المدخل، هنالك الردهة، أو الدهليز أو الرواق، الردهة المسمّاه بالفارسية هشتى [المثمنة]، ليست بالضرورة ذات ثمانية أضلاع، وإنّما بُنيت بأشكال أخرى. في الحقيقة كان النوع البارز هو المثمن، وكانت تغطى بطيقتان متقنة (بيرنيا، 1992م/1412هـ، ص 160؛ 173، الصور). للأروقة المربعة أو المستطيلة في البيوت التي تقتقد إلى الفناء الوسطي مكانة مهمة، بحيث تحيط بها سلالم الطبقات العليا، والمخزن والزريرة (م.ن، ص 161). تُشاهد نماذج منها في ماسوله وأبيانه (← معماريان، 2007م/1427هـ، ص 241).

تتّصل الردهة بواسطة ممرّ أو أكثر بالفناء. وفي خطّ السّير هذا يوجد سلّم السطح، والبئر، ومداخل الغرف. أمّا الفناء ففضلاً عن استعمالاته الأخرى، كان من أهمّ عناصر التجوّل. يتمّ الوصول إلى السطح من خلال الممرّات، وإلى القبو والمطبخ والحمام والمراحيض من خلال الفناء.

عناصر التجوّل الأخرى هي الممرّات. ففي المنازل ذات الفناء الوسطي، الممرّ هو الذي يصل الغرف بالفناء؛ تقع الممرّات الصغرى والكبرى إلى جانب الغرف الثلاثية الأبواب، والخماسية الأبواب، وذات النوافذ المفتوحة على الفناء، أمّا في الممرّات الأوسع، فتوجد سلالم غرف الطبقة العلوية، كالحلقة.



غ. معماريان، طهران 2007م/1427هـ، ص 31.

خريطة الطبقة الأرضية في منزل رسوليان، يزد، العصر القاجاري.
(1) الردهة. (2) الفناء الداخلي (3) الفناء الخارجي (4) القاعة (5)
الأرسي أو الغرفة ذات النوافذ الكبيرة المفتوحة على الفناء (6) الممر (7)
(8) غرفة الملقف (9) الإيوان (10) الغرفة الخماسية الأبواب (10) الغرفة
ذات البابين (11) الحوض (12) المطبخ.

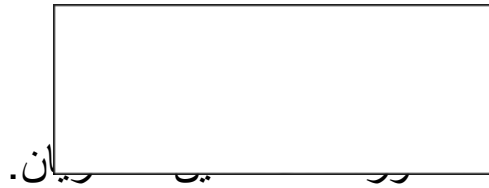
السلام بأنواعها المختلفة، عناصر تجوّل للوصول إلى القبو وغرف
الطبقات العليا، ولا تحتلّ سوى مساحة صغيرة، ولهذا السبب ارتفاعها كبير.
تُتيح السلام في منازل بوشهر الصلة بين الأجنحة الصيفية في الطبقة العليا،
وبين الفناء. في ماسوله والمنازل القروية في الشمال، تُستخدم السلام الخشبية.
تصل السلام في منازل ماسوله إلى ردهة مهمة تُسمّى جُغم، وهي قاعة
صغيرة، تشكل صلة وصل بين الدهليز السفلي، وأجنحة الطبقة العليا (←
م.ن، ص 242 وص 243، الصورة 224).

أهمية الفناء في العمارة الإيرانية، تكمن في أنّ معظم الباحثين وصّفوه
كمعلّم مهمّ، وربطوا بين العمارة الإيرانية والفناء المركزي [الوسطي]. يعود
تاريخ وجود الفناء في المنازل الإيرانية إلى ما يقارب سبعة آلاف سنة. بيّنت
آثار المنازل المكتشفة في تلة زاغة- بالقرب من قزوین التي تعود إلى 6500
-6000 ق.م- أنّها كانت ذات فناء (← آثار المنازل في إيران، ص 40؛ ملك
شهمير زادي، ص 5-6). مبنى جغازنبيل الكبير كان ذا فناء مركزيّ،
استبدلت به في ما بعد طبقات المعبد العليا (بيرنيا، 2001م/1421هـ، ص
49-54). كانت إقامة الفناء شائعة منذ العصر الأشكاني وما بعده، لا سيّما في
العصر الساسانيّ. فالأبنية الموجودة مثل قصر سروستان، تتضمّن فناءً
مركزيّاً. يدلّ استعمال الفناء في المباني القديمة كالمساجد، أنّ الفناء كان
مستعملاً منذ القرن الهجريّ الأوّل، واستمرّ هذا التقليد في العمارة الإيرانية
حتى أواخر العصر القاجاريّ (← م.ن، ص 122، 125، الصورة 49-3).

للفناء استعمالات متنوّعة في المنزل الإيرانيّ، في ما يلي بعضها: دليل
على حرم الملكية، وإضفاء الوحدة على أجزاء المنزل المختلفة، وهو عنصر
تجوّل، ومساحة خضراء مناسبة لتحريك الهواء الملائم، كما أنّه عنصر مهمّ
في تنظيم أجزاء المنزل المختلفة، وهو حرم آمن لرفاهية العائلة، ويشكّل صلة
وصل بين الأرض والسّماء. الاستعمالات المذكورة، تلاحظ وحدها أو على
نحو مركّب في المنازل الإيرانية. في المنازل القروية في الشمال، يُفصل بين
حرم المنزل والأماكن المجاورة بواسطة الأسلاك، ويُسمّى "المنزل المحوّط".
تحتلّ هذا الحرم عناصر المنزل كالمخازن (كندوج)، والمضخّة، والمطبخ.

وهنا يشكّل الفناء صلة وصل بين هذه العناصر (← معماريان، 2007م^{ألف}/ 1427هـ، ص 108-112).

يجمع الفناء المركزي مجموعة الاستعمالات المذكورة أعلاه في مكان واحد. تنتظم في أطراف هذا الفناء الأجنحة المختلفة، ففي شماليه الأجنحة الشتوية، والجناح الصيفي باتجاه القبلة. لكل من الجناحين الشرقي والغربي استعماله الخاص. يصل سكان الغرف الأخرى من خلال الممرات المحيطة بها إلى الفناء ومن الفناء إلى القبو. الوظيفتان اللتان يؤديهما الفناء منظماً لعنصر التجوال، والوصول إلى العناصر الأخرى في البناء، بالغتا الأهمية، وعلى سبيل المثال منزل مهربان، وبيت الطبيب، وبيت معين النجار في بوشهر (← غضبانبور، ص 26، و30-33، الصورة والخرائط).



منظر فناء منزل رسوليان، يزد، العصر القاجاري.
يمنح الفناء جوّاً لطيفاً في فصل الحرّ. فالحوض والأشجار، والجنانن تلطف المناخ. هذه الخضرة يتشوّق إليها الإيرانيون الذين يعيشون في أطراف الصحارى والمناطق الجافة. ومن ناحية أخرى الفناء هو المكان الذي يعيش فيه أهل المنزل جميعاً، وملعب الأطفال، ومركز تجمع أهل المنزل، ومكان العمل المنزلي.

يرتبط شكل الأفنية، ومقاساتها وعددها بالظروف الاجتماعية لأصحاب المنازل. ففناء منازل الطبقتين المتوسطة والقليلة الدخل صغيرة، وأحياناً لا تتجاوز مساحتها مساحة الغرفة الواحدة وتخلو من الحديقة. مع ذلك فإن الحديقة والحوض من أجزاء الفناء المهمة في البيت الإيراني. منازل مدينة بوشهر الواقعة في المدينة القديمة المزدحمة، ذات أفنية صغيرة، مفيدة للتهوية، ومن خلالها يجري الهواء الداخل من كوى المنزل المختلفة. يُقام في الفناء بئر ماء أو خزان مياه، وحديقة صغيرة وحوض صغير (← معماريان، 2007م^ب/ 1427هـ، ص 90-93).

يصل عدد الأفنية في المنازل الكبرى إلى اثنين أو ثلاثة. الفناء الكبير داخلي، والفناء الأصغر للقسم الخارجي أو المضافة. كانت حديقة نارنجستان الفناء الذي يعمل فيه صاحب المنزل. لبيت قوام في شیراز جناح داخلي وجناح خارجي كبيران، لأن قوام كان شخصية سياسية نافذة. يقع فناء الخدمة أيضاً بجانب حديقة نارنجستان. منزل فروغ الملك كان فيه ثلاثة أفنية، وثلاثة مداخل منفصلة، الأول للجناح الداخلي والثاني للجناح الخارجي والثالث

للخدمة، وهناك طريق يصلها ببعضها من الداخل (← م.ن، ص 208، 224، الصورة)،



ف. الكاتب، عمارة المنازل الإيرانية، طهران 2005م/1425هـ، الصورة 211.

غرفة شتوية في منزل في محلة عودلاجان، طهران، العصر القاجاري (الصورة لسعيد محمودي أزناره).

أجنحة المنزل. الغرفة هي الغاية النهائية لبناء المنزل، البيت يتألف من غرفة إلى عدة غرف. في بعض المناطق الإيرانية كقرى جيلان وخراسان تُسمى الغرفة خانه/خونه [البيت]. الغرفة حيز مكاني له أربع زوايا، محصور من ثلاث جهات بالجدران، ومن الجهة الرابعة له فتحتان على الفناء أو الحيز المفتوح نصفياً كالإيوان (على سبيل المثال ← غضبانبور، ص 53-55). استعمال الغرف مرتبط بالعوامل الإقليمية والثقافية والاجتماعية، فالعامل الإقليمي هو الذي يُعين الاستخدام الفصلي للغرفة. على هذا الأساس يُطلق على الغرف أسماء: الشتوية والربيعية وأحياناً الصيفيّة. نظراً إلى كون الغرفة مسدودة، وتقع في معظمها في الجهتين الشماليّة والغربيّة، يمكن القول، إنّ معظمها للاستخدام الشتوي. هذا النوع من الغرف يُشاهد في المنازل اليزدية (← هردغ²⁶، ص 43). الغرف الربيعية التي تُسمى في أبيانه "يورت" أو "فهوري"، تُستخدم في الربيع وجزء من الصيف، لكن قلماً تُستخدم في فصول الصيف الحارة. هذه الغرف متعددة الأبواب ولها نافذة تُفتح على الفناء أو الحيز الخارجي الأخضر. تقع الغرف الصيفيّة لجهة القبلة، لكن في المناطق الحارة والجافة، لا تُستخدم هذه الغرف طيلة النهار، وإنّما يلجأ سكان المنزل إلى القبو أو السرداب (← معماريان، 2007م/1427هـ، ص 294).

يؤثر العامل الثقافي، والاعتقاد بضرورة تكريم الضيف، والفصل بين الأجنحة، في استخدام الغرف، كغرف خاصة، وغرف استقبال. أدى مفهوم تكريم الضيف إلى تخصيص الإيرانيين لاستقبال الضيوف غرفة كبيرة ذات أثاث خاص كالسجاد، والأرائك، والزخارف الجدارية، كالفوف، والتزجيج بالمرايا، والتشبيك. يمكن لصاحب البيت أن يغيّر مكان هذه الغرفة المقفلة. كان موقع هذه الغرفة في المنازل الصغيرة بالقرب من ممر المدخل، أمّا في المنازل الكبيرة فكانت تُخصّص للضيوف غرف خارجيّة.

أمّا العامل الاجتماعيّ الناجم عن تشكّل العائلة الممتدة، فقد أدى إلى الزيادة في عدد الغرف، التي وصلت في بعض المنازل إلى عشر. من نماذج ذلك منزل الحاج مهيا في شیراز (← م.ن، ص 184، 186، الخريطة ص 191). وجود أو عدم وجود بعض الغرف، كالحديقة الأرسية أو الغرفة ذات النوافذ الواسعة المفتوحة على الفناء، مرتبط بالظروف الاقتصادية لصاحب البيت. ففي منازل الأثرياء كانت تُقام غرفة ذات نوافذ واسعة مفتوحة على الفناء، أمّا في منازل الفئات المتوسطة أو القليلة الدخل، فغرفة ذات باب ونوافذ بسيطة. يُطلق على الغرفة في البيت الإيرانيّ أسماء عديدة تبعاً لعدد النوافذ* والأبواب* فيها، ولشكلها، ووظيفتها، وأجزائها الخاصة (كالنوافذ الواسعة، وملقّف الهواء، والحوض)، واستخدامها الفصليّ ومكانها، فعدد الأبواب والنوافذ من معالم معرفة وجه استعمال الغرفة. فالحديقة الثلاثية الأبواب، عرضها يعادل ثلاثة أبواب ونافذة، وبينها عاكسات الشمس، وهي شفرات عرضها من ست إلى خمس عشرة سنتم، وارتفاعها خمسة أمتار، مصنوعة من الجصّ والقصب (بيرنيا، 1992م/1412هـ، ص 157). الغرفة الثلاثية الأبواب أصغر الغرف الرئيسية في المنزل، تُستعمل للنوم وللجلوس وتتسع للعائلة بأكملها.

ج. حسين بور. ص 1416/1992م

ص 142

غرفة ثلاثية الأبواب في منزل شكارگاه، سمنان، العصر القاجاريّ.

الغرفة المسمّاة خماسية الأبواب، لها خمسة أبواب ونافذة، وتُستخدم في المنازل الصغيرة غرفة جلوس وغرفة استقبال للضيوف في الوقت نفسه. أمّا الغرفة الأرسية [ذات النافذة الكبيرة المشرفة على الفناء]، فكانت صغيرة الحجم أو كبيرة، واسمها مستمدّ من اسم نافذتها (← معماريان 2007م/1427هـ، ص 167؛ أيضاً ← النافذة*). تشكّل هذه الغرفة أيّاً كانت الجهة

التي تحتلها المحور الرئيسي في خريطة المنزل. ففي المنازل الشيرازية تقع في شمالي الفناء أو غربيّه. وهي في منزل زیخت الملك في شیراز في الجهة الغربية، والمحور الرئيسي للمنزل الشرقيّ- الغربيّ (← م.ن، ص 213). وهي في المنازل اليزدية في الجهة الشماليّة الشرقيّة، والقاعة في الجهة الجنوبيّة الغربيّة من الفناء، والمحور الأصليّ للمنزل الشماليّ الشرقيّ- الجنوبيّ الغربيّ. الغرفة الأرسية ذات أشكال متعدّدة، والأكثر تداولاً الشكل ذو الزوايا الأربعة. أمّا الشكل المصلّب، فيلاحظ في عدّة منازل. فمن خلال إيجاد وهدة في البدنة المواجهة للنوافذ الأرسية- تسمّى شاه نشين [مجلس الشاه]- ينتج معنا شكل مصلّب تقريباً. "شاه نشين" مكان صغير في غرفة أكبر، وهي زاوية عزلة لكبار السنّ في العائلة (على سبيل المثال ← صور غضبانبور، ص [53]، 64، 92، 100، [157]).



ج. غضبانبور 1996م/1416هـ، ص 219، وإقليم إصفهان،
الصور لـ م. صادقي الفسائي، طهران 2005م/1425هـ، ص 65.

أنموذج للغرفة الأرسية في منزل قوام الدولة/منزل وثوق الدولة في
طهران،
ومنزل الطباطبائيين في كاشان، العصر القاجاريّ .

الكوشوار [القرط]، غرفة صغيرة على جانبيّ الغرفة الأرسية مقابل الممرّات. في المنازل الشيرازية تقع هذه الغرفة حيث تقع الغرفة الأرسية الكبيرة. في البيوت الأزدية، تقع هذه الغرفة على جانبيّ القاعة الكبرى. هذه الغرفة صغيرة، ومكان عزلة للنوم أو العمل. والطنبيّ غرفة مستطيلة باتجاه القبلة أو الجناح الصيفيّ. هذه الغرفة تكون أحياناً جزأين متداخلين أي أنّ في وسطها جدار صغير، يفصلها إلى قسمين، وأحياناً تتّصل بها غرفة ملقّف الهواء (← قزلباش وأبو ضياء، ص 41).

غرفة الحوض الذي له وجهة استعمال في المنازل الكبرى، ملطّف للجوّ على الأقلّ في المساحة التي يقع الحوض في وسطها. هذا المكان صيفيّ، وهو مربّع الزوايا أو مثنّى. النماذج اللافتة من الأحواض تُشاهد في منزليّ فروغ الملك وبصيري في شیراز، ومنزل رسوليان في يزد، والمجمّع السكنيّ

شتر في ماهان كرمان (على سبيل المثال ← غضبانبور، ص 150-151، الصور؛ أيضاً ← الحوض*) .

الباباب شبيهة بالحوض لكنه أعمق من القبو والسرداب. يصل عمقه تحت الأرض أحياناً إلى عشرة أو خمسين متراً. له عادة ثمانية أضلاع، ويتضمن صُففاً للجلوس وحوضاً في الوسط، تعبره مياه القناة. تفتح عليه أحياناً قنوات هوائية، فيزيده الهواء برودة (← معماريان، 2007م¹/1427هـ، ص 294).



مؤسسة الإرث الثقافي، الصنائع اليدوية ومنتزهات إقليم قزوین.
الزخارف الداخلية لمنزل/حسينية الأمينيین، قزوین، العصر القاجاريّ.



ج. غضبانبور، طهران 1996م/1416هـ، ص 150
غرفة الحوض في مجمّع شترغلو، ماهان كرمان، العصر الزنديّ-
القاجاريّ.

المطبخ، مساحة مربعة الزوايا، تحتوي على عناصر منها الموقد، والتَّنّور، ومخزن الحطب، وعدد من المصاطب لرصف الأشياء الضرورية. يتغيّر مكان المطبخ في المنازل. ففي منزل رسولیان في يَزْد يقع المطبخ بين الجناحين الداخلي والخارجي، وفناء الخدمات، وفي منزل الحاج مهيا إلى جانب ردهة المدخل، وله باحة صغيرة.

في عدد كبير من المناطق الإيرانية، لا سيما المناطق القروية، تختلف تسميات الغرف في المدن الكبيرة من مدينة إلى أخرى في المناطق المركزية كيزد وشيراز وكاشان وإصفهان. فعلى سبيل المثال تسمّى الغرفة (كَه) بأسماء مختلفة، أحياناً على أساس أبعادها: بيلة كَه، وروكَه كَه (الرُكوكو = الغرفة الصغيرة والغرفة الكبيرة)، أو بحسب موضعها: جره كَه، وكفي كَه، ومنه كَه (الغرفة السفلى، والغرفة العليا، والغرفة الوَسْطِيّة)، أو بحسب وجهة استعمالها مثل تالاركَه (غرفة القاعة)، أو بحسب عدد نوافذها: بريه كَه (الغرفة ذات النافذة الواحدة)، ودو بريه كَه (الغرفة ذات النافذتين)، وسه بريه كَه (الغرفة ذات النوافذ الثلاث) (نفسه، 2007م²/1427هـ، ص 242).

الإيوان أو الصُفّة، يعود تاريخ بناء هذا الجزء من المنزل في العمارة الإيرانية إلى 2500 سنة على الأقل (← تخت جمشيد*؛ الإيوان*).

الإيوان، الصُّفَّة، تالار [القاعة]، طارَم/طارمَه، أو بشكم (الإيوان المقفل من ثلاث جهات ومفتوح من جهة واحدة)، فضاء مفتوح من جهة أو عدّة جهات على الباحة، أو وسط المنزل أو الحديقة أو الزقاق، وله عدّة استعمالات مرتبطة بمكانه. فهو شتويّ إن كانت تدخله الشمس، وصيفيّ إن كان ظليلاً. أحياناً يكون بين عدّة أجزاء، وله دور الرابط، فإذا كان كبيراً يُسمّى تالار [القاعة]. القاعة في المنازل اليزديّة مكانٌ كبير باتجاه القبلة، والإيوان مكان أصغر مشابه في الجهة الشرقيّة. في المنازل القرويّة في جيلان، الإيوانُ قاعة ذات أعمدة في الطبقة الأرضيّة، وفي لار قاعة صيفيّة ذات أعمدة في الطبقة العليا.

في المنازل الشيرازيّة، القاعة [تالار] مكان ذو أعمدة يحتلّ في معظم الأحيان الجهة الشماليّة من المنزل، ومعرّض للشمس. في مدن بوشهر الكبرى يُسمّى الإيوان طارمه. في بيوت المناطق المحاذية للخليج الفارسيّ، فضلاً عن الشناشيل (نوع من الشرفات، الخشبيّة المشبّكة) المواجهة للبحر، الطوارم ذات الأعمدة، أماكن مهمّة مفتوحة على البحر (← معماريان، 2007م/1427 هـ، ص 96). في المنازل ذات الصُّفّ الأربعة في مدينة زواره، وبعض قرى ضواحي كاشان، وضاحية مدينة يزد، تُفتح الصُّفّ على المساحة المركزيّة المسمّاة وسط المنزل. ميان خانه أو وسط المنزل، إيوانٌ مربّع ومسقوف. ربّما كانت المنازل ذات الأواوين الأربعة أو الصُّفّ الأربعة، تطوّراً لهذا النوع من المنازل. في هذا المنزل لكلّ صُفّة وجهة استعمال خاصّة. ففي كل فصل تُستخدم إحداها مع الغرفة المجاورة لها. تقوم هذه الصُّفّ أيضاً بدور الفناء المسقوف (← م.ن، ص 389-392).

بالإضافة إلى الصُّفّ، البيشكاه، أي القاعة المتقدّمة، أو الشناشيل أي الشرفة الخشبيّة المشبّكة، عناصر مفتوحة من جهة أو ثلاث جهات على الفناء أو الزقاق (← م.ن، ص 100، غضبانبور، ص 28 و 30، الصور) هي نافرة عن المبنى حوالى متر أو متر ونصف، ولها عمودان على الزاويتين. للبيشكاه في منازل أبيانه، والقاعة المتقدّمة في منازل ماسوله وجهة استعمال مشابهة (على سبيل المثال ← غضبانبور، ص 74-75، الصور).

الواجهة. كان المعمار التقليديّ على علم مسبق، منذ أن يضع المخطّط الأوّل للمبنى، بما ستكون عليه عناصر واجهته الخارجيّة. كانت التصاميم والمخطّطات بشكل عامّ تنتقل من جيل إلى جيل، ويُعمل فيها المعماريّ موهبته وإبداعه. كانت واجهة المبنى في القالب ذي البُعدين، أو القالب الثلاثيّ الأبعاد، تابعة من ناحية للفضاء العامّ، ومن ناحية أخرى للقواعد الهندسيّة الخاصّة به. وكان تنظيم الفضاءات ملائماً لمبادئ علم الجمال في هندسة الواجهات. كانت الواجهة في المنازل ذات الباحة الوسطيّة تبدو من الجهات الأربع للرواق

الأوسط أو الباحة، وفي المنازل التي لا باحة فيها تكون الواجهة الخارجية باتجاه الأزقة والطرق.



[Mnavali.wordpress.com | 24 oct. 2010]

ايوان في منزل العباسيين، كاشان، العصر القاجاري



الصورة لغلامحسين معماريان
أنموذج من الشناشيل، جنوبي إيران

تخضع أجزاء واجهات المنازل لتأثير عوامل مختلفة، من ضمنها العوامل الإقليمية المهمة. يتبين بوضوح تأثير الإقليم في أجزاء الواجهة من خلال المقارنة بين مدينتي يزد وشيراز. فيزد تقع في منطقة صحراوية حارة وجافة، وفي أواخر الشتاء وأوائل الربيع، يكون معدل هطول الأمطار فيها جيّداً. وبسبب هذا المطر يستخدم المعمارون الحجارة إزاراً للبناء، ويضعون تحت الأفاريز كمّرات خشبية. هذه الكمّرات تمنع تسرب الماء من أعلى الواجهة على أسطح الجدران. في مدينة يزد الأزّر والكمّرات من الآجر. البدنة الأساسية للواجهة طينية (ملاط من الرمل الناعم والصلصال والقليل من التراب والتبن). الملاط الطيني لا يقاوم الرطوبة، لكن بما أن المطر في يزد لا يتساقط طيلة السنة أحياناً، فلا يسفر استخدامه عن مشاكل تُذكر.

أجزاء واجهات المنازل في المدن، ذات الباحة المركزية، تتألف من ثلاثة أقسام: القسم الأول الإزار، الذي يبدأ من أرضية الباحة، ويصل إلى أرضية الغرف؛ القسم الثاني البدنة الأساسية وتتضمن الأجزاء العمودية للدعامات، والقشرة الفاصلة بينها، والإطار الأفقي الذي يعلوها؛ والقسم الثالث الحافة الأفقية وأجزاؤها. في المنازل ذات الأجنحة الخارجية، والتي تقع واجهاتها في قسم من الزقاق، تُقسم واجهة المنزل؛ بحسب موضعه، إلى قسمين: القسم الأول البدنة الأساسية التي تبدأ من أرضية الزقاق إلى ما تحت السقف، وتضم أحياناً من طبقتين إلى ثلاث، والقسم الثاني حافة السقف.

يرتفع الإزار في المنازل ذات الباحة المركزية عادةً إلى ما يقارب المتر عن أرضية الباحة. وسبب هذا الارتفاع وجود القبو. وكانت تفتح في الإزار روازن أو كوى لإنارة القبو وتهويته. في منازل شيراز وإصفهان الإزار حجري، وروازن الأقبية من الحجارة البسيطة والمجوّفة. في مدينة يزد الإزار

أَجْرِيّ، والروازن ذات أطر خشبيّة وأسياخ معدنيّة. وتُشاهد مثل هذه الأُطر في البيوت الإصفهانيّة.

توضع فوق الإزار دعامات عموديّة. المسافة بين كلّ دعامتين، تدلّ على مقدار عرض الفضاء المُستخدم. هذه الدعامات في المنازل الشيرازيّة والإصفهانيّة من الأجرّ، وفي المنازل اليزديّة من الملاط الطينيّ بحواف حصيّة. بين الدعامات تقع الواجهة الخارجيّة للغرف، والممرّات، والأواوين وسائر العناصر. هذه القشرة فضلاً عن تأثّرها بمساحة الغرفة وأبعادها، تتأثّر بكسوتها أيضاً. في شيراز تُكسى غرف الطبقة السفلى وما فوقها بالألواح الخشبيّة، وتظهر الخطوط الأفقيّة للواجهة في طراز الكسوة. في يزد وإصفهان تُستخدم الطاقات الصمّاء كسواتٍ في الغرف الصغيرة والكبيرة. وإذا كانت الطاقات محمّلة فوق مضلّعات فإنّ خطوطها المنحنية تُشاهد في الواجهة، وإن استُخدمت الطاقات الشديدة الانحناء، تُنشأ بين الدعامات والخطوط الأفقيّة أو المنحنيّة، حفراً فارغة، تُشاهد من الممرّ أو الإيوان.

تشكّل الأُرسى [الواجهة الزجاجيّة المؤطرة] والباب، والنافذة، وعاكس الأشعّة، والسبندل [الفسحة المثلثة، المزخرفة عادة، بين المنحنى الخارجيّ الأيمن أو الأيسر من القوس أو القنطرة، وبين الزاوية القائمة المطوّقة] والقمريّة الزجاجيّة الملوّنة، والإطار الأفقيّ، الأجزاء الأساسيّة لواجهات الغرف. بين الباب والنوافذ الخشبيّة توضع العاكسات العموديّة للأشعّة، وإن كانت محافظة على شكلها الأصليّ، توضع فوقها عاكسات أفقيّة. القمريّات الزجاجيّة الملوّنة فوق عاكسات الأشعّة الأفقيّة تغطّي المساحة الفاصلة بين الباب والنافذة. في المنازل اليزديّة يُزخرف أعلى القمريّات بأقواس زخرفيّة تُسمّى خرك بوش، لكن في شيراز توطر بإطار أجريّ (معماريان، 2007 م/1427هـ، ص 348-349). تشكّل الأُرسيات الخشبيّة، والدعائم الأجريّة، والطين والملاط توليفة منسجمة وجميلة (النافذة*).

أمّا الأواوين والقاعات، والأروقة، غير المكسوّة من الخارج فباتّجاه الباحة. تتميز واجهة هذه العناصر بأنّها مليئة بالدعائم، والسطوح الفارغة. أحياناً يكون في مقدّمة المنازل الشيرازيّة والإصفهانيّة أعمدة حجريّة وخشبيّة، أمّا القاعات الكبرى فربما كانت من معالم الوضع الماليّ والمكانة الاجتماعيّة لصاحب البيت.

تنتهي الواجهة بالخطّ الأفقيّ لحافة السقف. هذه الخطوط بأبسط أنواعها تشكّلها الأجرّات الأفقيّة النافرة. تلاحظ في المنازل اليزديّة توليفة الشرفة/شرفي (أو الطنّف/الإفريز)، أو القراميد المنحنية، والقراميد المجوّفة. في شيراز وإصفهان، الأقسام العليا من الواجهة تربطها كمّرات خشبيّة. توليفة أجزاء الواجهة في المنازل ذات الباحة الوسطى يختلف شكلها من مدينة إلى

أخرى ومن قرية إلى أخرى. واجهة البيت الشيرازي توليفة من الحجر والآجر والخشب، وواجهة البيت الإصفهاني: من الحجر والطين المخلوط بالتبن والخشب، والمنزل اليزدي من الملاط والخشب.



الصورة لغلالمحسين معماريان
أنموذج مشربية، ماسوله

في بوشهر، على الرغم من أن للمنازل باحات في الوسط، تختلف تركيبة عناصر البيت عما هي عليه في مناطق إيران المركزية. فعدد كبير من الشبائيك الخشبية يحتل البدنات الجصية الكسوة. وهذه الشبائيك عددها أكبر في الطبقات العليا، وتؤدي في فصول الصيف الحارة دور ملاقف الهواء. من الأجزاء المهمة الخاصة بمدينة بوشهر الشناشيل الخشبية (م.ن، ص 100). في المنازل التي لا تتوسطها باحة، تُشاهد عناصر الواجهة من الزقاق والشارع. لمنازل أبيانه وماسوله مثل هذه الواجهات. في النوع الأكثر تداولاً منها، يُخصّص في الواجهة الرئيسية للمنازل - المؤلفة من طبقتين إلى ثلاث طبقات - حيز في الطبقة الأرضية لباب المدخل وباب المخزن والإسطبل. تتّصف واجهة الطبقة العليا بوجود باب ونافذة، ومشبكات خشبية، وإيوان، ومشربية. تؤثر سعة الطبقات في أجزاء الواجهة، فإن كانت تحتل الطبقة العليا غرفة كبيرة، تكون مجهزة بثلاثة أبواب ونافذة، وإن كانت الغرفة صغيرة، يكون لها باب ونافذة. تركيب هذه العناصر ولون الواجهة، يمنح عمارة المدينة أو القرية خصوصية فريدة، ففي ماسوله الواجهات صفراء اللون (غضبانبور، ص 75، الصورة) والباب والنوافذ والمشبكات الخشبية، والمشربية، تختلف عمارتها - بلونها الأحمر، وتوليفة الباب والنوافذ الخشبية - عما هي عليه في أبيانه.

أنواع البيوت الإيرانية. تقديم تصنيف نوعي عام لجميع المنازل الإيرانية، أمرٌ صعبٌ جداً. فمن خصائص العمارة الإيرانية تعدد أنواعها وعناصرها وأجزائها المعمارية، التي تعبّر عن أذواق المعمارين الإيرانيين ونبوغهم. تُصنّف البيوت الإيرانية على أساس الاستقرار أو الارتحال، وتلبية المتطلبات الإقليمية، ونوعية الخريطة وشكلها، أو نوعية الاستخدام، لكن لكل تصنيف من هذه التصنيفات حسناته وسيئاته. هنالك تصنيف آخر للمنازل على أساس إنجاز الفضاءات بشكل هندسي واحد متراس، أو حول فضاء نصف مفتوح كالباحة الداخلية. في النوع الأول، الخارجي الاتجاه، العلاقة بين الخارج والداخل، والداخل والخارج علاقة مباشرة من دون فضاء وسيط. عناصر البيت أو أجزأه كالباب والنافذة، تكون علاقة مباشرة بالمحيط الخارجي.

أحد أعرق أنواع البيوت وأبسطها الخيام العشائريّة المتحرّكة تبعاً لحركة أصحابها. هذه الخيام على الرغم من بساطتها تلبي المتطلّبات السكنيّة للعشائر. كلّ زاوية من هذا الفضاء البسيط مخصّصة لعمل من أعمال العشيرة، ولجزء من معيشتها. من أنواع الخيام المعروفة في منطقة عيلام، خيمة اسمها "ديوخان" مخصّصة للضيوف. أمّا الأكشاك الخشبيّة [الأتشاق] فهيكليّتها أكثر تعقيداً، وخريطتها دائريّة. توضع الفرشات اللباديّة فوق مشبّكات خشبيّة منتظمة، وفي الوسط المدفأة. في الألتشاق هذه أجنحة للنساء وللرجال وللضيوف، وللأشخاص المميّزين. تُعدّ هذه النماذج أبسط أنواع المنازل ذات الاتجاه الخارجيّ، وهي ترتبط بصريّاً بالطبيعة المحيطة بواسطة الباب أو إحدى زوايا الخيمة. المنازل الدائمة الخارجيّة الاتجاه في المدن والقرى، إنّما هي شكل آخر من أشكال الخيام. في المناطق القرويّة من جيلان ومازندران المنازل أكواخ بسيطة مؤلّفة من غرفة وإيوان بمحاذاة المزارع، تعيش فيها العائلات الصغيرة. المنازل القرويّة في جيلان وبعض نواحي مازندران شكلها مشابه، تتضمّن غرفتين أو أكثر بجانب بعضها، وأمامها إيوان أعمدته خشبيّة. هذه المنازل يمكن أن تصل إلى طبقتين. الميزة المهمّة لهذه المنازل استخدام الأجزاء الخشبيّة، والكسوات ذات الانحناءات، وتنوّعها (معماريان 2007 م^{الف}/1427هـ، ص 205).

في ماسوله المنازل مبنية على أرض ذات انحدار قويّ، كلّ واحد منها مكعّب مستطيل الشكل، تحتله عناصر متنوّعة. الواجهة الخارجيّة للمنزل مع الباب والنوافذ مائلة للعيان. يُفتح الباب والنوافذ الخشبيّة في الطبقات العليا على مشهد الغابة الجميل. تطلّ معظم منازل أبيانه أيضاً على الحقول المشجّرة والجبل. يُشاهد في النوع السائد منها الباب والنوافذ والمشربيّة [الشرفة البارزة] في واجهة المنزل، باتجاه الزقاق. يدلّ أحياناً وجود امرأة جالسة على الشرفة البارزة، وهي تخطّ القماش، على الاتجاه الخارجيّ للمنزل، وعلاقته المباشرة بالخارج.

المنازل ذات الباحة، لا سيّما الوسطى منها، نوعٌ سائدٌ من أنواع المنازل الإيرانيّة، التي تُشاهد في معظم المناطق الإيرانيّة من تبريز حتّى خراسان، والناحية المركزيّة وضواحيها حتّى الجنوب وسواحل الخليج الفارسيّ، بتوليفات مختلفة. يُبنى النوع البارز ذو الباحة المركزيّة في المناطق الوسطى الإيرانيّة كيزد، وإصفهان، وكاشان، وكِرمّان وشيراز. يفصل السور أو الجدار الخارجيّ للبيت الباحة الوسطيّة كليّاً عن فضاء المدينة في الخارج، والباب هو الفاصل الوحيد بين الداخل والخارج. من الخصائص الأخرى لهذه المنازل إعداد عناصر البناء الفصليّة المحيطة بالباحة من كلّ الجهات (هروغ، ص 44-42؛ معماريان، 2007 م^ب/1427هـ، ص 285، 161-286). يتأثر هذا

النوع المحوريّ بمختلف العوامل لا سيّما العوامل الإقليمية. ففي مدينة يَزْد الظروف الإقليمية القاسية في الصيف والشتاء، تقرض استخدامًا أكبر للمحور الشمالي-الجنوبيّ تقريبًا. في حين أنّ عناصر البناء الأساسية في مدينة شیراز- حيث المناخ حارّ، وأكثر اعتدالًا إلى حدّ ما- تلاحظ في المحور الشرقي-الغربيّ. ويُشكل بيت زينب الملك ومحتشم (أوزكي خان) في شیراز، أنموذجين لهذا النوع من المنازل.

2	1
4	3

- 1-منزل مستوفي الممالك، طهران، العصر القاجاريّ؛
- 2-منزل آصف، سنندج، العصر الصفويّ؛
- 3-منزل سوزنغر، دزفول، العصر القاجاريّ؛
- 4-بيت/عمارة ذو الفقاري، زنجان، العصر القاجاريّ.

أحد الأنواع الرائجة، المنزل ذو الأربعة صُفّ أو أووين، في محورين متعامدين، وبجانب كلّ صُفّة أربع غرف. بُنيت المنازل الرباعيّة الصُفّ في يَزْد، وزواره، وضواحي كاشان، وأبيانه. تُبنى الصُفّ حول باحة صغيرة، أو حول فضاء مقفل اسمه وسط الدار [القاعة التي تتوسط المنزل]. هذا الفضاء ذو سقف جملونيّ، وأحيانًا فوق أربع قناطر تتيح مرور الهواء من الجهات الأربع إلى الداخل. في المنازل ذات الصُفّ الأربع والقاعة الوسطى، يوجد في الواقع باحتان. باحة مؤلّفة من الصُفّ الأربع ووسط الدار، التي تُستخدم في فصلَي الحرّ والبرد، وباحة أخرى تقع في أحد جوانب البيت، تُفتح عليها صُفّة تُسمّى صُفّة الحديقة (معماريان، 2007م/1427هـ، ص 392).

على الرّغم من أنّ منازل المناطق المحاذية للخليج الفارسيّ ذات باحة وسطى مركزيّة، يختلف تنظيم عناصر البناء المحيطة بالباحة، عن عناصر منازل المناطق الوسطى. في منازل بوشهر ذات الباحة الوسطى، يزيد عدد العناصر في الطبقات العليا. القبو بالنسبة إلى أرضيّة الباحة قليل العمق، والعناصر البنائيّة في الطبقة الأرضيّة شتويّة، وفي الطبقة الأولى صيفيّة. هذه العناصر كثيرة الشبابيك التي تُفتح على الباحة وعلى الأزقة. فتح الباب والنوافذ يحوّل الغرف إلى ملّقف هواء. بسبب هذه الخاصيّة، لمنازل بوشهر واجهتان، واحدة باتجاه الباحة والأخرى باتجاه الزقاق. توضع أحيانًا الشناشيل الخشبيّة أمام هذه النوافذ. منازل بندر لنغه وكنغ ولافت مؤلّفة من طبقة واحدة، وميزتها

الأساسية وجود ملقف هواء كبير أو أكثر فوق غرف المنزل. يُشاهد في الباحة الوسطية أشجار خضراء، وأمام الغرف طارمٌ أو إيوان (م.ن، ص 80، 83). رُممت منظمة الميراث الثقافي والصنائع اليدوية والسياحية، مؤخراً مئات النماذج من المنازل التاريخية، محافظةً على خصائصها المعمارية المتنوعة في مختلف المناطق الإيرانية، من بينها بيت ذو قناطر عالية في يزد يعود إلى القرن الثامن الهجري (معماريان 2007م^١/1427هـ، ص 24). بيت حسين أسمعي في لاهيجان، وبيت بدرام في ماسوله، وبيت شفيعي في أبيان (م.ن، 2007م^٢/1427هـ، ص 157، 254، 377). من المنازل التاريخية الأخرى في إيران، يجب أن نذكر التالية: بيت البروجرديين، بيت الطباطبائيين وبيت العباسيين في كاشان؛ بيت إمام الجمعة، وبيت قوام السلطنة، وبيت وثوق الدولة في طهران؛ بيت تقتي وبيت توگلي في مشهد، بيت كمال الملك في نيسابور، وبيت كيان في سبزوار؛ بيت الأغامير في دزفول، وبيت القزلباش في الأهواز؛ بيت "ذو الفقاري" في زنجان؛ بيت الأمينيين في قزوین؛ بيت الإمام الخميني وبيت آية الله الحائري في قم؛ بيت خسروآباد وبيت آصف في سندهج؛ بيت أمرالهي في كرمان؛ بيت الخديوي في كرمانشاه؛ بيت كبير في جرجان، وبيت حسن رحمت سميعي في رشت (← البيوت التاريخية، ص 26-27، 38-39، 64، 94، 96، 129، 136، 139، 162، 171، 179، 185، 189، 240، 249، 258-260، 268، 281، 287، 291).

المصادر والمراجع: فضلاً عن المعاينة الشخصية للمؤلفين، آثار خانه در ایران: از نوسنگی تا ساسانی [آثار البيوت في إيران: من العصر الحجري الأخير حتى العصر الساساني]، برواية متحف الأرض، [المؤلفون] بهمن أديب زادة وآخرون، طهران: وزارة المساكن وإعمار المدن، شركة العمران والتنظيم المدني الإيرانية، 1384ش [2005م]؛ ابن حوقل؛ محمد كريم بيرنيا، آشنائي با معماری اسلامی ایران: ساختمانهای درون شهری و برون شهری [تعريف بالعمارة الإسلامية الإيرانية: المباني داخل المدن وخارجها]، تدوين غلامحسين معماريان، طهران 1371ش [1992م]؛ نفسه، سبك شناسی معماری ایرانی [أسلوبية العمارة الإيرانية]، تدوين غلامحسين معماريان، طهران 1380ش [2001م]؛ جعفر بن محمد الجعفري، تاريخ يزد، ط. ایرج أفشار، طهران 1343ش [1964م]؛ خانه های تاریخی [البيوت التاريخية]، تأليف وتحرير كاظم ملازادة ومريم محمدي، طهران: سورة مهر، 1386ش [2007م]؛ ليلا ذاكر العاملي وعيسى اسفنجاري كناري، "بيوت المظفرين في ميبد"، في ميبد شهری كه هست: مجموعه يژوهش های تاريخ معماری وشهر سازی [ميبد المدينة الموجودة: مجموعة

أبحاث حول تاريخ العمارة وإعمار المدن]، إعداد عيسى إسفنجاري كناري، طهران: منظمة الميراث الثقافي والسياحي، 1385 ش [2006م]؛ مصطفى ربوبي وفرنجيس رحيمية، "شوادان، شبستان"، مجلة أثر، عدد 2-4 (1359 ش [1980م]؛ كاظم عرب، "البيوت القاجارية في قم"، في مجموعة مقالات سومين كنگره تاريخ معماري وشهر سازي ايران 25-30 فروردين ماه 1385، ارگ بم-كرمان [مجموعة مقالات المؤتمر الثالث حول تاريخ العمارة وإعمار المدن الإيرانية 14-19 نيسان-إبريل 2006م/1426هـ، قلعة بم-كرمان]، إعداد باقر آيت الله زادة الشيرازي، مج 2، طهران، منظمة الميراث الثقافي والسياحي، 1384 ش [2005م]؛ جاسم غضبانور، خانه ایرانی [البيت الإيراني]، طهران 1375 ش [1996م]؛ محمد رضا قزلباش وفرهاد أبو ضياء، الفباي كالدخانه سنتي يزد [ألفباء هيكلية البيت التقليدي اليزدي]، طهران 1364 ش [1985م]؛ محمد يوسف كياني، "مدينة جرجان"، في نظري اجمالي به شهر نشيني وشهر سازي در ايران [نظرة مجملية إلى سكنى المدن وإعمار المدن في إيران]، إعداد محمد يوسف كياني، طهران 1365 ش [1986م]؛ غلامحسين معماريان، آشنايي با معماري مسكوني ايراني: گونه شناسي برونكرا [تعريف بالعمارة السكنية الإيرانية: علم أنواع المنازل المفتوحة على الخارج]، طهران 1386 ش [2007م]؛ نفسه، سيري در مباني نظري معماري [جولة في المبادئ المعمارية النظرية]، طهران 1387 ش [2008م]؛ المقدسي؛ صادق ملك شهميزادي، "دراسة الطبقة الاجتماعية في مرحلة الاستقرار في القرى على أساس طريقة الدفن في زاغة"، مجلة باستان شناسي وتاريخ [مجلة علم الآثار والتاريخ]، السنة 2، العدد 2 (ربيع وصيف 1367 ش [1988م]؛ ناصر خسرو، سفرنامه [رحلة] الحكيم ناصر خسرو القبادياني المروزي، ط. محمد دبیر سياقي، طهران 1363 ش [1984م]؛ برويز ورجاوند، "منزل زكي خان: مبنى جميل على الطراز المعماري لعصر الزندية في شيراز"، مجلة بررسيهاي تاريخي [البحوث التاريخية]، السنة 9، العدد 2 (خرداد-تير 1353 ش [حزيران-تموز/يونيو-يوليو 1974م]؛ كلاوس هردغ، ساختار شكل در معماري اسلامي ايران وتركستان [البنية الشكلية في العمارة الإسلامية في إيران وتركستان]، ترجمه بالفارسيّة محمد تقی زادة مطلق، طهران 1376 ش [1997م]؛

أجنبي.....

/غلامحسين معماريان، آرزو صدوقي، آسيه ابراهيميان، غلناز ايرانبور

بروجني/

ب) غربيّ آسيا.

1) العراق. شهدت هذه الديار التي تُعدّ مركز الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين، وصاحبة التاريخ الأعرق في استيطان المدن ازدهاراً عمرانياً وسكنياً. كانت المساكن الأولى (العائدة إلى الألف الخامس قبل الميلاد)، هي المغاور والكهوف والخيام، والخصاص، وقد حلّت محلّها في ما بعد المباني الأجرية (الحيدري، ص 42).

منذ الألفية الرابعة وحتى الألفية الثانية قبل الميلاد، كان هنالك ضوابط وقواعد خاصّة تُعتمد في بناء المنازل في المدن السومرية كأوروك، وأريدو وأور (← الحيدري، ص 28). فعلى أساس مدونة شريعة حمورابي (ص 67). كان البناء يُدان في حال تهدّم المنزل ولحق بأصحابه أذى، أو تعرّضوا لخسائر مالية، ويُفرض عليه أن يُعوّض عليهم. هذا القانون كان الدافع لمراعاة الدقة في العمل، وتالياً تقدّم فنّ العمارة (كينغ²⁷، ص 174).



ع. الحيدري، دمشق 2008، ص 25.
نماذج من الخصاص في جنوبيّ العراق.

كانت المنازل في معظم العصور القديمة من طبقة واحدة غالباً، والدليل على ذلك، إلى حدّ ما، أنّ أجرة البناء، كانت تُحسب على أساس مساحة الأرض التي احتلّها المبنى (← م. ن، ص 175). كانت الأجنحة السكنية والخدمات في المنازل الكبيرة الأولى، كما تدلّ المكتشفات الأثرية، تحيط بباحة، وأبوابها تُفتح عليها أيضاً (الحيدري، ص 42-45). كانت منازل الأثرياء أكبر من غيرها، وأحياناً من طبقتين، لكنّ تصميمها مشابه لتصاميم المنازل الأخرى، وكانت أرض الباحة تُرصف بالآجر، ويُحفر في طرفها جدول صغير لتجري فيه مياه الأمطار. كانت غرف الطبقة الأولى في هذه المنازل تُخصّص للمطبخ، ولإقامة الخدم، أمّا غرف الطبقة الثانية فللنوم والاستراحة (ناردو²⁸، ص 75).

أنواع المنازل العراقية. يخضع العراق لنوعين من العوامل المناخية، وكان لذلك دورٌ حاسمٌ في كيفية بناء المنازل فيه.

بشكل عام، يُسيطر المناخ الجبليّ على المناطق الكردية السكّان في الشرق، والمناطق التركية السكّان في الشمال، لذلك فإنّ المنازل في هاتين المنطقتين شبيهة بمنازل المناطق الجبلية في إيران؛ وهي مؤلفة من طبقة واحدة، ومادّة البناء المستخدمة في تشييدها هي الحجارة غالباً، وأسطحها

²⁷ - Leonard William King.

²⁸ - Don Nardo

مسقوفةٌ بالألواح الخشبيّة. أمّا الشائع في المناطق الساحليّة الجنوبيّة، فالخصاص أو الأكواخ الحصريّة (← الحيدريّ، ص 24-25، الصور). علماً أنّ الشكل الأصليّ للمنازل العراقيّة هو النوع البغداديّ الشائع في المناطق الوسطى والغربيّة والجنوبيّة من العراق.

تُعَدّ بغداد عاصمةَ العراق، وأهمّ مدنه وأعرقها تاريخياً في المرحلة الإسلاميّة، وبالإمكان حسابان حضارتها وتاريخ عمارتها، هي نفسها حضارة العراق وتاريخ عمارته. لقد بُنيت في عصر [ال خليفة العبّاسيّ] المنصور مبان كثيرة بالقرب من مركز المدينة الذي لا يزال قائماً حتى الآن، استُخدم فيها طميّ نهر دجلة، ومُذي المباني مهمورة بالطابع المميّز لمدينة بابل القديمة في عهد بُخْتَنَصْر (وارن²⁹ وفتحي، ص 26).

الموادّ الأوليّة المستخدمة في البناء. كانت الموادّ الأوليّة المستخدمة في بناء المنازل العراقيّة محلّيّة بشكل عام، من اللّين والطوب. المِلاط الأساسيّ للمنازل العراقيّة التقليديّة الكلس على أساس من الجصّ، وخلط الكلس بنثار الخشب يجعله أكثر طواعيّة. تُجلب الحجارة الجصّيّة المطلوبة من المقالع الرسوبيّة في أعلى وادي الفرات والموصل والمناطق الواقعة في شماليّ العراق؛ وللحواجز كان يُستخدم الطين المخلوط بالتبن، والقيِر الطبيعيّ في الأمكنة الأكثر أهميّة. وكان يُؤتى بالألواح الخشبيّة ذات المواصفات الممتازة، سقوفاً للبيوت، من البصرة، ومن المناطق العراقيّة الشماليّة، أو من الهند. مؤخّراً زاد استخدام الآجر في المنازل العراقيّة (م. ن، ص 116، 118). يُعَدّ الخشب في المنازل العراقيّة، المادّة الأوليّة الثانية المستخدمة في البناء، بعد الآجر، تُصنع منه الأبواب والنوافذ والمشربّيات والسقوف، والأعمدة والقُدَد وغيرها. وممّا يعزّز استخدام الخشب في المنازل العراقيّة وفُرتة وسهولة الحصول عليه، وبساطة تصنيعه (م. ن، ص 116)، هذا وقُلّما استُخدمت المعادن في بناء المنازل العراقيّة. إنّما أتاحت سهولة استيراد البرونز والشبّهان إلى استخدام هذين المعدّنين في صنع الأبواب (همام، ص 122). أمّا الزجاج فقد استُخدم بصورة محدودة، وبالقُطع الصغير عادةً، في الشّناشيل (← تتمة المقالة). وفي الأبواب والنوافذ والسقوف للإنارة. كان الآجر يُستخدم في معظم المنازل العراقيّة لرصف الأرضيّات وتغطية جدران الطبقات، والسقوف المقبّبة (م. ن، ص. ن).

يُهمين في بناء المنازل العراقيّة بشكل عام نظام بناء الطوائق والأقواس في الأقبية، تماشياً مع نظام بناء الجدران المتوازية في الطبقة الأولى، ونظام بناء المداميك والأعمدة في الطبقات العليا؛ فالمداميك والأعمدة الخشبيّة لحمل سقوف الطبقة الأرضيّة والطبقتين الأولى والثانية؛ وأمّا استخدام الألواح

²⁹ - Warren.

الخشبيّة سقوفاً بطريقة سهلة وسريعة، ورخيصة، وخفيفة الوزن على الجدران السفلى الحاملة، التي تكون عادةً من الآجر، والقواعد الحجريّة والملاط المكوّن من الطين الجيريّ. الميزة الأخرى للسّقف الخشبيّ المسطح مواعمه لما تحته من موادّ، والتصاقه بها. وبما أنّ الطين الذين وُضعت فوقه المادّة الداعمة، قدرتها على الحمل قليلة، ومعرّضة فصللياً للرطوبة الزائدة؛ وتالياً فإنّ استبدال الموادّ مسألة شائعة، ولا يمكن تفاديها، والمادّة يجب أن تكون متماسكة لتكون قادرة على تحمّل عمليّة النقل من مكان إلى مكان آخر. ولصنع القُدّ الخشبيّة لسقف الطبقة الأخيرة، تُستخدم الألواح البسيطة المؤطرة معاً، التي تمنح تناسقاً للعمارة، لا سيّما إنّ كانت مبنيةً بالآجر وملاط الطين الجيريّ. في أقبية [سراديّب] المنازل العراقيّة، كان شائعاً استخدام أسلوب بناء الطوائق والأقواس، لأنّ الآجر لديه طبيعياً قدرةً أكبر على التحمّل، كما أنّ قدرة حمل هذه الأقواس كبيرة، وأسلوب صنعها سهل ورخيص، ويعدّ ذلك من مزايا نظام البناء هذا. كان المعماريّون العراقيّون يستخدمون لتغطية المساحات الأكبر تركيب نظام القوس والمدماك، أو نظام القبة، مرفقة بالزوايا الركنيّة الجميلة (م. ن، ص 94، 118، والصورتان 96-97).

تنمو المناطق السكنيّة على أساس متطلّبات وظروف محدّدة، لكنّ البيوت لا تتمتع بخصائص ثابتة من حيث الشكل والأبعاد الهندسيّة، ولا تتطوّر على نمط واحد، على الرّغم من اتّباعها مبادئ محدّدة وأنموذجاً مهيمناً، وتتحولّ تالياً إلى نسيج متراكم، إنّما يستبطن تنظيماً خفياً. وتصبح النماذج المهيمنة علّة ارتباط البناء بالطبيعة. لهذا السبب، يبدو نسيج المدينة كنسيج الخشب، ذي وحدات متنوّعة، إنّما متناسقة ومنسجمة معاً. في بغداد الرابضة داخل سور دفاعيّ، يجب أن تُصمّم المنازل كلّها على نحو متراصّ، لتشغل الحدّ الأدنى من المساحة الأرضيّة، ولتكون الدائرة الدفاعيّة في ضواحي المدينة صغيرة قدر الإمكان ليسهل الدفاع عنها. أتاح شكل المدينة الدائريّ (← بغداد*) الحدّ الأقصى من الفضاءات الداخليّة للمنازل، والحدّ الأدنى من المحيط الدفاعيّ للمدينة، وصمّم الشكل الحاليّ للبيوت ذات الباحة المركزيّة لتلبية هذه الحاجة (م. ن، ص 28-29).

الميزة الأخرى للبيوت ذات الباحات، أنّ الواحد منها مضغوط، والوحدات المتجاورة متراصّة ومتلاصقة، تتيح لأهلها الشعور بالأمان، وتمنع تسرّب الحرارة إلى داخل المنازل. تُلاحظ الفضاءات الخالية صغيرة قدر الإمكان مقارنة بحجم البناء المكتظ، والأزقة الضيقة لا تسمح بانتقال الحرارة إلى المحوّطات السكنيّة إلّا بالحدّ الأدنى، ويحتفظ البناء لوقت طويل ببرودة الليل. يُلاحظ لكلّ وحدة من الوحدات السكنيّة الحدّ الأدنى من المساحة الخارجيّة للجدران، لمنع تسرّب الحرارة في الصيف (م. ن، ص 28).

بناء المنازل متلاصقة ظهرًا لظهر بجدران مشتركة يؤدي إلى التراكم في النسيج العلوي للمدينة، ولا يتصل بالزقاق سوى جانب واحد من الواجهة بمقاس باب المدخل. الشوارع والأزقة ضيقة ومتشابهة وبسيطة. المكان الوحيد المزخرف في المنازل هو واجهة المدخل. من معالم الشوارع الضيقة في أحياء بغداد القديمة، البيوت ذات النوافذ النافرة، والمشغولة بإتقان، المعروفة باسم الشناشيل، والأبواب والسواكف المزخرفة. يكون حاجب باب الدخول أحياناً مشغولاً بإتقان وحافلاً بالزخارف، وهو عادةً الدليل على الطراز المعماري للمبنى؛ وفي بعض النماذج يحتل الحاجب الواجهة الخارجية للمبنى بأكملها، والمنزل يقبع في آخر ممر ضيق (← م. ن، ص 42).



J. Warren & I. Fethi, Engl. 1982. P. 131

أنموذج مدخل المنزل

أجزاء المبنى. في المنازل العراقية، تتعزز الرغبة في عزل الداخل، ومراعاة حرمة أهله، من خلال بساطة الواجهة الخارجية، وتقسيم الداخل إلى الديوانخانة (القاعة المخصصة للضيوف)، والحريم (المخصص للعائلة). في الدور الكبيرة تُسقف ردهة المدخل بقبة دائرية أو متعددة الأضلاع، ويسمى هذا الجزء من المنزل المجاز (المعبر). في داخل المجاز تكون أحياناً غرفة حارس المنزل أو الخادم. وفي أحد أضلاع المجاز يكون عادةً السلم المؤدي إلى الطبقة العليا، وملتصقة بالجدار تُبنى مقاعد [دكات] من المواد المستخدمة في بناء المنزل، لجلوس الحارس أو الزوار الذين لا حاجة لدخولهم الباحة. تتصل ردهة الدخول أو المجاز بالباحة بصورة غير مباشرة من خلال حنية متوازية ومربعة؛ وعلى الرغم من أن المجاز كان موجوداً في المنازل العراقية منذ العصور القديمة السومرية والكلدانية، لكن صلته بداخل المنزل من خلال الممرات المنكسرة والحنايا، قد عمل بها على الأرجح منذ المرحلة الإسلامية (← م. ن، ص 50، 60، 215؛ أحمد قاسم جمعة، ص 335؛ هادي منعم، ص 34؛ فريال مصطفى ورضية عبد الأمير، ص 179).



ع. الحيدري، دمشق 2008، ص 117

الديوانخانة [قاعة الضيوف]

الدھليز المتّصل بباب المدخل، هو صلة الوصل الثانية بين الخارج والداخل في المنازل العراقية، يأتي بعد المجاز، أو يحل محله أحياناً، فيلي الباب مباشرةً، ويكون صلة وصل غير مباشرة بين المدخل أو المجاز بالباحة من خلال ممرّ منكسر (واردن وفتحي، ص 46، 50؛ الحيدري، ص 108).

المقاومة للعوامل الإقليميّة في البيوت العراقيّة. في هذا الإقليم، هنالك تغييرات مُناخيّة فصليّة ويوميّة واسعة جدّاً، عمودياً وأفقياً. في البيوت العراقيّة التقليديّة، يبلغ الفرق في درجة الحرارة بين سقف البيت والقبو [السرداب] في وسط النهار حوالي 20° في فصل الصيف، والفرق في درجة الرطوبة حوالي 60٪. ففي معظم الأحيان ترتفع درجة الحرارة حين تشرق الشمس، فوق سطوح المنازل البغدادية بسرعة فائقة من 30° إلى 50° وما فوق (فتحي ورووف، ص 42).

يتمّ التغلّب علي المتغيّرات المُناخيّة في العراق، باستخدام أنموذج الباحة المركزيّة في مخطط المنزل. فعلى سبيل المثال، سُجّل في أحد المنازل التقليديّة العراقيّة الفرق في درجة الحرارة بين أرضيّة الباحة في الطبقة السفلى وأرضيّة الباحة في الطبقة التي فوقها من 2° إلى 4° طيلة النهار، ونسبة الرطوبة في أرضيّة الباحة المركزيّة في الطبقة الثانية أدنى من 8٪ إلى 10٪ مقارنة بالطبقة التي تحتها. كذلك فإنّ باحة الطبقة الثانية أكثر برودة من 4° إلى 5° من سقف المنزل، ونسبة الرطوبة فيها أعلى من 8٪ إلى 10٪، وتالياً فإنّ الفرق في درجات الحرارة بين سقف المنازل وأرضيّة الباحات من 6° إلى 10°، والفرق في نسبة الرطوبة حوالي 20٪. الاختلاف في الحرارة والرطوبة ناجم عن بعد المساحات السفلى للباحة المركزيّة عن الانعكاس المباشر لأشعّة الشمس، لوجود الأشجار، وشدّة ارتفاع جدران الباحة، مما يجعل الباحة منظماً لحرارة البيت. الباحة والأرضيّات الخارجيّة التي تجذب أشعة الشمس مباشرة وغير مباشرة، تؤثر في انخفاض درجة الحرارة، وتحرّك الهواء في الباحات الأكبر يكون أشدّ وأقوى، فتتخفض الحرارة من خلال انتقالها من سطوح الجدران إلى الهواء الذي يعمل على تحريكها. أما ميزة الباحات الصغرى فهي أنّ أسطحها الظاهرة تغطى بسهولة بواسطة مظلات من الكرباس [قماش منسوج باليد من القطن أو الخيش]، فتحمي الغرف من انعكاس أشعة الشمس المباشر. تؤدّي المظلات الكرباسيّة من خلال حصرها رطوبة الهواء في الأجزاء السفلى، إلى تقليص الفرق في درجات الحرارة ونسب الرطوبة (م. ن، ص 42، 47).

التغييرات المُناخيّة الأفقيّة في المنازل العراقيّة. يبلغ الفرق في درجات الحرارة في المنازل العراقيّة بين غرف الجهة الغربيّة (التي تقع في مواجهة الشمس بعد الظهر)، وغرف الجهة الشماليّة (التي هي في مأمن من شمس

الصيف)، أكثر من سبع درجات. هذه الظاهرة موجودة حتى في الأقبية المعزولة بمواد أكثر سماكة، ومن الثابت أن القبو الغربي أشد حرارة من القبو الشرقي. لا فرق يُذكر في اختلاف درجات الحرارة أفقيًا عنها عموديًا في الباحة المركزية. أما الفرق من 5° إلى 7°، فيعدّ إحدى قواعد تصميم المنازل العراقية، ويؤدي إلى تصميم الفضاءات بحسب الحاجة إليها في الفصول المختلفة، وأوقات النهار المختلفة. فجميع الغرف الشتوية التي يكون انعكاس أشعة الشمس المباشر عليها ضروريًا لتدفئتها، تقع في الجهة الغربية أو الجهة الشمالية من المبنى، والغرف التي يجب أن تُستخدم في الصيف، تقع في الجهة الجنوبية أو الشرقية، كي يكون السكّان بمنأى عن الانعكاس المباشر لأشعة الشمس، أو للتخفيف من تأثيرها، من خلال السماح بدخول نور الشمس في الساعات الباردة من النهار فقط (م. ن، ص 47).

تؤدي عملية البناء التي تتم بواسطة موادّ سميكة، ومقاومة للحرارة المرتفعة في البيوت العراقية، إلى إيجاد عازل في الغرف السكنية. تعمل جدران الطبقة الأرضية المبنية بالآجر، والحصباء كمكوّن أساسي، والملاط الذي هو خليط من الرمل والإسمنت، وسماكتها من 60 إلى 120 سنتم، إلى تأخير زمني للحرارة من 7 إلى 120 ساعة، وتمتص الحرارة نهارًا، وفي الساعات الأشدّ برودة ليلاً تنقلها إلى الهواء (م. ن، ص 48).

الأقبية [السرايب] المحدّبة السقف، والمفروشة أرضيتها بالآجر، والمحفورة في باطن الأرض التي تقوم بدور العازل، الحرارة فيها لا تتغيّر في كل يوم وليلة إلا درجة واحدة. لذلك فإنّ وسط البيت لا يتغيّر مناخه إلى حدّ ما (م. ن، ص. ن). لتبريد المنزل في ساعات الظهر القانظ صيفًا، يُستخدم البادغير [المَلَقَف] والنوافذ، وبهذه الطريقة التي تعتمد على إقامة المَلَقَف في الجهة التي تهبّ منها الرياح، ليتلقّف الهواء الخارجي، ويوجّهه نحو السرداب الأبرد، والشديد الرطوبة، وبعد تبريد الهواء وترطيبه، يتلقّفه من جديد ويوزّعه على أجزاء البيت الأخرى. لم تُبنِ الملاقف البغدادية، إلا في الجهة الشمالية الغربية، على العكس من ملاقف جنوبي إيران والخليج الفارسي (الحيدري، ص 101؛ لمزيد من الاطلاع ← وارن وفتحي، ص 86-87).

في البيوت العراقية التقليدية، تشكّل الباحة المركزية [الحوش] أو وسط الدار، الجزء الرئيسي من البيت. فالباحة هي التي تمنح البيت النور والتهوية هدية. ومن خلالها تتصل مكونات البيت جميعها أجزاءً وطبقاتٍ ببعضها (الحيدري، ص 82). والفناء مركز كل العلاقات في البيت، وقلبه النابض، وهو فضاء مشجّر، متعدّد الجنائن، تتوسطه عادة فسقية [حوض صغير]، ذات نافورة ترطب الجو وتبرّد الهواء. لا يمكن لأحد أن ينتقل من غرفة إلى غرفة،

أو من طبقة إلى أخرى، من دون أن تكون له علاقة بالحياة الجارية داخل الباحة. على الأقل يجب أن يرى المساحة المشجرة (وارن وفتحي، ص 56).
مواصفات الباحة المركزية فيزيائياً مرتبطة عادةً بسعة المبنى وشكله ومخططه. وخريطتها عادةً على شكل مستطيل قائم الزوايا، وفي نماذج معدودة على شكل مربع منحرف، ومشكلة التعرّجات تحلّ بواسطة الدعائم؛ وتتغيّر أبعادها طولاً وعرضاً تبعاً لمساحة طبقات المنزل وشكل الأرض، وتتراوح من الصغيرة جداً 4م × 3م، حتى الأبعاد المتوسطة، والكبيرة، والكبيرة جداً التي تصل مساحتها إلى 22م × 15م (العزاوي، ص 54).

الفناء (الحوش) مربع الشكل عادةً، وفي كل جانب من جانبيه على نحو متماثل، فضاءً مركزيّ مفتوح على امتداد أضلاع الفناء، وبينهما نوافذ أرسية [نوافذ كبيرة تُفتح على الفناء] جميلة موحدة النسق، شديدة الارتفاع. من مكان قريب من الرواق، طريقٌ مدرّج يصل إلى الطبقات التي تلي الفناء (وارن وفتحي، ص 46، 47؛ فريال مصطفى ورضيعة عبد الأمير، م. ن، ص. ن).

كان الفناء المركزيّ من أهمّ العناصر المعماريّة في تشييد البيوت البغدادية وتصميمها. وفي النماذج الأكبر غير المقيدة بمساحة محدودة من الأرض، كان يُقام حوش ثانٍ، يستخدمه أهل البيت للخدمة، يمكن أن يؤدي أيضاً دور الموزع والردهة (← فتحي وروف³⁰، ص 41). 'مُذَان الفناء'ان يُسمّيان "الحوش البرّانيّ" و "الحوش الجوّانيّ" (أحمد قاسم جمعة، ص 328).

الفناء (الحوش) أربعة أنواع: حوش الحرّم وهو فناء خاصّ بالعائلة، وحوش الديوانخانة [قاعة الاستقبال] للضيوف، أو لعلاقات صاحب البيت الاقتصادية، وحوش المطبخ لسيّدة المنزل وضيوفها، وحوش الطّولة، أو باحة البهائم والإسطبل، وموقع هذا الفناء في إحدى جهات المنزل التي لا يستخدمها سوى بعض قاطنيه، يُحيط به جدار المنزل من جهتين أو ثلاث، ومن الجهة الأخرى السور الخارجي للبيت. من ميزات الحوش المركزيّ اقتصادياً، أنّه يدفع إلى حشد الأجزاء العليا المسكونة، وتقليص أبعاد البيت والمساحة التي يحتلّها، واستغلال مساحة الأرض إلى الحدود القصوى. إنّ إنشاء الحوش المركزيّ [الوسطيّ]، من سنن بناء المنازل في هذه المنطقة ذات المناخ الحارّ والجاف. كما يُلاحظ أيضاً الفناء المركزيّ الداخليّ في تصميم المنازل الجديدة في هذا الإقليم، مع الأخذ في الاعتبار تبدّل متطلبات السكّان وميولهم (الحيدريّ، ص 86-87؛ العزاويّ، ص 55-57).

2- غرفة العائلة، حوش الحرّم

4- باحة البهائم، حوش الطّولة

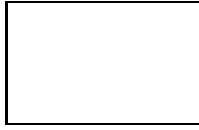
1- غرفة الضيوف، الإيوان

3- المطبخ، حوش المطبخ

ع. الحيدريّ، دمشق 2008، ص 87

خريطة أرضية منزل في بغداد

الغرف المحيطة بالفناء المركزي تُقسم إلى أنواع مختلفة. الجناح العملي كالمرفق الصحي والمطبخ والمستودع في الطبقة الأرضية، حيث يصل الضجيج الصادر عنها إلى حدّه الأدنى بالنسبة إلى جناح الاستراحة، وهي تُقام في الأواوين الصغرى، وتحت الأدرج، وزوايا المبنى. الأدرج عملية الاستخدام، بُنيت دائماً ذات جدران آجيرية، عارية من الزخارف، من موادّ البناء المتوافرة؛ وهي أسرع وسيلة اتّصال بين الطبقات، تربط معظم الفناء بالشرفة الطارمة، التي هي رواق أو مساحة ذات أعمدة خشبية، محيطة بالفناء الرئيسي، في الطبقات العليا من المنزل (وارن وفتحي، ص 48، 50، 66، 215).



j. Warren & I. Fethi, Eng. P. 1992, P. 57, 65

الطارمة والطبقة الثانية

الأرسيّة غرفة كبيرة تفصلها عن الطارمة نافذة كبيرة مفتوحة على الفناء، ولا طريق موصل إليها. لمعظم الغرف الأرسيّة باب دخول في كلّ ضلع من ضلعَيْها الصغيرين يُفتح على الأواوين الصغيرة. وليكون هنالك تميّز في الموادّ وفي البناء تُركّب أطر النافذة الأرسيّة داخل جدار ضيق حمال. في هذه الأنواع النادرة، يُستبدل بالنافذة أبواب مصقولة ولمّاعة. هذا النوع يُشاهد في بيوت كربلاء (م. ن، ص 70).

الحجرة أو الأودة غرفة صغيرة قليلة الارتفاع، تُقام في زوايا المنزل، لتخزين المؤونة، أو أثاث المنزل (الحيدري، ص 76).

الشناشيل غرفة في الطبقة العليا، ذات نافذة مفتوحة على الخارج، تحمل الاسم نفسه. هذه الغرفة هي المَعْلَم الرئيسي في بيوت المدن، والمنظر الوحيد من المنزل العراقيّ الذي تقع عليه العين من خلال الزقاق. هذه النوافر الخشبية ضمن نسيج الزقاق المتناغم، هي التي تعمل على تحريك الهواء وتلطيفه (← هادي منعم، ص 49-42؛ أحمد قاسم جمعة، ص 323-324؛ للاطلاع على أنواع الشناشيل في الحلة في العراق ← فريال مصطفى ورضيّة عبد الأمير، ص 171-173).

يصل تاريخ إنشاء السرداب في المنازل العراقيّة إلى العصرين السومريّ والكلدانيّ (أحمد قاسم جمعة، ص 334). الأجنحة السفلى تضم السرداب والسرداب النصفّي أو النصف. الجناحان مسقوفان بقطرة آجيرية، ويستمدّان

النور والهواء من الفناء. سرداب القسم السفلي له فناء. يقع جزء من ارتفاع السرداب النصفّي تحت الفناء، والجزء الباقي في الطبقة الأرضيّة. السرداب مناسبٌ للاستراحة بعد الظهر صيفاً، والنصفّي لسكن أهل البيت من أول الربيع حتّى أواخر الخريف، أو لحفظ المؤونة. في طرفي النصفّي غرفتان صغيرتان لكل منهما جدار مكوّن من الألواح الخشبيّة أو المعدنيّة، اسمه تَخْتَبُوش، والفراغ تحته يُسمّى رهرب (الحيدريّ، ص 100، 104، الصورة؛ وارن وفتحي، ص 216؛ هادي منعم، ص 37).

يُطلق اسم الكبشكان على الغرف الجانيّة في الأشكوب النصفّي أو الطبقة الثانية، والفضاءات الجانيّة والرئيسيّة من البيت، وقد جرت العادة أن تُخصّص للنساء (الحيدريّ، ص 77). تُفصل الفضاءات الأخرى في المنزل عن بعضها بجدران رقيقة حادّة الأطراف، أو بالأبواب والنوافذ الخشبيّة التي تُفتح وتُغلق. العناصر الجانيّة في المنزل كسلالم الطبقات، والممرّات أيضاً ليس لها مكان محدّد ثابت، يتغيّر موضعها تبعاً لمخطط المنزل. شتاءً ينام قاطنو المنزل في غرفة المعيشة التي تدور فيها عجلة الحياة طيلة النهار تقريباً، والتي هي أدفاً من سائر أرجاء المنزل، لكنّ في الصيف، يتحوّل سطح المنزل إلى مكان للنوم (← وارن وفتحي، ص 60، 66).



j. Warren & I. Fethi, Engl. P. 1982, P. 65

منظر الزقاق والشناشيل

المساحات المكشوفة جزئياً، والمساحات المسقوفة في المنازل العراقيّة. هنالك ميلٌ تلقائيّ لإقامة التوازن والتماثل في كميّة تخطيط الغرف الرئيسيّة. ويظهر ذلك بوضوح في التخطيط الأوّلّي للإيوان والغرف على جانبيه. الفضاءات الأربعة المفتوحة على الطارمة، تتضمّن الإيوان والقاعة، والغرفة الأرسيّة، والإيوان الصغير. الإيوان والقاعة يشكّلان جزءاً من الفضاءات المفتوحة جزئياً أو المسقوفة، ويقعان بين الفضاءات المفتوحة وسائر أجزاء المبنى المسقوفة والمغلقة، وبصفتها فضاءان عمليّان، هما مفصولان عن الشرفة. الإيوان فضاء مفتوح غير منفصل عمّا أمامه، ويفصله عن فضاء الطارمة من جهة واحدة عمودان أو عدّة أعمدة، أمّا الجهات الأخرى فهي مقفلة. هذه الفضاءات المفتوحة جزئياً تحتلّ قدر المستطاع النقاط المركزيّة في واجهة المنزل، وبصريّاً هي أكثر أهميّة، مقارنةً بالفضاءات الأخرى كالأواوين الصغيرة.

الفضاءات الصغيرة المفتوحة جزئياً والغائرة في الطارمة تسمى إيوانتشة [الإيوان الصغير]، الذي هو على الأغلب ممرٌ صغير، يُتيح الوصول إلى أجزاء المبنى الرئيسيّة، أو إلى السلاّم، وفوقه يقع جزءٌ من الأشكوب النصفِيّ، الذي يُسمى كابيشخان. يتّصل هذا الحيز المكانيّ عادةً بواسطة أبواب ذات مصراعين بالإيوان، أو أجزاء المبنى المحاذية، وعند الحاجة تُفتح الأبواب فيتّسع المكان، ويصبح قاعةً واحدةً (م. ن، ص 67).



ع. الحيدريّ، دمشق 2008، ص 77.

صورة مقطعيّة لأجزاء من المنزل:

1- الكبشكان، 2- الغرفة الأرسية، 3- الطارمة، 4-

الحَوْش/الفناء

القاعات عناصر معماريّة ذات أعمدة، مستوية، من دون أبواب، وهي من نوع الإيوان، وفي معظم الأحيان بعيدة من نطاق الفناء. جرت العادة أن تُبنى قاعتان متقابلتان، واحدة في الجهة الشماليّة من المبنى وأخرى في جنوبيّه (فتحي ورُف، ص 41؛ وارن وفتحي، ص 30).

المظهر الخارجي للبيت. تظهر الطبقة العليا في المنازل العراقيّة ذات أعمدة أعلى من أعمدة الطبقة الأولى، وضعفي أعمدة الطبقة الأرضيّة. يُشاهد وراء صفّ الأعمدة في واجهات الطبقات عادةً جدارٌ آجريّ حامل، زُخرف بأقواس صمّاء، ذات مخططات ومساحات معبّاة وفارغة، بهدف إضفاء العمق على المنظر العام للمبنى. في الطبقة الأولى يحاول البناؤون قدر الإمكان أن تكون كل المواد خشبيّة رقيقة ودقيقة الصنع. تُجمل الواجهة الخارجيّة للمبنى بأعمال النحت والتخريم الجصّيّة الكثيرة التفاصيل، التي تشدّ الأبصار. تُشاهد أيضاً النوافذ المفتوحة على الشرفة. يُستخدم الخشب أيضاً في السقف والأعمدة وتيجانها وفي النوافذ. واجهة الأرسية موحّدة النسق، وهي طبقتان، تكونان لوحة جميلة تسرّ الناظرين. في المظهر العام للفناء من جميع الجوانب صفوف من الأعمدة الخشبيّة المثمّنة الأضلاع، كلّما ارتفع العمود ضاق قطره، والقسم الأخير منه قبيل السقف مزخرفٌ بالمقرنصات الجميلة، الدقيقة الصنع. هذه المقرنصات الزخرفيّة تختلف أشكالها من بيتٍ إلى آخر. ما من تصنيف نوعيّ لتيجان الأعمدة هذه، محدّد ودقيق، علماً أن ثلاثين نوعاً مختلفاً منها، قد جرى توثيقها حتى الآن (وارن وفتحي، ص 61-63، 65).

في أهمّ المدن في شماليّ العراق والمناطق الكرديّة السكّان، كالموصل وكركوك وأربيل هنالك أيضاً عشرات المنازل التاريخيّة، لا تزال قائمة، تعبّر

عن أنماط بناء المدن وكيفيته في القرون الخوالي، لا سيّما في العصر العثماني، من هذه المنازل: منزل السيّد عبدالله آغا (تاريخ بنائه: 1311هـ/ 1893م)، ومنزل جميل أفندي (بُني في 1320-1330هـ/ 1902-1911م) في أربيل (حميد محمّد حسن، ص 215، 231)، ومنزل ميكائيل (تاريخ البناء: 1314هـ/ 1896م) في كركوك (محمّد عبدالله صالح، ص 194)، ومنزل التوتونجي (تاريخ البناء: 1222هـ/ 1807م)، وأمين بيك جليلي (تاريخ البناء: 1162هـ/ 1748م) في الموصل (عبدالله أمين آغا، ص 176؛ أحمد قاسم جمعة، ص 327-328).

المصادر والمراجع: أحمد قاسم جمعة "المميّزات والتصاميم المعماريّة التراثيّة في الموصل وتأثيرها على النمو العمرانيّ الحضريّ فيها"، مجلة آداب الرافدين، العدد 16 (تشرين الثاني 1986م)؛ حمورابي، ملك بابل، قانون نامہ حمورابی [شريعة حمورابي]، [منقولة عن الترجمة الإنكليزيّة] لكاميار عدي، طهران 1373ش [1994م]؛ حميد محمّد حسن، "أمثلة من البيوت التراثيّة في قلعة أربيل التاريخيّة"، مجلة سومر، مج44، العددان 1 و 2 (1985-1986م)؛ علي الحيدريّ، البيت البغداديّ، دمشق 2008م؛ عبدالله أمين آغا، "نظرة في عمارة الدور في الموصل"، مجلة سومر، مج43، العددان 1 و 2 (1984م)؛ فريال مصطفى ورضيّة عبدالأمير، "التراث المعماريّ لمدينة الحلة"، مجلة سومر، مج45، العددان 1 و 2 (1987-1988م)؛ ليونارد ويليام كينغ، تاريخ بابل از تأسيس سلطنت تا غلبه ايرانيان [تاريخ بابل منذ تأسيس المملكة حتى الاحتلال الإيراني]، ترجمته بالفارسيّة رقيّة بهزادي، طهران 1378ش [1999م]؛ محمّد عبدالله صالح، "بيت ميكائيل التراثي في قلعة كركوك"، مجلة سومر، مج45، العددان 1 و 2 (1987-1988م)؛ دان ناردو، بين النهرين باستان [بلاد ما بين النهرين القديمة]، ترجمه بالفارسيّة سهيل سميّ، طهران 1385ش [2006م]؛ هادي منعم، "البيت البغداديّ" مجلة التراث الشعبي، السنة 8، العدد 9 (1397هـ/ 1977م)؛

أجنبي...

/غلامحسين معماريان وإحسان فتوح/

(2) الحجاز واليمن.

الحجاز. يعود تاريخ استيطان شبه الجزيرة العربيّة، كما يتبيّن من التنقيبات الأثريّة إلى ستّة آلاف سنة خلت، بالتزامن مع تكوّن المجتمع البدويّ. تدلّ بعض الآثار المكتشفة في بعض المدن كمكة والمدينة، على العلاقة بين مناطق الاستيطان القديمة والعمارة المحليّة في الحجاز. كانت الأعمال

البنائية في الحجاز (على العكس من سائر بلدان شبه الجزيرة العربية) قبل التصنيع، متنوّعة جدًّا، وكان استيراد موادّ البناء محدودًا لصعوبة الحمل والنقل (كينغ³¹، ص 1، 3). كان بالإمكان التكيّف مع البيئة من خلال اعتماد أساليب البناء البدويّة والبسيطة. من الأعمال البنائية المحليّة، البيوت الحجريّة، وأكواخ اللّبن والطين، والأكواخ الطينيّة المسقوفة بأغصان الأشجار وأوراقها، وخيم البدو من شعر الإبل والماعز، وأحيانًا الجلود، وهياكلها ألواح خشبيّة (جواد علي، مج8، ص 22؛ دلو، مج2، ص 8). لم تكن بيوت فقراء الحجاز في معظمها متينة البناء، كانت من اللّبن والطين، وتُستخدم في بنائها جذوع الأشجار وأغصانها وأوراقها. أمّا الأغنياء الذين كانوا قلة في بعض المدن كالمدينة المنورة، فكانوا يستخدمون الحجارة والجير، وكانت بيوتهم أكبر، ذات أجزاء مفتوحة، وظلّة، وبئر وتّور (دلو، مج2، ص 12-14؛ جواد علي، مج8، ص 9). أدّت زيادة عدد السكّان وتفاقم الفقر إلى بناء منازل كبرى ذات فناء مركزيّ، تتّسع لعدّة عوائل (مظاهري، ص 118).

من سمات مُناخ الحجاز فصول الصيف القائظّة، والشمس الحارقة، والغبار. في المناطق المحاذية للبحر، الهواء رطب، وكلّما تقدّمنا خلال اليايسة، تحوّل نحو الجفاف. في النقاط الوسطى، تتدنّى درجات الحرارة إلى الصفر في ليالي الشتاء، بسبب الرياح الشماليّة والشرقيّة. في المناطق الجنوبيّة الغربيّة المرتفعة، تهطل الأمطار بغزارة، إلى حدّ تكوّن برك واسعة أحيانًا في منطقة نجد. للحدّ من الأضرار التي تسببها الأمطار، اعتُمدت في العمارة في هذه المناطق محاولات، منها طلي الجدران بموادّ تمنع تسرّب المياه، ومدّ مجاري الصّرف الصحيّ، وإعادة تطييب المباني المشيّدّة باللّبن والطين، لكنّ الرطوبة كانت تؤدّي أحيانًا إلى إلحاق الخراب بالمباني في أشهر الصيف في المدن، ومنها مكّة والمدينة. فقد آلت الجدران إلى الخراب، لهشاشة مِلاط خليط الإسمنت المستخدم في داخلها ولتعرّضها الدائم للبلل، ومع الزمن تفتّتت حجارتها (كينغ، ص 3، 85). في مدينة أبها، بُنيت المنازل على شكل أبراج طينيّة متتالية، تفصل بينها صفوف من الحجارة النافرة، تحمي الجدران من التآكل بفعل الأمطار (بيتربريج³²، ص 182).

من المبادرات الأخرى في الحجاز للتخفيف من مضارّ حدّة الشمس، العمل على تحريك الهواء في الأجزاء الداخليّة للمنزل. فالفناء عامل رئيسيّ من عوامل إنارة الغرف وتهويتها. إنّما في منطقة نجد في وسط شبه الجزيرة العربيّة، تتمّ تهوية الغرف بواسطة كوّتين أو ثلاث. تفتح هذه الكوى داخل الجدار، قريبة من السقف، على شكل مستطيل أو مثلث، لحجب الرؤية، ومنع دخول الهواء المحمّل بغبار الشوارع الترابيّة. أيضًا تُساعد النوافذ الصغيرة

³¹ - King

³² - Pettherbridge

وملاقف الهواء، والسلالم العموديّة بين الطبقات في عملية تحريك الهواء، وأحياناً تساعد في تبريده مستوعبات مثلثة الشكل مُعدّة في جدران السلام (كينغ، ص 50، 153، 172).

مواد البناء المستمّدة من المحيط البيئي للمبنى، والموقع الجغرافي للمنازل، فائقة التنوع في هذه البلاد. تُتيح مجاورة البحر، والجبال المرتفعة، وواحات النخيل، والصحارى الحارّة، إلى حصول السكّان على الحجارة المرجانيّة، والخشب، والحجارة الجبلية، واللّبن. كانت أنماط المباني لا سيّما في النواحي الحدوديّة، وفي أطراف شبه الجزيرة العربيّة متأثرة بالجيران. فعلى سبيل المثال، نُفّذت في مكّة وجدة نماذج من المنازل السوريّة والتركّيّة، وفي أجزاء من جدة نماذج إيرانيّة (م. ن، ص 209). بشكل عام، هنالك نوعان من مواد البناء مسيطران في مباني الحجاز، أحدهما اللّبن والطين، والآخر الحجر والخشب. كانت كسوة السقف غالباً من الألواح الخشبيّة. على هذا الأساس هنالك عدّة موادّ حاملة في المنازل:

1) توليفة الحجر والخشب. كانت الحجارة المرجانيّة أكثر استخداماً في جدّه، وضُباء والوَجْه، وقطيف، لكن بسبب قصر عمر المرجان، والظروف المناخية الرديئة، لم يبق سوى شواهد تاريخيّة قليلة. هنالك سنّة محلّيّة كانت تقضي باستخدام أخشاب الصندل لتقوية المرجان، وأخشاب الصندل متوافرة في معظم المناطق الساحليّة المحاذية للبحر الأحمر. كان الصندل يُدخّل بين الصفوف الأفقيّة للكتل المرجانيّة بفواصل يبلغ مترًا أو مترين. في شماليّ الحجاز ذُكرت هذه العناصر بصفاتها عناصر داعمة، أو عناصر مساعدة (عضادة) (م. ن، ص 10، 18، الصورة 17، ص 20، الصورة 19). في الهُفوف والأحساء أيضاً، كانت تُستخدم الألواح الخشبيّة الأفقيّة (جذوع الأشجار والنخيل المحليّة، أو الصندل الهنديّ) تدخّل بين الحجارة، لجعل الجدار أكثر متانة. هذه الطريقة التقليديّة التي كانت تُستخدم في مكّة والطائف وجدة، كان معمولاً بها على الأرجح في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربيّة، كما أنّها تُشاهد في النواحي المرتفعة من اليمن (م. ن، ص 11، 198).

2) الحجر. في المناطق المرتفعة الغربيّة والجنوبيّة- الغربيّة، وشماليّ نجد، تُشاهد مبانٍ حجريّة شبيهة بالنماذج الموجودة في حوران في شماليّ الأردن وجنوبيّ سوريا. في منطقة غامد المرتفعة في الجنوب الغربيّ، كان الحجر هو مادّة البناء الأساسيّة، يُنَبّت باستخدام الخشب، والصلصال. في نجد المركزيّة، تُستخدم الحجارة في الأعمدة والقواعد. في بعض المدن مثل جلاجل، العنصر المعماريّ الأساسيّ في البيوت هو الأعمدة الحجريّة، الممتدّة إلى الطبقات العلويّة، والتي تنقل الألواح الأفقيّة ثقل السقف إليها. يختلف ارتفاع الأعمدة من مدينة إلى أخرى. ففي بيوت هُفوف والأحساء، العناصر المعماريّة

الأساسية هي العمود والألواح الحجرية (م. ن، ص 109-111، 153، 199)، والجدران غير الحاملة، تُخطط فيها أقواس صماء، وطيقان ونافذة، وإن لم يكن فيها كوة، تُزخرف بالنقوش الجصية. النوافذ مزدوجة، وفي مدينة القطيف، في الوسط بين النافذتين عمود دقيق يتحمل ثقل القوس الذي يعلو النوافذ، وهذه المجموعة تحتل إطاراً مستطيلاً في فجوة من الجدار (م. ن، ص 203-204).

في المناطق الشرقية كالأحساء، والجنوب الغربي كبراقش، وظفر، والأخدود (نجران) في حضرموت، والنواحي الشمالية كقرية الفاو في عسير، ومرتفعات تهامة وتلال في أسفل مكة، والمدينة المنورة، وخيبر والطائف، كان استخدام الحجارة هو الأرجح. كما استخدم الحجر الجيري في منطقة القطيف (م. ن، ص 80، 183).

في المدينة وخيبر كانت مواد البناء من حجارة البازلت، التي تُستخرج من قرب المدينة، ولأنها سوداء كانت تغطي بالطين (م. ن، ص 11-12). في درعية، العاصمة السعودية الثانية، بالقرب من الرياض، استخدمت الحجارة المستوية المستقيمة في صفوف اللبن، وكُسيت بطبقة من الطين. في المرتفعات الجنوبي الغربي الحجاز كانت المباني أيضاً حجرية بالكامل (م. ن، ص 12، 111، 113).

السقوف كانت أحياناً من الصفائح الحجرية المسطحة فوق ألواح الأثل، ويُغطى وجه الحجارة بأوراق النخيل، ثم يُكسى بطبقة من الطين. تُشاهد نماذج من هذه السقوف الحجرية، الصلبة في جلاجل، ودرعية وبني مالك (م. ن، ص 153).



G. King, London 1998, P.175

أنموذج من البيوت ذات الأفنية في قرى الحجاز

الوسطى

3) الطين. يعود استخدام الطين في الحجاز إلى ما قبل الإسلام، في وادي نجران. كان النبي قد بنى منزله والمسجد النبوي في المدينة باللبن. استخدم في منازل الحجاز اللبن الخام. في نجد كانت سماكته تصل إلى المتر في الأرضية والجدران الضخمة، منعاً لتسرّب الحرارة في الصيف، والبرد في الشتاء. ولأنّ اللبن هشّ، وغير مقاوم للأمطار، أصدرت الحكومة السعودية قراراً بمنع استخدامه. السبيل الوحيد للمحافظة على المباني الطينية التاريخية،

تجديد الطبقات الطينية باستمرار. ظلت اللبّات المجفّفة في الشمس مستخدمة في جنوبي نجد، حتى العصر العبّاسيّ (م.ن، ص 12-13، 86). في معظم النقاط المركزيّة، تُملأ حُفر الركائز بالجير، وتوضع المداميك الحجرية في صفين أو ثلاثة صفوف، وتعلو حوالى المتر عن سطح الأرض. استُخدمت هذه الطريقة للمرّة الأولى في الرياض، ومن ثم في المباني الأموية والعبّاسية، وبعد ذلك في وسط الحجاز. الصلصال الذي كان يُستخرج على عمق متر عن سطح الأرض، كان أبيض اللون أو أحمر في مدينة حائل، وأصفر اللون في منطقة العُلا، شماليّ الحجاز (م.ن، ص 12-13). شُيّدت معظم المباني العالية في غربيّ الحجاز، ومعظم المباني البرجية في نجران، على الطراز المعماريّ الزبّور (الطبقات الطينية) الذي هو جزء من العمارة المحليّة. في هذا النمط أو الأسلوب، تُستخدم مواد البناء المركّبة من الطين الطباشيريّ [الصلصال]، والرمل، والقصب، و صفوف القوالب الطينية، وبعدها الآجرية، التي يُفصل بينها بالأخشاب لإعطائها شكلاً معيّناً، وتُرصّف صفوف الكتل في محيط البيت بأكمله.

4) الحجارة والطين. في المناطق المرتفعة في الجنوب الغربيّ من الحجاز، تُستخدم الحجارة في القسم الأسفل من المبنى لزيادة مقاومته، والحوول دون انهيار حوافه وأطرافه حين تُمطر بغزارة. يُستخدم هذا الأسلوب في شماليّ أبها، في منطقة طيب. كانت موادّه الأساسيّة من اللّبن والطين، تُدعّم بوضع ألواح حجريّة بين صفوف اللّبن. ينحصر وضع الصفائح الحجرية داخل طين الجدار بمنطقة عسير (م.ن، ص 111-113، 211).



G. King, London 1998, P.111

أنموذج من البيوت الحجرية والطينية في عسير

5) الخشب. كان استخدام الخشب مادّة أوليّة وزخرفيّة من المعالم الأساسيّة في بناء البيوت في معظم مدن الحجاز. فقد استُعملت ألواح خشب المنغروف [شجر إستوائي] التي يبلغ متوسط طولها 2.8م، المستوردة من أفريقيا الشرقيّة والهند، وغيرها من الأخشاب المستوردة كالصاج والصندل، في البيوت المكّية في العصور الإسلاميّة الأولى. كان الخشب يُستعمل في النواحي الساحليّة كجدة في صنع المَشْرِبيّات (المَشْرَبية—تتمّة المقالة)، فيشكّل زخارف نادرة المثال في واجهات المنازل. في بعض النواحي كمكة

مثلاً يُحضّر الخشب المطلوب من الصاج المستورد، على الرغم من صعوبة الحفر عليه، لأنه مقاومٌ للحشرات (م. ن، ص 15، 48-49).

في المناطق الحجازية الوسطى، كان يتم استخدام الأخشاب المحلية. ففي الأحساء وعسير استُعملت الأغصان الدقيقة لقدرتها على التحمل كسواء للسقف في مجموعات من طبقتين أو ثلاث، ونعلاً لحواجب الأبواب والسقائف، واستُعملت الأخشاب الغليظة كسواء للسقف. في نجران استُعملت جذوع النخيل المقطوعة نصفياً، طبقتين أو ثلاث ذات زوايا لتدعيم السلاسل الطينية. في نجد استُعملت فضلاً عن الأخشاب الوارد ذكرها، أخشاب أشجار السدر، والتوت والعناب والصندل المستوردة من عُمان والهند (م. ن، ص 15، 183).

سقوف بيوت الحجاز، باستثناء قسم من جدة والقُطيف (المقببة السقوف)، خشبيةٌ مستوية. ومن أكثر المواد المستخدمة سقوفاً شجرة النخيل. في نجد الألواح الأساسية في السقف من خشب الأثل، والألواح الفرعية الموضوعة بين الألواح الأساسية من خشب النخيل. هنالك في المدينة أيضاً أنموذج لسقف استُخدمت فيه فروع النخيل ألواحاً، وقطعاً خشبيةً مسطحة، وسقوف المنازل في مكة فروع نخيل مغطاة بالسعف (م. ن، ص 86، 96، 147، 199).

أحياناً كانت الحُصُر المصنوعة من سَعَف النخيل تُستخدم كسوة للسقف في بيوت نجد والمدينة والرياض (← مرتضى، ص 50، الصورة 25). في منطقة الهفوف استُعملت جذوع أشجار الحرشاء [الخردل] في تسقيف البيوت (كينغ، ص 16، 203).

(6) الجص. استُخدم الجص قشرة خارجية لحماية الجدران، وعنصراً زخرفياً على امتداد سواحل الخليج والبحر الأحمر، ومنها جدة (م. ن، ص 11).

يعكس التخطيط المعماري التقليدي، الذي يفصل جناح الحريم عن جناح الرجال في البيوت الحجازية، الرغبة في المحافظة على حرمة النساء. في غربي الحجاز وجنوبيه، أجنحة المنزل المخصصة للنساء مفصولة عن تلك المخصصة للرجال فصلاً تاماً. ففي ناحية الوجه الساحلية، صوناً لحرمة سيّدة المنزل صُمم باب المنزل غير مواجه للمدخل (م. ن، ص 11، 20-30، 86، 211).

في نجد للأجنحة العامة والأجنحة الخاصة في المنازل مداخل منفصلة، فالضيوف لا يدخلون الفناء، وإنما يدخلون المجلس مباشرة من خلال ممرٍ مسقوف تربطه تعريجة بالفناء المركزي (← تنمة المقالة). إذا كان للمجلس نافذة مطلة على الفناء، فإنها تغطي بستارة من الحصير. في بعض النماذج، مثل مدينة حائل، كان هنالك في البيت الواحد أحياناً قسمان منفصلان كلياً أحدهما للرجال وآخر للنساء. قسم الرجال يضم مجلساً وغرفتين

صغيرتين، وقسم النساء يضمّ فناءً مركزيًا صغيرًا، وإيوانًا ومستودعين على الجانبين، والجدران المحيطة بسطح المنزل حولته إلى باحة مصوّنة للنساء، غير مرئية ممّا حولها. من النماذج الأخرى الدالة على التقيد بقضية الحرمة في الحجاز، أنّ الأجنحة العامّة لا تطلّ على الأجنحة الخاصّة؛ كذلك صوّناً لحرمة سيّدة المنزل، سلاّم الطبقات لا تطلّ على أيّ غرفة من الغرف (م. ن، ص 50، 136، 147).

أجزاء المنزل المفتوحة ونصف المفتوحة. "الترّاس"، أو الشرفة غير المسقوفة من أهمّ أجزاء البيت المحصور الداخل، للاستراحة المسائيّة في النواحي الساحليّة من البحر الأحمر. في جدّة هذه الشرفات مسقوفة. في المدينة التراس كثير الاستعمال، وطريق الوصول إليه سلّم. في مكّة هو غالباً المكان الأكثر خصوصيّة في المنزل، يُستخدم لتجفيف الملابس أو النوم في الصيف. لذا كان يُقام حوله جدار مشبك يصون حرمة. وهو في نجد طريق الوصول إلى غرف الطبقة الثانية، وجدرانه المشبكة المرتفعة تحجب الرؤية من الأسفل (م. ن، ص 20، 45، 97، 144).

الفناء من الأجزاء الأساسيّة في المنازل الحجازيّة، وهو بمنزلة القلب منها (اللعبيّ، ص 51)، يُلاحظ نوعان منه: واحدٌ مركزيّ وآخر فرعيّ. في البيوت ذات الفناء المركزيّ، تُبنى الغرف حول الفناء. في ضُبَاء والوجه والمدينة في شماليّ الحجاز، وحول المنازل البرجيّة الشكل من جميع الجهات في المنطقة الجنوبيّة المرتفعة ونجران، يقع الفناء خارج المنزل، يفصله عن المعابر العامّة حائط منخفض (كينغ، ص 125). كان الفناء المركزيّ محاطاً عادةً برواق ذي أعمدة، مربّع أو دائريّ (اللعبيّ، م. ن، ص. ن). الرواق يحيط بالفناء من جميع جهاته، ويشكّل صلة وصل بينه وبين الغرف، يصون عادة الشرفة غير المسقوفة [الترّاس] في الطبقة العليا (كينغ، ص 144، 161). الفناء موضع للاستراحة، ولعب الأطفال والنوم، والطبخ (نويصر، ص 133).

يشكّل الإيوان مَعْبَرًا، ورابطًا بين الغرف، وهو مفتوح من الجهة المواجهة للفناء، وله عقدٌ وسقف مرتفعان. يُستخدم الإيوان لتناول الطعام، وشرب القهوة، والنوم، ويكون أحياناً صلة الوصل، بعد المدخل، بأطراف المنزل (م. ن، ص 126-127).

الأجزاء المقفلة. الغرفة في المنازل المتعدّدة الطبقات في مكّة، حيّز مقفل كليًا، تشكّل القسم الأكبر من المبنى. الأنموذجان الخصوصيّان من الغرف في المنازل الحجازيّة هما المجلس والصفّة. على طول المجلس، غرف نوم رجال العائلة، وبموازاته غرف نوم الأولاد (اللعبيّ، ص 52).

المجلس "الديوانية" أو "القهوة = المقهى" غرفة الاستقبال الرئيسية في منازل الحجاز الأوسط، تُنفذ فيها دائماً زخارف كثيرة لا سيما أعمال التجصيص (م. ن، ص 51). من خصائص المجلس، كثرة الطيقان لوضع الأثاث، والمدفأة الجدارية، والقضبان الحديدية لتعليق الثياب، ووضع المصابيح، وروازن (كوى) السقف لإخراج دخان المدفأة (نويصر، ص 128-129؛ آل زلفة، ص 56).

في المنازل ذات الطبقات الأربع، في جدة، يُقام المجلس في الطبقة الرابعة، أمّا في المدينة ففي الطبقة الأرضية، وتكون له عدة نوافذ صغيرة، ذات ستائر خشبية أو حصيرية، وفي المنازل - الشقق في مكة مجلس في كل واحدة من الطبقات (كينغ، ص 50، 147).

الصفة، موضعها في المسار الموصل إلى غرفة الجلوس، تُخصص لانتظار الضيوف من الرجال، أو ضيافتهم، إن كانت سيّدة المنزل في غرفة الجلوس (م. ن، ص 97).

في ضباء والوجه في المنازل ذات المنحى الداخلي [الحرملك]، والفناء، تقع الردهة بعد باب المنزل أو مشرفة على الفناء، وتُفتح على غرفة أو اثنتين من غرف الرجال، وفيها سلم يوصل إلى الطبقة العليا (م. ن، ص 20). الروشنة أو المشربية شرفة متقدمة عن المنزل باتجاه الشارع، تُنفذ في المنطقة الغربية من الحجاز قليلة العمق في معظم المنازل الساحلية التي تضم جزءاً داخلياً [حرملك]، والمنازل الفخمة في المنطقتين الغربية والجنوبية الغربية. الروشنة أو المشربية مقفلة من ثلاث جهات، ومناسبة لنوم شخص واحد. في جدار المشربية شبابيك صغيرة ليتسرّب النور والهواء إلى الداخل (م. ن، ص 47-48).



G. King, London 1998, P.34

بيت في جدة، من أربع طبقات له رواشن [مَشْرِبيّات]

خشبية.

المطبخ حيّز مكانيّ خاص بربة المنزل، يقع في الجناح الخصوصيّ من المنزل، وفي المناطق الساحلية في زاوية الفناء المركزيّ في الطبقة الأرضية (م. ن، ص 30، 86، 97).

في المنازل الحجازية القبو أو السرداب، ارتفاعه حوالي المتر، وسقفه أعلى من مستوى الفناء (نويصر، ص 23، 137-138)، يُستخدم لتخزين المياه، وتبريد سائر أجزاء المنزل. ففي جدة مثلاً خزان المياه أوطاً من

أرضيّة الغرفة، يبرّدها من خلال كوة [روزنة] في أعلاه. في المدينة أيضًا، كان هنالك دائمًا اهتمام بالسرداب للوصول إلى البئر. في جلاجل يمكن العثور على الماء على عمق خمسة أو ستّة أمتار، لذلك فإنّ هنالك بئرًا في كل بيت من البيوت، وبواسطة جرن ذي فتحة لخروج الماء، تُتاح إمكانيّة الغسل، وأحيانًا الاستحمام (كينغ، ص 45-46، 88، 149).

الساباط ممرٌ مسقوف، والمنازل ذات الساباط في الحجاز، في الرياض والقطيف، تُطلُّ الأزقة. الساباط في المعابر الضيقة في مدينة العلا عنصر معماري دال على مستوى الحياة الاجتماعيّة، والغرفة التي تُبنى فوق الساباط تشكّل صلة وصل بين الوحدتين المتجاورتين. بناء المنازل العائليّة متجاورة، أدّى إلى ظهور الساباط في الحجاز. فمن خلال الساباطات أُتيحت للنساء فرصة الانتقال من بيت إلى آخر من دون الحاجة لاجتياز الشارع (← م. ن، ص 79، 152، 172).



G. King, London 1998, P.192

أنموذج ساباط في القطيف

جرت العادة في نجد أن تُبنى في زاوية أو عدّة زوايا من المنزل أبراج للحماية والدفاع. وفي مدينة الجوف المعلم المعماري البارز، هو البرج المدور المتصل بالمنزل، الذي يُبنى أحيانًا في الحديقة المجاورة للمنزل (م. ن، ص 131، 161).

يُزخرف باب البيت في معظم الأحيان بتصاميم هندسيّة ملوّنة. بعض الأبواب بسيطة (سادة) ومن دون زخارف (م. ن، ص 170، الصور). في منازل دارين التوازن مهم، وفي القطيف، تُنفَّذ أعمال زخرفيّة مفصّلة، مصدرها العلاقات التجاريّة بالكويت والبحرين. في الهُفوف تُستخدم العقود الدائريّة، أو التي تحتوي على أحجار "مبوّطة"، مكرّرة، وهي أجدّ من العقود الحدويّة (م. ن، ص 144، 196، 199).

الأفاريز عناصر زخرفيّة يعود تاريخها في غربيّ الحجاز ووسطه وشرقيّة إلى القرن الثامن قبل الميلاد. هذا العنصر الزخرفي الإسلامي، دخل أيضًا قرطبة وإشبيلية (م. ن، ص 212). بُني الإفريز في الواجهات الخارجيّة للمنازل التقليديّة في الحجاز، بالطين والحجارة، كسوة لأعلى الجدران، ولحرف مجرى الأمطار عنها (مرتضى، ص 123؛ نويسر، ص 116-117). تُنفَّذ كذلك في المنازل الحجازيّة الفُتُحات [الشبابيك] ذات الجوانب العمليّة والزخرفيّة (نويسر، ص 114-115).



G. King, London 1998, P.39

زخارف خارجية لأحد منازل جدة

من الزخارف الأخرى، صفُّ الألواح البارزة المثلثة الشكل، والمتصلة ببعضها، فوق الجدران بمحاذاة السطح، لمنع انزلاق مياه الأمطار فوق الجدار. يُشكّل الجصّ المادة الزخرفية الرئيسية في الزخارف المعمارية في نواحي الحجاز الساحلية والمركزية. والكمّ الأكبر من الزخارف الجصية الجدارية يُشاهد في المجلس، وفي منازل الأعيان في الرياض يُكسى السقف بقماش كتاني، أو تُصبغ ألواحه الخشبية باللون الأحمر (كينغ، ص 147، 171-172).

في نجد الأبواب تقليدية الشكل، متشابهة، لا تغييرات فيها، إنما هي أكثر تنوعاً في المناطق الساحلية. لعدد كبير من الأبواب مطرقة برونزية على شكل يد متحركة، مثبتة فوق صفحة خشبية كثيرة الزخرفة، أعلاها مثلث الشكل ووترتي، وكل هذه المساحة تُزخرف برسوم هندسية، كانت تُلوّن في ما مضى. تعلو باب المدخل في نجد عادةً فجوة نافرة في الجدار سنامية الشكل، تتيح للسكان مكالمة الأشخاص الذين يقفون في مواجهتهم وراء الباب، من دون رؤيتهم (← م. ن، الصورة 124، ص 140، الصورة 127، ص 144).



G. King, London 1998, P.138

باب وكتولة في أحد منازل بريدة

في جدة تُحفر على باب المنزل تصاميم نباتية (م. ن، ص 49). في عسير التصاميم متنوعة (آل زلفة، ص 38، 39-42، الصور). في قرية غامد باب المنزل الخشبي له مصراعان، مغطى كله بالرسوم، وله مطرقتان. في جنوبي عسير، الأبواب ذات مصراعين خشبيين وأقفال معدنية أفقية، وإطار يتخلله شريط عمودي من الخشب يتوسط المصراعين، لتثبيت "مفصلات" الباب. ومطرقة حلقية الشكل فوق كل مصراع من المصراعين؛ كما تُشاهد عليه أيضاً نقوش مخرمة (كينغ، ص 109، الصورة 95، ص 114، 115، الصورة 104). الزخارف الكتابية على الأبواب تتضمن في

معظمها آيات قرآنية، وأدعية، واسم الصانع، وتاريخ الصناعة، محفورة على قطع خشبية (آل زلفة، ص 38، 46).



G. King, London 1998

أنموذج منزل برجى ذي أفاريز زخرفية في نجران

أنواع العناصر المعمارية وتنظيمها. يُدرس التنوع في بيوت الحجاز، على أساس البيئة الجغرافية، وشكل التنظيم المتأثر بها.

1) النوع الداخلي المنحى، ذو الفناء المركزي. بيوت منطقة ساحل البحر الأحمر وتهامة في غربي الحجاز، اتّجاه معظمها شمالي-جنوبي، ومدخلها شمالي أو جنوبي. هذه المنازل في ضُباء ذات طبقتين، وفي الوجه، طبقتان أو ثلاث. السمة البارزة لهذه البيوت المشربيات في الواجهات المشرفة على الشارع. المنازل الداخلية المنحى، ذات الفناء المركزي، في تبوك، في شمالي الحجاز، تُبنى بالأسلوب المحلي للمناطق الصحراوية، من اللبن الخام. خارج كل مبنى، تُبنى صُفّة، ويُجهّز السطح بمصارف لمياه الأمطار (م. ن، ص 19، الصورة، ص 20، 32، 75، 76، الصور).

منازل الهُفوف والأحساء في أقصى نواحي الحجاز، من طبقة واحدة عادة، أو اثنتين وأحياناً ثلاث أو أربع طبقات. يكون الفناء المركزي لمعظمها واسعاً، ومع ازدياد أفراد العائلة، تُبنى فيه غرف أخرى إضافية. هذه البيوت ذات عقود، وزخارف جصية وخشبية، وشبكة تبريد مسئّلة من عمارة مدن الخليج الفارسي الساحلية (كينغ، ص 177، 183).

منزل الأمير سعد بن جيلو أحد نماذج تلك المنازل، شُيّد حوالى العام 1360هـ/1942م، من طبقتين، له فناء مركزي، ومدخلان منحرفا للاتّجاه، لحجب الأنظار عن رؤية الفناء مباشرة. تجري حياة سكّان المنزل في الطبقتين المحيطتين بالفناء، والطبقتان يفصلهما رواق عن حرّم الفناء. هذا البيت يتضمّن جناحاً خاصاً في الجهة الشماليّة الغربيّة، نافراً عن المخطط المستطيل للمبنى، ويشتمل على السلم، والمرافق الصحيّة، والممرّ. نُقشت على جدارن الغرف من الداخل أقواس صمّاء. يزيد عدد النوافذ في الطبقة العليا، لبعدها المسافة التي تفصلها عن الشارع (م. ن، ص 183، 186، 199).

في الناحية المركزيّة والشماليّة من الحجاز، المنازل ذات طبقة واحدة، وأحياناً من طبقتين أو ثلاث. أسطحها تُقسّم بجدران عالية إلى أجزاء أصغر. المنازل ذات الفناء المركزي في نجد، من طبقتين عادة، والأروقة على جوانب

الفناء ركائز للشرفات غير المسقوفة [التراس] في الطبقة العليا (م. ن، ص 144، 147).

(2) النوع الداخلي المنحى المؤلف من عدة طبقات. تُبنى المنازل في جِدّة من أربع طبقات كمعدّل وسطيّ، وأحياناً يصل العدد إلى سبع طبقات، وشرفة غير مسقوفة (تراس). في المنازل ذات الطبقات الأربع، تُخصّص الطبقة السفلى للخدم، والثانية مطبخاً، والثالثة للنوم، والرابعة مجلساً (م. ن، ص 49-50).

العُلا مدينة حجريّة، ومعظم أهلها يعيشون كأهل خيبر في الطبقات العليا، لارتفاع معدّل الرطوبة (م. ن، ص 79).

المدينة تُبنى بيوّتها بالحجارة، من طبقتين، وسقفها مستوية. معظم المنازل تتخفّض عن سطح الأرض، والمياه متوافرة فيها باستمرار من خلال الآبار. بيوت مكّة ذات طبقتين، ومنذ القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ، بُنيت من ثلاث أو أربع طبقات، وكان سبب ذلك ربّما، إسكان الزوّار في موسم الحج. يعود استخدام المساكن الصالحة للإيجار، الشبيهة بالأكواخ في جِدّة إلى القرن العاشر الهجريّ. المنازل التي كانت غالباً من دون فناء مركزيّ مبنية بالحجارة، ومطلية من الخارج (م. ن، ص 85-88، 211). بيوت الطائف حجريّة، وفي القرن الرابع عشر الهجريّ، كان اتّجاهها إلى الجهة الجنوبيّة الشرقيّة والشماليّة الغربيّة، وكانت تُبنى بالحجارة والجذوع الخشبيّة في صفوف أفقيّة، تماماً كمكّة والمدينة، وقد اندرست آثارها منذ أواخر القرن المنصرم (م. ن، ص 105).

في مدينة القطيف، في المنطقة الشرقيّة من الحجاز، بُنيت فضلاً عن المنازل العاديّة، منازل على شكل مجموعات شقق. منازل هذه المنطقة ذات منحى خارجيّ وأشبه بالأكشاك، لها أعمدة خشبيّة معرّقة، وواجهاتها صوب البحر، ولها شبابيك عديدة لتحريك الهواء (← م. ن، ص 193، الصورتان 185 و 186، ص 196-199).

(3) الأكواخ الخشبيّة. في عسير تُبنى أكواخ خشبيّة تُسمّى العُشّاش، هرميّة الشكل، مكسوّة بالجصّ أو الطين، وعليها زخارف نباتيّة، وفي نواحيها الجبلية تُبنى أكواخ ذات جدران حجريّة، تعبّر من خلال أماكن الجلوس فيها، والمطبخ، والإسطبل، المتّصلة بجناح السكن الرئيسيّ عن نمط الحياة البدويّة، وبناءؤها شائع في نواح عديدة من الحجاز، لا سيّما تلك الواقعة شرقيّ عسير، ومنطقة نجران بأكملها (آل زلفة، ص 13، 14، الصور، ص 18). في جِدّة تُبنى الأكواخ من سَعَف النخيل، والحُصُر والقصب (كينغ، ص 40). سكّان القرى في السواحل الغربيّة من الحجاز يبنون الأكواخ من المطاط، والأعشاب اليابسة والحبال، ثمّ يُطَيّنونها (بيتربريج، ص 210).



G. King, London 1998

أُموذج من العُشّاش وزخارفها الداخليّة.

4) النوع البرجيّ ذو المنحى الخارجيّ. النوع البارز من البيوت البرجيّة موجود في الجنوب والجنوب الغربيّ من الحجاز، يُبنى بسبب انعدام الأمان في الجبال، وندرة المساحات الأفقيّة، بين الصخور ذات الانحدار في سفوح الجبال. عدّ لوكوك³³ منشأ البيوت البرجيّة في اليمن في عصور ما قبل الإسلام، وقد كانت تتألّف من ست طبقات إلى ثلاث عشرة طبقة. شوهدت أيضًا نماذج من هذه البيوت في لبنان، وفي الفسطاط في مصر، وفي سيراف في إيران. تُبنى البيوت البرجيّة في الحجاز بشكل عام فوق التلال المرتفعة، وكلّ بيت يتخذ شكله في مساحة محفورة في الجبل (كينغ، ص 119، 123، 210).



G. King, London 1998, p 123

أُموذج من البيوت البرجيّة ذات الأفاريز الزخرفيّة

في نجران

في جبال تُهامّة، وعسير وخلف السهول الساحليّة، تُحفر شرفات غير مسقوفة [ترّاس] فوق المنحدر، على شكل طبقات، لمنع التآكل بفعل الأمطار، وحسن الاستفادة من التراب القليل إلى أقصى حدّ ممكن. في نجران هذه الأبراج من ثلاث إلى خمس طبقات وبالأخصّ من أربع طبقات. ولزوايا المبنى أكباش [حجارة نافرة] باتجاه الخارج، كانت كما يقول السكّان المحليّون وسيلة لمقاومة الزلازل. في هذه المنطقة موقع البيت البرجيّ داخل الفناء المركزيّ، ويتوسّطه فناء ذو جدران طينيّة منخفضة. بابُ الفناء وبابُ البيت كلاهما في الضلع الجنوبيّ، وجدران المنزل ذات انحدار نحو الداخل، بحيث أنّ محيط الطبقات العليا أضيق، لمضاعفة المتانة. يُفتح باب المنزل على بهو الدخول. الغرف في الجهة اليُمنى من البهو، وهناك سلّم معدّ للوصول إلى الطبقة العليا (م. ن، ص 117، 123-125).

³³ - Lewcock

المصادر والمراجع: محمد آل زلفة، لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير، الرياض 1415هـ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد 1413هـ/1993م؛ برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام: التاريخ الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والسياسي، بيروت 1989م؛ شاعر اللعبي، العمارة الذكورية: في البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي، بيروت 2007م؛ علي مظاهري: زندگی مسلمانان در قرون وسطا [حياة المسلمين في القرون الوسطى]، ترجمه بالفارسية مرتضى الراوندي، طهران 1378ش [1999م]؛ محمد نويصر، خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية: منطقة نجد، الرياض 1419هـ/1999م؛

أجنبي...

/غلامحسين معماريان وآرزو صدوقي وفريامير محمد صادقي/

اليمن. كان للظروف الإقليمية في اليمن تأثير فائق في إنشاء أنواع مختلفة من الأماكن السكنية. على هذا الأساس، يمكن تقسيم اليمن إلى خمس مناطق مختلفة: الجبلية، والسهلية، والساحلية، والربع الخالي، وجزائر اليمن (<معجم الفنون>³⁴، مادة "architecture. II. 7 Vernacular"؛ كريملو، ص 2-4).

البيوت الطينية في الأراضي الرسوبية، والبيوت المبنية بالقصب في فلاة تهامة، ممتدة أفقياً، أما بيوت المناطق الجبلية فتبنى عمودياً من طبقتين إلى تسع طبقات. في المناطق الجافة التي تتعرض لتقلبات مناخية يومية، تبنى جدران المنزل بالحجارة أو اللبن، أو الطين، وتبلغ سماكتها خمسين سنتيمتراً أو أكثر. طريقة عزل هذه الجدران تُخفف من تقلب المناخ داخل البيت. في المناطق الحارة والرطوبة للمباني سقوف مرتفعة، ونوافذ كبيرة لتأمين التهوية الداخلية (<الجمهورية العربية اليمنية: النمو الاقتصادي والتطور المعماري>³⁵، ص 18).



P. & M. Marechaux, Impressions of Yemen, Paris 1997, P 10

أنموذج من البيوت الجبلية في اليمن

في منازل المناطق الجبلية، الأجزاء الخدمانية اتجاهاها نحو الشمال، والغرف الرئيسية نحو الجنوب، لكن هذا الترتيب مختلف في المنطقة الجنوبية وفي تهامة بسبب المناخ الحار. في المنازل الكبرى، حتى في المناطق الجبلية،

³⁴ - The Dictionary of art.

³⁵ - "The Yemen Arab Republic: economic development and architectural change".

وجهة استعمال الغرف تختلف من فصل إلى آخر. فالارتحال الفصلي يفرض على السكّان النوم شتاءً في الغرف الحارّة، وصيفاً في الغرف الباردة. في بعض الموانئ كمُخا، على العكس من صنعاء، تُقفل النوافذ في الجهة الجنوبيّة من المنازل لارتفاع الحرارة وشدة هبوب الرياح (عبد الدائم، ص 88). تؤدّي المنازل الدائريّة في عددٍ كبير من القرى الجبلية دور الحصن. الطبقات السفلى منها اسطبلات للحيوانات وللخدمات، وهي عادةً من دون نوافذ، والأجزاء المسكونة في الأعلى (← فاراندا³⁶، ص 64؛ سراج الدين، ص 2، الصورة). ترك النظام القبليّ الذي هو أبرز السمات الثقافيّة في اليمن تأثيراً كبيراً على البيوت. فعلى أساس هذا النظام، يشاهد نوعٌ من التراتبيّة في تنظيم عناصر المنازل القرويّة الجبلية. الديوان حيّز مكانيّ للعموم، يُقام بمحاذاة فضاء مكشوف في الطبقة الأرضيّة (← تتمة المقالة)، وفوقه حيّز المعيشة الخصوصيّة كليّاً، ولا علاقة فيزيائيّة أو بصريّة للأغيار به. يوجد في هذا القسم طريق موصل إلى غرفة منفردة باسم المَفْرَج على السطح العلويّ للمنزل، هي غرفة استقبال الضيوف المميّزين. تُقسم البيوت اليمنيّة بشكل عام إلى بيوت مؤقتة وبيوت دائمة، ويُقسم كلّ منها بدوره إلى أنواع:

(1) البيوت المؤقتة. أوّل ملاذين لجأ إليهما الإنسان ظَهَرَ في شماليّ اليمن، هما الخيمة والمغارة. شوهدت خيام البدو بشكل أساسيّ في سفوح المنحدرات الشرقيّة. كانت منازل أكواخ الحراسة والسقائف أبسط البيوت المسقوفة في اليمن، ملاذاً مؤقتاً للمسافرين المشاة، والرعاة وقطعانهم، شوهدت غالباً في مناطق حمير، وصنعاء وحرّاز. المواد المستعملة في بنائها هي الحجر الدّش غير المقصّب، وساحتها كبيرة تتسع لقطيع صغير. تُشاهد السقائف المدوّرة عادةً في المرتفعات الغربيّة والجنوبيّة الغربيّة، والسقائف المربّعة في معظمها في الناحية الوسطى [المركزيّة]، وعلى امتداد السفوح الشرقيّة والغربيّة للمرتفعات. السقائف المستديرة بُنيت على شكل قبة متوسّط قطرها أربعة أمتار. تضيق دائرة القبة صعوداً في كلّ صفٍّ من صفوف الحجارة، إلى أن تكتمل القبة بحجر دّش واحد أو اثنين في قمّتها. في السقائف المربّعة، ارتفاع الجدران يعادل طول الإنسان. لا يُستخدم الخشب مطلقاً في هذه السقائف بنوعها المستدير أو المربّع. السقائف المربّعة هي المباني الأولى المناسبة لجميع الظروف المعماريّة الجبلية.

(2) البيوت الدائمة. تُصنّف هذه البيوت على أساس شكلها النهائيّ وتوزيع أجزائها، إلى بيوت ذات فناء، وبيوت ذات طبقات. الفرق الواضح بين هذين النوعين، كميّة امتداد البيوت، ونظام الحركة فيها. البيوت ذات الباحة تتمدّد

أفقيًا، وباحتها هي الموزّع بين الأجزاء. وامتداد المنازل ذات الطبقات عموديًا، والتحرك فيها يتمّ من خلال السلالم والممرّات. تُشاهد معظم هذه المنازل في سواحل البحر الأحمر والجبال. البيوت ذات الفناء قليلة الشيوع، وأجزاؤها موزّعة على نحو عشوائي حول الفناء. تُشاهد هذه البيوت ذات الفناء في تهامة والمناطق الجبلية. هنالك بيوت ذات فناء في طبقتها العليا، لا تزال قائمة على نحو متفرّق في الحيّ اليهوديّ في مدينة صنعاء، هي في الواقع على مثال البيوت البرجية الشكل، تحيط الغرف في الطبقة الأخيرة بفناء مقفل جزئيًا بجدران رقيقة.

البيوت ذات الفناء في تهامة مؤلّفة من طبقة واحدة، ومن غرفة واحدة بمحاذاة الفناء. تقسم هذه البيوت على أساس الموادّ المستعملة إلى قصبية وأجرية. البيوت القصبية (الأوشاش) دائرية ومربعة، وقد بُنيت في كلّ من هذين النوعين منفردة أو من عدة وحدات، محاطة بسور. البيوت الأجرية موزّعة من شماليّ تهامة حتى جنوبيّها، لكنّها تُشاهد أكثر في المناطق المركزية والجنوبية، وفي مدينتي الزيدية وزبيد، بتأثير من المناطق الحدودية الشمالية والجنوبية. حاليًا، تُشاهد في أمكنة عديدة مثل القناوص والزيدية، زخارف بدائية آجرية بسيطة [سادة]، عائدة إلى نواحي النصف الجنوبيّ من اليمن. في جنوبيّ الحديدة يمكن مشاهدة النماذج المعمارية الأجرية الأصلية في زبيد، والحيس، وبيت الفقيه، وغيرها من الأماكن.

في المنازل ذات الطبقات (الجبلية)، تلتفت الأنظار ثلاثة نماذج: (1) البيوت ذات الطبقة الواحدة، التي لا يمكن الإضافة إليها عموديًا. في هذا النموذج، الوحدات الأبسط، تصميمها مضغوط أو على شكل U. في المنازل ذات الشكل U أحد الجناحين يضمّ الأجزاء المعيشية والثاني خاصّ بالحيوانات والمستودع. (2) المنازل ذات الطبقتين لا إمكانيّة لتوسيعها عموديًا، ولها سلّم خارجي. (3) البيوت المحاذية للبحر الأحمر، المعروفة بالبيوت التركية، في المناطق الساحلية: مُخا والحديدة واللحية، التي كانت خاضعة لسيطرة الدولة العثمانية تجاريًا وإداريًا. هذه البيوت في معظمها، جدرانها عالية، وتتضمّن إيوانًا وشرفة كبيرة وأسبجة مشبكة.



j. Herbert, Yemen, Ottawa 1989, P 111

بيت برجيّ، في صنعاء

في بعض البيوت ذات الطبقات، يصل عدد الطبقات إلى تسع، ويطلق عليها اسم البيوت البرجيّة. تُبنى الطبقات المختلفة حول سلاّم، تصل من الأرضيّة حتى السطح الأخير، ويُزاد عليها كلّما زاد عدد أفراد العائلة. في الطبقة الأرضيّة أو الطبقة النصفية التي تليها توجد الاسطبلات والمستودعات، وفي الطبقة الأولى قاعة الاستقبال أو (الديوان)، وفي الطبقات التي بعدها تتوزّع الغرف العديدة الصغيرة، وفي الطبقة الأخيرة غرفة كبيرة اسمها المَفَرَج. هذه الغرفة خاصّة بالرجال، لتدخين النارجيلة أو "مضغ القات"، ولها نوافذ كبيرة من جهات ثلاث، ومظهرها الخارجيّ هو الأجل. يمكن أن تُبنى المنازل البرجيّة اسطوانيّة الشكل، أو على شكل مكعب مستطيل. في منازل صنعاء البرجيّة القديمة بُنيت الطبقة الأرضيّة بالحجارة، والطبقات العليا بالآجر. في المنظر الخارجيّ، في موضع اتّصال الطبقتين تُنفذ قرانيز، أو زخارف متعرجة متواصلة [زيكزاك]، لإبراز الحدّ الفاصل بين الطبقات (فارانداء، ص 104، <معجم الفن>، مادّة "Yemen"؛ لوكاك³⁷، ص 72-73).

مواد البناء. استخدام الخصائص الذاتية والشكل الطبيعيّ للمواد الأوليّة على نحو جيّد لإيجاد مبانٍ متنوّعة الأشكال، أسفر عن نوع من الإبداع في المظهر الخارجيّ للبيوت اليمنيّة. فعلى سبيل المثال استخدام جذوع الأشجار المتعرجة والمعوجة في السقوف أضفى عليها شكل المجسّمات (>"الجمهورية العربيّة اليمنيّة...")، ص 15؛ فارانداء، ص 121-122).

تُشيّد المباني عادةً بالمواد المحليّة. في تهامة يُستخدم القصب والطين، وفي النواحي المركزيّة والجبليّة تُستخدم الحجارة، وفي الوديان والأراضي المستوية مزيج الطين والحجارة. مواصفات الحجارة ومقاييسها في اليمن متفاوتة. عمارة هذه المنطقة تشمل مبانيّ عالية، حجارتيها كلسيّة بيضاء مقصوبة، وواجهاتها مزخرفة، وأكوأخاً حجريّة سقوفها مطاطيّة. في الفلوات والمناطق الجبليّة الشرقيّة، وفي الضواحي الشماليّة والشماليّة الشرقيّة، المباني بأكملها طينيّة. أمّا في الجبال شبه الصحراويّة في الجنوب الشرقيّ، فيُستخدم الحجر ممزوجاً بالطين، بأسلوب خاص. الموادّ الأساسيّة في المباني الطينيّة الغرين العاديّ، والتبن واللبن (>"الجمهورية العربيّة اليمنيّة...")، ص 15-16).

البيوت المبنية بالقصب في تهامة تقام بغرز الألواح العموديّة في الأرض فقط. في الأنواع الأكثر تطوّراً من المساكن تُبنى الركائز كأول جزء من البناء عادةً على أسس شبيهة بأسس المباني التقليديّة. معظم المباني ذات قواعد حجريّة صلبة. التراب المحليّ جيّد إلى حدّ ما لتحمل الثقل، وتقام القواعد التقليديّة بحجارة البازلت (مايلز³⁸، ص 43).

³⁷ - Lewcock

³⁸ - Miles

تعكس السقوف في حال كُسيت بالكلس من ستين إلى ثمانين بالمائة من أشعة الشمس. بشكل عام، أفضل السقوف المناسبة لهذا البلد، هي ذات الانحدار والمقاومة للماء، أما السقف المستوي فيُتيح إمكانية التوسع العمودي للمبنى؛ وإلا فإنّ بناء قبة وعقد بيضاوي بديل مناسب للسقف المستوي (م.ن، ص 44).

تُقام السقوف المستوية بألواح متوازية حاملة. في السقوف المكسوة بالمطاط يُشاهد تنوّع أكبر في طريقة عمل الكسوة الخارجية، نماذجها الأفضل موجودة في شماليّ تهامة، وفي البيوت المربعة الزوايا في منطقة اللّحيّة، والبيوت المستديرة في الزّهرة.

تُقام العقود المقوّسة في المنافذ العريضة (الحد الأقصى حوالى ستة أمتار). أحياناً تُبنى عقود داخل الجدار، لتضاعف مقاومته للزلازل، وتتيح إمكانية توسيع المداخل في المستقبل. بناء العقود شائع في مداخل المنازل في الضواحي الجبلية شرقيّ صنعاء ووديان ذمار. مسقط العقد يُبنى عادةً بكُتل من فتات الحجارة، أو الطين، وأعمدته آجرية (لا سيّما في تهامة)، أو من الحجارة، أو الخشب، مع أعمدة زخرفيّة (معظمها في المساجد الجبلية). الأعمدة المبنية بقطع الحجارة المتماثلة تعود إلى ما قبل الإسلام.

من الشائع في اليمن استخدام الألواح الخشبيّة النافرة حوالى ستين سنتيمتراً، لزيادة حيّز غرفة الجلوس في الطبقة التي تلي الطبقة الأرضيّة. على هذا النمط بيوت الأحياء اليهوديّة في صنعاء، علماً أنّ هذه البيوت تُشاهد في نواح أخرى من البلاد على نحو أكبر، لا سيّما في يريم، وذمار، وخولان، وثلاء. في ثلاء النوافر تظهر للعيان مشغولة بالحجارة البارزة.

في تهامة، تُستخدم بشكل عام الحُصُر القصبية، وأحياناً الطين لإقامة الجدران. يُستخدم الآجر أيضاً إنّما نادراً في بناء جدران بيوت القصب. في سائر نواحي اليمن، الجدران الحاملة تكون من الحجارة الطبعيّة، أو اللّبن، تُعبّر أشكالها عن مهارة الحجارين وقصّابي الحجارة. الجدران الترابيّة في المنازل اليمنيّة ثلاثة أنواع: الطين، واللّبن، والآجر. يتمّ الحصول على الموادّ الخام من المكان نفسه، وتُخلط في حفرة بالماء والتبن (تبن الشعير هو المفضّل)، وتُعجن بالأرجل. هذه الظاهرة مشتركة في الأساليب الثلاثة، لكنّ في المراحل اللاحقة من بناء الجدار هنالك فروق مهمّة.

يُستخدم اللّبن في بناء الطبقات العليا من المنازل، أكثر من أيّ مادة أخرى. استخدام اللّبن في البناء معمول به من الشمال حتى الجنوب، وحتى في المناطق التي يشكّل الحجر المادّة الأوليّة في مبانيها، يُستعمل اللّبن لإقامة الزوايا والأركان، والحيطان والحواجب الداخليّة الفاصلة، والأسوار الحدوديّة. توليفة التراب المرصوص والحجارة، والتراب واللّبن في الجدران الخارجية من

سمات أساليب البناء المحليّة. كان في تهامة بيوت آجرية قليلة جدًّا، عائدة لرؤساء القبائل، أمّا الأهالي فكانوا يستخدمون موادًّا هشّة، ولا تعمر كثيرًا. تُبنى جدران البيوت البرجيّة، بالحجارة المقصوبة، أو التراب المرصوص، أو اللَّبن. في صنعاء تدعّم الجدران الحجرية، أو الطوبية، أفقيًّا بالألواح الخشبيّة، وفي أماكن أخرى بالقضبان الخشبيّة القصيرة. تتلقّى هذه الألواح الاهتزازات الناجمة عن الثقل غير المتوازن، أو الزلازل. الأجزاء السفلى من جدران المنازل البرجيّة أكبر وأضخم من باقي الأجزاء، وتُبنى عادةً بالحجارة، أو على ركائز حجريّة، وفي الطبقات العليا تُبنى باللّبن المحروق، أو الجاف جزئيًّا، أو خايط الطين بالتبن. تُكسى الجدران والسقوف بالحجارة الجصّيّة، وأرضيّة المبنى عادةً في الممرّات والمراقي بالحجارة المسطّحة، وفي الغرف بالجصّ (>"الجمهورية العربيّة اليمنيّة...")، ص 2).

عناصر البناء. الباب الرئيسيّ على الأغلب صغير بالنسبة إلى المبنى. في الأبراج الحجرية، يركّب الباب داخل صندوق أو إطار مرتفع، وفي أعلى المدخل سنطور (مثلث الزوايا)، متعدّد الروازن (الكوى) عادةً، مبنيّ من الكتل الحجرية، وشطرنجيّ المخطط. تكون الأبواب عرضًا أحيانًا لعبور الحيوانات، والأحمال، وأحيانًا يُلاحظ مصراع منفصل لعبور الأشخاص.

أبواب الأجزاء الداخليّة أقل ارتفاعًا. أحيانًا يكون ما فوق السواكف مشبكًا على نحو يتيح لسكّان البيت رؤية ما في الخارج، من دون أن تقع عليهم الأعين. حجم الروازن [الكوى] يُتيح إمكانيّة تهوية المنزل، واستلام وعاء الطعام، أو غير ذلك من الأشياء، من دون الاضطرار لفتح الباب، كما يوجد مكانًا باردًا لحفظ الماء والطعام. تُستخدم في معظم الأحيان مشبكات حجريّة، وآجريّة، وخشبيّة، أو طينيّة في النوافذ، والشرفات، والطيقان التي فوق السواكف. في بعض المناطق يُطلق على هذه النوافذ أيضًا أسماء هي عبارات وصفية للبرودة والرطوبة، والأسماء الأكثر استعمالاً هي: الشربة، وبيت المياه في صنعاء، أو البرّدة في إبّ، وشوقادة في البيضاء، ومثال في رداع. تُستخدم أحيانًا لفظة المشربيّة بدلًا من الشباك، أو لوصف المشبكات الخشبيّة.



.P. & M. Marechaux, Impressions of Yemen, Paris 1997, P 119

أنموذج لمدخل المنزل

يتصل مدخل البيت من خلال دهليز بالإصطبلات والمخازن. من الممكن إنشاء زريبة صغيرة، أو قفص دجاج تحت السلم. في الدهليز توضع أحياناً طاحونة يدوية، أو تُبنى مصطبة توضع عليها لوازم الحيوانات وعلفهم، أو تُحفر حفرة لتخزين الحبوب.

في المدن، يمكن أن يُستبدل بهذه الأماكن، حيزٌ خاصٌ للأدوات الزراعية، ومخازنٌ أو مستودعاتٌ لحفظ السلع التجارية، أو غير ذلك من لوازم العمل. في المنازل الأكبر، في الطبقة الأرضية، يُلاحظ مكانٌ للحارس. في مختلف أنواع المنازل ذات الطبقات، يكون السلم عادةً في الدهليز، ويتضمن مرقأتان أو ثلاث. الدرجات حجرية أو طينية، ومن الممكن أن تكون مادتها مغايرة للمواد الأولية المستخدمة في البناء. أما بالنسبة إلى الدرجات فيمكن أن يكون مقاسها واحداً، ومنتظمة، كما هو الحال في منازل صنعاء، أو غير منتظمة كما هو الحال في النواحي القروية، فتبدو وكأنها معبرٌ جبلي.

في صنعاء، تُبنى طبقة نصفية لمخازن الغلال والفاكهة. تضم الطبقة الأولى أحياناً المستودعات العامة. أحياناً تُبنى المرافق الخدماتية كالحمام والمطبخ والسلم على شكل مساحة غائرة ومخفية بين سقفين، يمكن الوصول إليها من خلال بُوَيْب صغير.

نظام التحرك في المنازل اليمنية يقسم على أساس التوزيع أفقياً أو عمودياً. ترتيب الأجنحة في مختلف أنواع البيوت البرجية، المؤلفة من طبقتين، على ساحل البحر الأحمر، هو نفسه، وللممرات والسلالم دور أساسي في التحرك داخل المبنى. تختلف الأمكنة التي يتواجد فيها الرجال، عن تلك المخصصة للنساء، وأماكن استقبال المعارف، عن أمكنة استقبال الضيوف الغرباء. في معظم البيوت اليمنية، يسكن الذكور من الأولاد بعد زواجهم بجوار والديهم. يكون هذا الحيز السكني في المنازل البرجية في الطبقات العليا، وفي المنازل ذات الطبقة الواحدة في التَّحْوِيطَة.



.S. Danluji, the Architecture of Yemen, London 2007, P 49

الديوان في الطبقة الثانية

في المنازل ذات الأفنية، يقع الفناء الذي لا مركزيّة له، بعد فسحة المدخل. يبلغ متوسط ارتفاع جدار فناء المنازل الأجرية حوالى ثلاثة أمتار. والسكاف

الحجريّ الذي يعلو باب المدخل ويفصله عن المنور، عليه زخارف كتابيّة. يحيط بالفناء غرفة أو عدد من الغرف للنوم، ولجلوس الرجال والنساء منفصلين، والمطبخ (هو في بيوت القصب في الفناء)، وأمكنة جانبية، غير مسقوفة عادة، للغسل، ولحفظ أدوات الزراعة وصيد الأسماك ولوازم البهائم. عادةً، يوجد بجانب بيت القصب موضعٌ لتجمّع الأصدقاء، والنوم في الليالي الحارّة، ولمضغ القات. في البيوت الآجريّة يُقام أحياناً إيوان ذو عقد مقوّس للجلوس، وللنوم في الفصول الحارّة.

في البيوت ذات الفناء في زبيد وغيرها، هنالك فرق كبير في مستوى أرضيات عناصر المبنى، تتمّ معالجته بسلام داخليّة أو خارجيّة. في زبيد، حين يُستخدم الفناء مستودعاً، أو محلاً تجاريّاً، أو موضعاً لتجفيف القطن، يُجعل مكان السكن بشكل عام، أعلى مستوى.

في المنازل الصغيرة، غرفة تُسمّى الديوان للاحتفالات الرسميّة، واستقبال الضيوف في الطبقة الأولى، وفي البيوت الكبيرة مكانها في الطبقة الثانية، والديوان هو في الحقيقة أكبر غرف المنزل، عرضه بين ثلاثة وأربعة أمتار، وطوله أحياناً بطول البيت، يصل إلى اثني عشر متراً أو أكثر. في هذه الغرفة تُقام الاحتفالات الأساسيّة كحفلة العرس، أو أعياد الميلاد، أو مراسم العزاء. يمكن في المنازل الكبرى وجود أكثر من ديوان.

الجزء من المنزل الأكثر خصوصيّة، هو الطبقة التي تعلو الديوان، فيها غرف النوم، والحمام، والمطبخ، وغرفة الطعام. في كلّ طبقة فسحة غير مؤثثة تتفرّع منها الغرف. هذه الفسحة الواسعة يفصلها باب عن الدرج، وبشكل عام هنالك غرفة اسمها حجرة أو صلا، تشكّل الحدّ الفاصل بين الدرج والغرف، هي في الحقيقة صلة الوصل بين أجزاء المنزل الأكثر خصوصيّة، التي لا يؤذن لأحد غير أفراد المنزل بالدخول إليها.

غرفة الاستقبال (المفَرَج) غرفةٌ سقفها منحدر من الصفيح، خاصّة بصاحب المنزل وضيوفه المميّزين، وهي أفضل الغرف وأكثرها تجزئةً، وهي ذات أكبر مطلّ على الأطراف، ومساحتها عادة 12×18 متراً مربّعاً. الغرفة المنظرة ذات الزجاج الملون، والتحف القيّمة، مقرّ أكبر رجال العائلة سنّاً، ومخصّصة لدعوات الضيافة المحدودة العدد، ولمضغ القات.



.Sansed, R. B. Serjeant & R. Lewcocks, London 1983, P 219

المَفَرَج

في المنازل البرجيّة، يقع المَصْفا أو الحمّام والمرحاض عادةً بالقرب من مدخل الغرف، وفي قرى المرتفعات الشماليّة موضعه في آخر المَفْرَج. أحياناً يُفصل جزء فرعيّ، ويُقام فيه المَصْفا. في النواحي الجنوبيّة والجنوبيّة الشرقيّة من المرتفعات، يكون المَصْفا أحياناً فوق السطح، وبجانبه مصلّى. يتضمّن الحمّام مَسِيلَ ماء حجريّ أو طينيّ، وقسم الغتسال، وجرناً قليل العمق لتصريف المياه الآسنة.

المطبخ بالحدّ الأدنى من الأناقة، حيّزٌ مكانيّ مدخّن، فقير بالتجهيزات، نصف مظلم، ونظام تهويته رديّ. في المنازل ذات الفناء المبنية بالقصب، يُبنى المطبخ داخل الفناء، وفي المنازل الأجرية ذات الفناء، موضعه في حيّز داخليّ، هو مكان الاستقبال الرئيسيّ. المطبخ في المنازل البرجيّة يكون عادةً في الطبقة العليا، ليسهل إخراج الدخان والروائح من خلال مداخن السقف؛ التّور مفتوح من الجانبين، وفي أسفله حفرة للرماد. وقود التّور الخشب وروث البهائم. يتمّ الغتسال في وعاء حجريّ قليل العرض. في البيوت الكبيرة، مصدر مياه المطبخ عموديّ، في متناول الطبقات كلّها.

يُستخدم السطح لتخزين الحطب، وتجفيف الملابس، وحفظ الفاكهة والحبوب، وللنوم في الفصول الحارّة من السنة. يُحاط السطح أحياناً بسياج ارتفاعه متران من الآجر الخزفيّ، المشبك. الأسيجة المقوّسة أو البارزة الانحناء تُستخدم في المنازل الأكثر فخامة. في بعض البيوت على جوانب السطح شرفات مسيجة، لحظت كأمكنة خدماتيّة، أو للعب الأطفال.

عناصر الواجهة الخارجيّة. واجهات المنازل في اليمن لافتة للنظر لكثرة زخارفها. فواجهات المباني الحجريّة والطويّة مزخرفة برسوم بالغة الصغر، ذات تصاميم هندسيّة معقدة. هنالك تجانس بين جنس البيت وزخارفه، فزخارف البيوت الحجريّة حجريّة، وزخارف البيوت الأجرية من الآجر، وأحياناً يُستخدم النوعان من الزخارف في الوقت نفسه (>"الجمهورية العربيّة اليمنيّة...")، ص 20؛ سراج الدين، ص 5، 10). في المدن اليمنيّة تركيز على أن تكون البيوت عموديّة، مكعبة الشكل، وسقفها مستوية، وذلك نتيجة للرغبة في توسيع وحدات المباني، أو زيادة طبقة بدلاً من توسيع المبنى أفقيّاً. من اللافت للأنظار التماثل والتناسق، كاستخدام زوجين من الروازن [الكوى] المقوّسة، وزخرفة ما حولها وصولاً إلى رأس القوس (مايلز، ص 43).

النوافذ والروازن [الكوى] التي تعلوها، من العناصر الزخرفيّة المهمّة في البيوت اليمنيّة. للبيوت الطينيّة العديد من النوافذ الصغيرة. حتى في الأشكال البدائيّة، تُفتح روازن شقّافة جزئياً في أعلى نعل حاجب النافذة. النافذة الأكثر شيوعاً في الجبال، تلك الموضوعة في عقد مقوّس مرتفع القاعدة، وتُقسم إلى قسمين بحاجب خشبيّ أو حجريّ: الجزء الأوّل، نافذة مستطيلة قصيرة (طقاً)،

مجهّزة بستائر دوّارة [تدور حول نفسها وتتبسط]، أو أسيجة خشبيّة ثابتة، لإدخال الهواء والنور؛ والقسم الثاني، هو القسم العلويّ المقوّس الشكل، يُسمّى العقد، والقمريّة والتخريم. تكمّل المخطّط فتحة التهوية (الشاقص) التي هي شبّاكان في طرفيّ النافذة الأساسيّة. بعض البيوت لها ظلّة رفيعة أيضاً على طول نعل حاجبها. في النواحي الجنوبيّة المرتفعة، تُعمل عادةً بالحجر الهشّ والجصّ، وفي أماكن أخرى بالخشب على الأغلب.



.S. Danluji, the Architecture of Yemen, London 2007, P 49

زخارف داخلية لغرفة في الطبقة الثالثة

المساحة الفارغة بين النوافذ تُغطّى بصفحة شفّافة جزئيّاً، حجر رخام مستطيل مثلاً، دائريّ، أو مقوّس، سماكته خمسة عشر سنتيمتراً، وحوافّها تؤطّر وتُزخرف. الزجاج الملون يُستخدم بديلاً من الحجر الرخاميّ في النوافذ المشبّكة الحجرية أو الخشبيّة، المؤلّفة من قسمين أو عدّة أقسام، وفي المشبّكات يُستخدم الجصّ الزخرفيّ.

في تهامة، لا تُشاهد النوافذ أو الروازن فوق الأبواب إلّا في بعض النماذج في المدن، لا سيّما في بيوت سواحل البحر الأحمر. الأبواب في تهامة مليئة بالرسوم والنقوش لكنّ في الجبال هي أكثر بساطة، وتحتصرُ زخرفتها أحياناً في الحفر حول مطرقة الباب. أنواع الخطوط، والنقوش، وحتى الآيات القرآنيّة زُخرفت بها الأبواب بأسلوب التنبيت. رُصّعت الأبواب الداخليّة أحياناً باللؤلؤ أو الشبّهان.

من الشائع في الجبال وجود السجاد، والوسائد، والأدوات المعلّقة على الجدران، والنوافذ، والروازن الملونة الزجاج فوق أبواب الغرف في تهامة. تُستخدم الألوان بكثرة في الأجزاء الداخليّة، لا سيّما السقف. عناصر المبنى الداخليّة تُزيّن بأدوات زينة هنديّة، وأوعية خزفيّة صينيّة الصنع.

الجدران الحجرية أو الآجريّة لا تحتاج للتطيين أو الطلاء، لكنّ الجدران المبنية بمواد بناء قليلة الجودة، تُطَيّن عادةً. المظهر الخارجيّ للجدران الحجرية خشن وغير مستو، يُطلّى بطبقة رقيقة من ذرور الحجارة أو الجصّ. في الطبقات السفلى تُستخدم الحجارة لمتانتها، إنّما يُستخدم الآجر في الطبقات العليا. نوافذ الطبقات العليا كبيرة، محاطة بزخارف جصيّة ظريفة. يختلف معدل الزخارف الخارجيّة في البيوت الصغيرة عنه في البيوت الكبيرة، وفي القرى عنه في المدن. تُقسم البيوت اليمنيّة من حيث مظهرها الخارجيّ إلى بيوت

ترابية في السهل (الطين، التراب، الآجر)، وحجرية في الجبال، ومن القصب في تهامة، ومختلطة المواد. ففي واجهات البيوت الطينية، ما فوق كل رديف يصبح أكثر نحافة باتجاه الداخل، ويكون تاليًا منحدرًا خاصًا بهذه المباني. في هذا النوع من المنازل يكون المدخل عادةً بويب خشبي صغير.

الزخارف الخارجية في الجدران الطينية قليلة، يُشاهد أحسنها في خطوط أسطح المباني. في أبسط النماذج، تُصنع مثلثات طينية نافرة في الزوايا والحنيتات، وفي النقطة المركزية لخط السطح في كل واجهة من الواجهات. في أقصى الشمال من الجبال حتى الأطراف الشمالية للفلاة الشرقية، تُزخرف المباني بأشرطة على شكل الخيارة، وصفوف من المثلثات الطينية يجعلها الجص أحيانًا بيضاء اللون. من الشائع كذلك في الفلاة الشرقية، استخدام الأشرطة الطينية الحمراء المتعددة الثنيات في أطراف التقاريج، وعلى طول الطبقات السفلى من الأعمدة. تتألف الزخارف الداخلية للمبنى من أشرطة أدق، تُرسم فوق الجدران المبيضة، وعلى حواف الروازن، أو حواشي الممرات. في صعدة وضواحيها من الشائع استخدام الجص الأبيض في خطوط الأسطح، والسياج، والتيجان، تكملها زخرفة الشقوق بالتجصيص البسيط، ويكون لها عميق التأثير.

واجهات بيوت اللبن يمكن أن تكون من غير كسوة، أو أن تُطين بالمِلاط. على العكس من البيوت الطينية، يُستفاد في بيوت اللبن والبيوت الآجرية، من العقد المقوس إطارًا للنافذة وللباب. يمكن أن يُضاف الآجر إلى نسيج الجدار الطيني. البناء بالكتل الطينية موحد الشكل نسبيًا، ويوجد اختلاف جزئي في كيفية توزيع النوافذ في المنزل، وبشكل خاص في الكتابات على الطنف وحواف السطح. في معظم المناطق تبدو المثلثات النافرة من الزوايا أو الجدران على شكل منحنيات بارزة. في سهول مَبار تُزيّن واجهات البيوت ذات الطبقتين بكتابات زخرفية، وصفوف من المثلثات الطينية غير المزخرفة.

الواجهات الآجرية في المدن الكبرى، تُشاهد في الجبال الوسطى وضواحيها كصنعاء وذمار ورداع، وفي عدد قليل من بيوت شمالي تهامة. المَعْلَم البارز في البيوت الآجرية، كيفية توزيع أو رصّ الزخارف الجدارية وزخارف السقف والتقاريج. يبدو أن أحد العوامل المؤثرة في زخارف هذه المباني المصنوعات الهندية، التي كانت متوافرة بكثرة حتى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي في المناطق الساحلية. أحيانًا تقتقد الواجهات الخارجية لأي نوع من أنواع الزخرفة، وتُشاهد الزخارف الآجرية في الجدران الداخلية. إنّما الواجهات الخارجية لمدخل البيت والطبقة العليا في المباني ذات الطبقتين حافلة بالزخارف.

معظم الشبابيك على شكل أقواس مسنّنة، والأقواس المستديرة شائعة أكثر في المناطق الجبلية. تُشاهد أكثر الرسوم الآجرية الهندسية والبسيطة (كـ بعض النماذج في الزيدية)، أو مع قشرة خارجية من الجير (كمعظم نواحي زبيد). أحياناً تُنفذ دوائر طينية فوق طبقة سميكة من الطلاء الأبيض. والطلاء أكثر استخداماً في أجزاء المبنى الداخلية. تُزيّن السقوف على الأغلب بنماذج من المشبّكات الزخرفية، تتّصل بالسقف بواسطة الأسلاك. من الشائع في منازل سواحل البحر الأحمر السقوف الخشبية المستوية والملونة، مع أشكال زخرفية.



.j. Hebert, Yemen, Ottawa 1989, P 49

أنموذج زخارف حواف السطح

في الواجهات الخارجية للبيوت الحجرية، الشكل الزخرفي الأبرز هو الترصيع، وأبسط أنواعه استخدام الحجارة الداكنة في العقود المقوسة حول النوافذ، وحيث تلتقي الزوايا الخارجية، وفي أعمال الترصيع، وفواصل بين الأشكال الهندسية. البارز هو أوضح أنواع الترصيع، ويُنفذ على نحو مشابه في توليفة الحجر والآجر. في هذا الأسلوب، تشكّل العناصر المنفصلة والمكررة، الشبيهة بالنماذج المنسوجة في الأثواب الصوفية والسجاد، في إطار أو خط مستقيم غائر، مظهرًا بارزًا متميِّزًا من خلال التضاد بينها وبين المساحة الخارجية المستوية.

الأنموذج الأساسي هو بشكل عام مجموعة دائرية من المربّعات، تتكرّر على شكل خطوط أفقية، أو مجموعات. من الممكن بحسب المنطقة، أن ترافق هذه الرسوم والنقوش عناصر زخرفية أخرى، أو تحل محلّها، فالمعّلم البارز في بيوت البيضاء الترصيع بالنقوش المثلثة أو الشبيهة بعلامة الضرب الغائرة في الجدران.

الواجهات الخارجية لبيوت القصب تُزخرف بالدوائر الموحدة المحور. هذه الزخارف الطينية، التي نُقشت ورده في كل منها، تُنفذ على الجدران والسقوف. المظهر الخارجي للبيوت المتعددة المواد، يبدو بثلاثة أشكال: (1) الطبقات السفلى مبنية بالحجارة، والجدران آجرية، تُرصّع بالحجارة، ونادرًا ما استخدم الجص لهذا الغرض. الأنموذج البارز منه نجده في ذمار. في صنعاء وضواحيها يتم ترصيع الآجر بالجص الأبيض، فتنتج أعمال آجرية زخرفية ماهرة الصنع، حافلة بالرسوم. (2) يُستخدم الآجر جزءًا من زخرفة الجدران الحجرية في العقود المقوسة، وحواشي الكتابات والأطر. نجد الأنموذج البارز من هذا النوع في صوران. (3) يُستخدم الآجر بأسلوب القوالب الطينية، لا

الجدران الحجرية، وهذا الأسلوب يتّضح جيّداً في بيوت رداع. فهناك، تتضمن المعالجة الأولية لقطع الآجر، قصّ زواياها، والترصيع الزخرفي في أشرطة هندسية، أو أطر حُفرت عليها كتابات.

تُجمع مياه الاستهلاك المنزلي في اليمن، بعد استخراجها من البئر، في خزانات على أسطح المنازل. كانت هذه الخزانات في أوّل الأمر مكعبة الشكل، من الحديد المطلي بمعدن آخر، منعاً للتأكسد؛ لكن بعد ذلك كثر إنتاج الخزانات الفخارية الكروية الشكل، التي تُضفي بما عليها من رسوم، منظرًا بديعًا لافتًا للأنظار، على الأسطح في تلك المدن. المياه غير المستخدمة للشرب تُستخرج في أحسن الحالات من آبار خاصّة، وفي أسوأ الأحوال من خزانات مكشوفة. تُحفظ مياه الاستهلاك المنزلي في خزانات آجيرية، أو أوعية فخارية في المطبخ، والحمام، أو في غرفة صغيرة مخصّصة عادةً لهذا الأمر، ويتم الحصول عليها بطرق مختلفة.

منذ زمن بعيد وطريقة التخلص من النفايات في اليمن كانت لافتة للأنظار. فقد عدّ الحمداني، في القرن التاسع الهجريّ نظافة الحمامات والمرافق الصحيّة، والقضاء على الروائح الكريهة فيها، من الميزات المهمّة لبيوت صنعاء. يتمّ ذلك من خلال مجار عريضة ومنحدرة. وبما أنّ هنالك الكثير من الحِيلة والدقة في استهلاك المياه، لا وجود مطلقاً للنفايات السائلة. يتمّ التخلص من الغائط البشريّ بواسطة أنابيب فخارية عريضة، تدفعها إلى تحويطة في الطبقة السفلى، حيث تتعرّض هنالك لمجرى الهواء الجبليّ، فتجفّ بسرعة. تُستخدم النفايات الجافة وقوداً للحمامات العامّة، بعد جمعها في كلّ حيٍّ من الأحياء، ويُستخدم رمادها سماداً للحدائق التي تحفّ بالمنازل (← لوكاك، ص 73).

بعد الحرب العالميّة الثانية، وبعد الهزّات الأرضيّة التي ضربت اليمن، لحق التغيير أنماط البناء فيها، ابتداءً من العقد السادس من القرن العشرين، وشاع تشييد المباني الجديدة على النمط الغربيّ، باستخدام الإسمنت. وقد أدّى انخفاض ثمن الإسمنت، وإمكانية الإكثار من أعمال البناء، التي يتيحها استخدامه، إلى احتلاله مكان الحجر في تشييد المنازل؛ وهو على العكس من الموادّ التقليديّة، لا يُناسب عادةً تنوّع الظروف الإقليميّة في اليمن، فعلى سبيل المثال، المناخ في صنعاء جافّ ترافقه تغييرات كبيرة نسبياً في درجات الحرارة في الليل والنهار، في حين أنّ الجدران الإسمنتيّة لا قدرة لها على لجم هذا التقلّب الحراريّ المفاجيء، فتكون حارّة في النهار، وباردة في الليل. في المباني اليمينيّة الحاليّة، طالت التغييرات أيضاً الزخارف، فلم يعد استخدام الآجر المقصّب، والواجهات الحجرية شائعاً، واستُبدل بالنوافذ الملونة الزجاج، نوافذ من الألومنيوم (<معجم الفن>، مادة "Yemen"؛ القحطانيّ ودرزي، ص 140؛

سراج الدين، ص 6، 9). تغيّر الأوضاع الاجتماعية في اليمن، ومن بينها تساؤل عدد أفراد العائلة، وضحالة العلاقات بين الجيران، واستيطان المدن، من بين العوامل التي أدت إلى انقراض العمارة التقليدية، وحلول العمارة الجديدة محلّها (سراج الدين، ص 9).

المصادر والمراجع: داود كريمو، جمهورية يمن [الجمهورية اليمنية]، طهران، وزارة الخارجية، مكتب الدراسات السياسية والدولية، 1374ش [1995م]؛

... أجنبي...

(معلومات المقالة مسئلة بشكل أساسي من هذا المصدر)...

/غلامحسين معماريان وهادي صفائي بور/

3. دول الخليج الفارسي.

الإمارات العربية المتحدة. يعود تاريخ الاستيطان في الإمارات العربية المتحدة إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، وقد عثر المنقبون الدانماركيون على آثار تعود إلى ذلك التاريخ في جزيرة أم النصر بالقرب من "أبو ظبي". منذ الألف الثاني وحتى الألف الأول قبل الميلاد، حصل، بالتزامن مع العصر الحديدي، تقدّم لافت في بناء المنازل (حُرّيز³⁹، ص 12-13). في دبي، اكتشفت تحويطات أثرية مختلفة مثل الجميرة والقصيصة. في الجميرة في الجنوب الغربي من دبي، عثر على بيتين مبنين ومُزخرفين بالجص، مع آثار في غرفهما، واكتشافات القصيص موازية للعصر الأشوري (القيسي، ص 79، والحاشية 13). المنازل المكتشفة في رأس الخيمة، يتألف بعضها من طبقتين وبئر ماء وغرف صغيرة (منير يوسف طه، ص 288-297). في الفجيرة، على الرغم من أن البيوت كانت طينية، وجصية، وحجرية وإسمنتية، كان الناس يعيشون في خصاص من سَعَف النخيل (جناب، ص 329). كان السكان قبل اكتشاف النفط يستوطنون عادةً المناطق المحاذية للسواحل. كانت أبو ظبي قرية ساحلية صغيرة، أما العين فقد كانت قرية عامرة غنية، يبني أهلها تقادياً للحرارة الشديدة، قدر الإمكان، بيوتاً متصلة ببعضها، وأزقة ضيقة، وأسواراً عالية (الشيخ مُحمّد بن راشد آل مكتوم، 2010م).

كانت البيوت تُبنى لتستوعب العائلات الكبيرة (المجموعات العائلية القبليّة)، وملائمة لمتطلباتها. في الماضي كان في الإمارات عدّة أنواع من البيوت، أحدها الخيمة مسكن البدو، من شعر الحيوانات أو جلودها، بشكل بسيط، من قسمين، أحدهما للرجال، والآخر للنساء. كانت تقام أيضاً خيام مخصّصة للطبخ، وتخزين المعدّات والأثاث. بين خيام القبيلة، كانت هنالك خيمة

³⁹ - Hurrieiz

مميّزة لشيخ القبيلة، مربّعة الشكل أو دائريّة. النوع الآخر من المنازل كان يُسمّى العريش، لفصل الصيف، يُبنى بسَعَف النخيل، وكان يُقسم أيضًا إلى قسمين: القسم الرئيسيّ مساحته 4×2 م² كان مخصّصًا للجلوس والنوم، والقسم الآخر مساحته 2×2 م² للطبخ، والتخزين، والبهايم. العريش بعد الخيمة هو الأكثر استخدامًا في الصحراء (محجوب، 1999م). النوع الثالث، المنازل الدائمة المبنية بالحجارة، والمغطاة سقوفها بسَعَف النخيل. كانت المنازل الشتويّة تُبنى بالقرب من المناطق الساحليّة، والمنازل الصيفيّة في محيط بساتين النخيل. كان البعض أيضًا يبنون بيوتهم الصيفيّة، مع مداخل خاصّة وطرق تهوية طبيعيّة، في الطبقة العليا من منازلهم الشتويّة. كان الفصل بين أجنحة المنزل ذا أهميّة خاصّة في هذه المنازل. فالمكان المخصّص للضيوف الرجال كان منفصلاً عن بقيّة أجزاء المنزل؛ وكان الفناء الذي يشكّل نصف المنزل فضاءً مهمًّا لنساء العائلة، وصلة وصل بين سائر الأجزاء (م. ن، ص. ن).



الصور لعلامحين معماريان
أنموذج من منازل حيّ البستكي

كانت المنازل التقليديّة تتضمّن العناصر التالية: الحَوْش أو الحاوي (الفناء المركزي)، الذي كانت أرضيّته تُقرش بالرمال فقط، ولا تُزرع فيه أشجار أو نباتات (م. ن، ص. ن). (2) السّمات، مكان تناول الطعام، أعلى من الفناء بوضع درجات، ومشرف عليه. (3) المخزن. (4) المختصر، جزء صغير داخل المنزل، يجتمع فيه أعضاء العائلة. (5) الجَلَب أو بئر الماء، الذي كان يُسمّى الريج إن استُخدم للزراعة، والطوى إن استُخدم للطعام والشراب. (6) المصلّى (مكان الصلاة). (7) المَطَر (مكان الغسيل). (8) الدَرّاش (النوافذ). (9) الدراوز (الأبواب). (10) اللّيوان (الإيوان، م. ن، ص. ن). نادرًا ما كان للبيوت روازن ومنافذ إلى الخارج لتحريك الهواء، وكان هنالك حائط يشكّل حاجزًا وراء باب المدخل، ليحجب النظر المباشر إلى الداخل (الشيخ محمّد بن راشد آل مكتوم، 2010م). كان الملقف شائعًا في معظم نواحي الخليج الفارسيّ، ومخطّطه غالبًا مربّع الشكل. الملاقف في الإمارات تتكوّن من بدنة شكلها كعلامة الضرب في القسم الخارجيّ، تُحيط بهيكل خشبيّ ثابت البنّان. كانت معظم المنازل التقليديّة حجريّة، لا سيّما الحجارة المرجانيّة، ومن اللّبن، المغطّى بسَعَف النخيل (محجوب، 1999م). بيوت البستكي في دبيّ، المشتقّ اسمها من اسم بلدة بستك الإيرانية، متأثرة على نحو مباشر بالعمارة الإيرانيّة. بيوت هذا الحيّ التاريخيّ الوحيد في دبيّ كبيوت ميناء لنغة، تتضمّن فناءً مركزيًّا، وفضاءات محيطيّة به

من كلّ الجوانب. ومن مميزات هذه المنازل الملاقف الكبيرة، والشناشيل في الطبقات العليا، وأحياناً في الواجهة الخارجية (غلامحسين معماريان، أستاذ العمارة في جامعة العلوم والصناعة، مقابلة في 25-9-2010م/18-11-1431هـ).

كانت البيوت المحاذية للساحل تُبنى عادةً بخشب النخيل وأغصانه وسَعَفَه؛ وفي حال فُتحت نافذة فإنّها تكون مستطيلة الشكل، قليلة العرض، يُستخدم الخشب، والحجارة، والزجاج والآجر في زخرفتها. وكان موضوع الزخارف أيضاً في معظمه ذا مضامين مرتبطة بالثقافة الإسلامية (محبوب، 1999م).

حتى العامين 1378هـ/1959م و 1379هـ/1960م، لم يكن في "أبو ظبي" أيّ أثر للماء والكهرباء وطرق البناء الجديدة (← جناب، ص 156)، وفي العام 1386هـ/1966م بدأ تخطيط بناء المنازل بالميزانيات الناتجة عن مداخل النفط. بناء على هذا التخطيط وُهِبَت آلاف المنازل المبنية حديثاً مجاناً للقرويين والسكان الأصليين، ومئات الدارات لموظفي الدولة (م. ن، ص 185-186). بعد العام 1391هـ/1971م، قرّرت الحكومة بناء عدد كبير من المنازل من خلال مخططات كبرى، لكنّ هذه المنازل لم تكن ملائمة لحاجة السكان الأصليين، فأبدى البعض اهتماماً ببناء المنازل التقليدية (محبوب، 1999م). ابتداءً من العام 1399هـ/1979م وحتى العام 1402هـ/1981م، بنت وزارة الإسكان آلاف البيوت البسيطة للعائلات الفقيرة، وجّهزتها بإمدادات المياه، ونظام الصرف الصحي، والكهرباء. في العام 1401هـ/1980م، كان 33% من عدد المنازل تلك الشقق التي بنتها الدولة، و 30% منازل عربية تقليدية، و 9% منازل بسيطة رخيصة الأثمان، و 8% أكواخ، والباقي على شكل سقائف، وبيوت متحركة، وغرف منفردة، وخيم وغير ذلك. في العام 1413هـ/1993م، كانت الميزانية التي رصدتها الحكومة لبناء المنازل 30% من الميزانية العامة (دائرة المعارف الدولية⁴⁰، مادة "United Arab Emirates"). في العقد السابع والثامن من القرن العشرين، بنى المعمارِيُّون المحليُّون والأجانب لا سيَّما الغربيُّون، عددًا كبيرًا من المنازل مستفيدين من موادّ البناء الجديدة، والتقانة المتقدّمة. في العقد التاسع من القرن العشرين، كان الهدف الرئيسي للمعماريين إحياء العمارة التقليدية بما يتلاءم والحياة الجديدة. يُقسم البيت نظرًا للعلاقات العائلية والثقافة الدينية إلى قسمين، ويُستقبل الضيوف في الأجزاء الخاصة بهم. المواد المستعملة في هذه المنازل هي الإسمنت والزجاج والفولاذ. تميل الطبقة المتوسطة على نحو خاص إلى استخدام الفولاذ المقاوم، والألومنيوم، وإقامة قباب زجاجية بصفتها تصميمًا حديثًا. من ناحية أخرى، من اللافت استخدام الأنواع المختلفة من العقود، والتمسك إلى حدّ ما بالأسلوب التقليدي في بناء

⁴⁰ - Encyclopedia of the nations.

الواجهات. يميل بعض الأمراء المحليين، ومنهم الشيخ شخبوط، أمير "أبو ظبي" السابق إلى الاقتباس من الطراز المعماريّ الشائع في الكويت وقبرص، والملائم للتقاليد المحليّة (اللعبيّ، ص 192).

في الحقيقة، البيوت الحاليّة في الإمارات مزيج من العمارة الحديثة، والعمارة الهنديّة، والإسلاميّة، والعربيّة (محبوب، 199م).

من بين المنازل التقليديّة في الإمارات، منزل الشيخ سعيد، صاحبه الشيخ سعيد آل مكتوم (أحد مشايخ الإمارات)، يقع في الأراضي الساحليّة لمدينة دبيّ. هذا البيت الذي مرّ أكثر من قرنٍ على تشييده، بُني بالحجارة المرجانيّة، والصلصال والجصّ، وله مدخلان رئيسيّان، أحدهما لجهة البحر والفناء الرئيسيّ، والآخر لجهة النهر يُفتح على فناء أصغر. هذا البيت مؤلّف من طبقتين، وثلاث غرف، وعشرين إيواناً، وثلاثة أفنية، وستّة أجنحة مستقلّة، وأربعة ملاقف مستطيلة الشكل، يبلغ ارتفاعها عن سطح المنزل من خمسة إلى ستّة أمتار. مؤخراً أعيد ترميم هذا البيت، وجُعِلَ مُتحفًا (م. ن، ص. ن).

المصادر والمراجع: محمّد علي جناب، خليج فارس: أشنائي با امارات آن [الخليج الفارسيّ: تعريف إماراته]، طهران 1349 ش [1970م]؛ ربيع القيسي، "تحرّيات وتنقيبات أثرية في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة"، مجلة سومر، مج 31، العددان 1 و 2 (1975م)؛ شاكر اللعبي، العمارة الذكوريّة، فنّ البناء والمعايير الاجتماعيّة والأخلاقيّة في العالم العربيّ، بيروت 2007م؛ منير يوسف طه، "تنقيبات البعثة الأثاريّة العراقيّة في مستوطنة الدريحانيّة: إمارة رأس الخيمة، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة"، مجلة سومر، مج 31، العددان 1 و 2 (1975م)؛

... أجنبي...

/عبد الكريم عطار زادة/

البَحْرَيْن. كشفت التنقيبات الأثريّة في البَحْرَيْن مؤخراً عن وجود بيوت ملائمة لأنماط العيش المنظمة، وعن جادّات ومعامل، وعن موضع السوق المركزيّة. تتضمّن البيوت المكتشفة في قلعة البَحْرَيْن، العائدة إلى الألفيّة الثالثة قبل الميلاد، غرفاً صغيرةً مربّعة الشكل، مبنية بالحجارة المرجانيّة، وقد استمرّ بناؤها حتى الألف الثاني قبل الميلاد. كانت الحجارة المرجانيّة، والقوالب الجصّيّة تُستخدم على نحوٍ منتظم في البناء (غلوب⁴¹، ص 114). وصف البرتغاليّون، الذين بسطوا نفوذهم على البَحْرَيْن في القرن العاشر الهجريّ، البيوت البَحْرينيّة بأنّها جميلة، مبنية بالحجارة الجيريّة، ذات نوافذ كبيرة، وسطوحها محاطة بالأفاريز (← جيب، ص 84، 86).

⁴¹ - P. V. Glob

يدلّ وجود الفناء المركزيّ والمِلَقَف في البيوت البَحْرينية على تأثير العمارة الإيرانية في أسلوب بنائها.

كانت المنازل البَحْرينية تضمّ فناءً مركزيّاً مربع الشكل، وعناصر المنزل الأخرى مبنية حوله (غلوب، ص 99). وعمارة المنزل وأجنحته كانت تختلف باختلاف حاجة صاحبه ومتطلباته. وبما أنّ جدران المنازل من الحجارة الجيرية، كانت الطيقان هي الطريقة الوحيدة لفتح الجدار، لكنّ هنالك الكثير من التنوّع في الوقت الراهن. كانت المنازل التقليدية مصمّمة على نحو يُظهرها واسعة على الرّغم من صِغَرها (العالي، ص 3، 6، 11). في الماضي كانت منازل الأغنياء ومنازل الفقراء متجاورة، ولا تختلف إلا بالزخارف الداخلية والأثاث، إنّما تُبنى في الوقت الراهن منازل الأغنياء ومنازل الفقراء في أحياء منفصلة. كان أهل البَحْرين يبنون منازلهم بالقرب من ينابيع المياه. في المنازل القديمة كانت الجدران مشتركة بين عدّة منازل، أمّا اليوم فتُبنى مستقلة عن بعضها (م. ن، ص 12-15).

□	
أ- الفناء الخاصّ بالشيخ عيسى ب- فناء النساء ج- فناء الخدمة د-	
فناء الرجال والضيوف ه- فناء الراحة والخلوة	
1- جناح الشيخ عيسى 2- الحمّام 3- المجلس 4- الديوان 5-	
المستودع 6- جناح الخدم 7- المخبز 8- المدخل الرئيسي 9- المدخل	
10- مجلس النساء 11- الجزء الخاص بمكتب الشيخ عيسى	
12- مدخل المنزل 13- المطبخ 14- مجلس الأعمال التجارية	
15- الزريبة 16- غرفة جلوس الرجال 17- غرفة القهوة	

.A. Clarke, Bahrain, London 1986, P 19

خريطة أرضية منزل الشيخ عيسى

كان الفناء المركزيّ في منازل البَحْرين يشكّل عادةً العالم الخارجيّ للنساء، اللواتي كنّ يستطعن الجلوس فيه غير محجّبات، وفيه يُنجزن أعمالهنّ، وأحياناً، حتى رجال المنزل ما كانوا يتمكنون من دخول الفناء، من دون أن يأذنّ لهم. كان الفناء كذلك نظراً للمناخ البَحْرين الحارّ والرطب، عنصراً مهماً وعامل تهوية للغرف، يتضمّن حديقة تُزرع فيها الورود والأزهار على أنواعها، وأرضيته مزخرفة بالفسيفساء بأشكال الأزهار والنباتات. وحوضه

يُستخدم لتبريد الهواء، وللوضوء، والغسيل (م. ن، ص 4، 58؛ هدمن⁴²، ص 2).



A. Clarke, Bahrain, London 1986, P 84, pl. 54
فناء الرجال والضيوف في منزل الشيخ عيسى

غرفة الاستقبال، كانت تُسمّى المجلس، وهي عادةً أكبر غرف المنزل، يؤمّها عدد كبير من الضيوف نظرًا لوجود العائلات الكبيرة، والمجتمعات القروية. طريق الوصول إلى المجلس من خارج المنزل، ليدخل الضيوف من دون إزعاج أفراد العائلة. كانت الغرف تُسمّى بأسماء الذين ينامون فيها، أو على أساس موقعها في البيت: الشماليّة أو الجنوبيّة، أو الغربيّة، أو الشرقيّة. وكانت صغيرة على الأعم الأغلب، مخصّصة للضيوف، والأصدقاء المقربين، وأفراد العائلة. وبما أنّ غرف الجلوس كانت في وسط المنزل، لم يكن بإمكان الضيوف استخدامها. كانت سقوف هذه الغرف مرتفعة، لتلائم مُناخ البحرين (العالى، ص 10، 63).

كان المطبخ في معظم الأحيان جزءًا من الفناء، وفيه موقد. وهكذا، لم تكن رائحة الطعام تتسرّب إلى داخل المنزل. في العمارة البحرينية الحديثة يُبنى مطبخان أحدهما خارجي للطبخ، والثاني للخدمات السريعة، والضيافة (م. ن، ص 11، 63).

لم تكن المنازل ذات نوافذ مفتوحة على الخارج، بل كانت النوافذ تُفتح على الفناء. زجاج الأجزاء العليا من هذه النوافذ شفاف، لكنّه ملوّن، وفي الأجزاء السفلى شبابيك كبيرة مغطاة بستائر دوّارة [تدور حول نفسها وتنبسط] لتحريك الهواء، وإتاحة الرؤية (هدمن، ص 2؛ العالى، ص 5، 75). كانت الملاقف كذلك تعمل على إدخال الهواء البارد إلى أجواء الغرف من عدّة جوانب (← عبد الحق، ص 6، الصورة 6).

كانت البيوت البحرينية القديمة تُبنى في أوّل الأمر بالحجارة الجيرية غير المقصوبة. ومعظم مواد البناء فيها من الحجارة الجيرية المحليّة، التي تُشوى، فتنتج كلسًا. يُخلط الكلس بالماء، فيصبح ملاطًا تُدهن به الجدران الحجرية لتصبح ملساء. كانت الحجارة الجيرية ملائمة لمُناخ البحرين الرطب، لقدرتها على امتصاص الرطوبة، فتحتفظ بذلك برودة الغرف. على المدى البعيد، كان الملاط الكلسي الأبيض المطيئة به المباني، يُصبح ذا لون برتقاليّ أخاذ، يُضفي مسحة من الجمال عليها. وبما أنّ الجير من مواد البناء المحليّة

⁴² - Hedman

الموجودة في المنطقة، كان استخدامه يؤدي إلى نوع من التناسق اللوني بين المباني وبيئتها. أما السقوف والسطوح فكانت تُكسى بالخشب المقاوم للنيران المستورد من الهند، وكان تنظيفها من الغبار والتراب العالق بها أمراً في غاية السهولة (العالي، ص 6).

من البيوت البَحْرينية القديمة التي أُعيدَ إعمارها، بيت الجَسرة، الذي كان قد بُني في العام 1325هـ/1907م، ذو المظهر الخارجي والواجهات البسيطة العارية من الزخرفة، والمستخدم في بنائه المواد المحلية لا سيما الحجارة المرجانية، والحجارة الجصية، والجير، والطين، وجذوع النخيل، ويضم أربع غرف في الطبقة الأرضية، وغرفة في الطبقة العليا. سُقف بالألواح الخشبية، وقصب البامبو، وخشب الزان والحصير. جدرانه سميكة تحُول دون دخول الحرارة إلى الداخل. في الغرفة الشتوية ملقف هواء. وفي وسط الجدران روازن خشبية مستديرة الشكل، وفي سقوف الغرف كوى للتهوية. المجلس أو غرفة الضيوف بجانب مدخل المنزل، مفروشة أرضه بالسجاد الإيراني النفيس. أُعيدَ إعمار هذا المنزل وترميمه في العام 1406هـ/1985م.

بيت السياديّ أنموذج آخر لافق من العمارة المحلية، في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلاديّ في مدينة المُحرّق*، عاصمة البحرين القديمة، كان مالكة أحد تجار اللؤلؤ. أُعيدَ إعمار هذا البيت، وفُرش بأثاث القرن الثالث عشر الهجريّ، وله نوافذ ملونة الزجاج، وجدران وأعمدة مزخرفة.



[Photos. Bna. Bh [05. Dec. 2010

واجهة بيت السياديّ



A. Clarke, Bahrain, London 1986, P 86, pl. 56

المجلس، بيت السياديّ

بيت الشيخ عيسى بن عليّ، أقدم البيوت البَحْرينية التي لا تزال قائمة، بُني في العام 1215هـ/1800م في المُحرّق. اشترت الحكومة هذا البيت في العام 1395هـ/1976م، وفيه اليوم متحف البحرين الأنثروبولوجي. سماكة جدرانه الخارجية حوالى المتر. يقع مدخل أفراد العائلة في شماليّ المنزل، والمدخل المخصّص للضيوف في شرقيّه، والغرف الكبيرة في الطبقة الأرضية، والغرف الصغيرة والأواوين في الطبقة العليا.

ساعدت السنوات الخمسون من عمر إنتاج النفط في ازدهار البحرين في مختلف المجالات ومنها بناء البيوت. أسست وزارة الإسكان البحرينية في العام 1394هـ/1975م، وبنت منازل لأهل المدن، لا سيما في مدينة عيسى الجديدة. فضلاً عن بناء المنازل في المناطق المختلفة، لحظت برامج جديدة لبناء المساكن في ناحيتي سنابيس وأمّ الحسن، وركزت الحكومة بهذا الخصوص على أنماط العمارة التقليدية (أنطونيوي⁴³، ص 89). خضع بناء المنازل في هذه الحقبة لتأثير العمارة الأوروبية، لا سيما إنجلترا، وعمارة البلدان العربية كمصر ولبنان (البوشيري، ص 66). النوافذ الحالية ذات الألواح الزجاجية ذات القطع الكبير، لا يمكنها الحؤول دون دخول الحرارة إلى داخل الغرف، لذلك تُعلّق أمام النوافذ ستائر كبيرة. يقع الفناء حول البيت، أو في وسطه (العالي، ص 3-5). ونتيجة لتغير طريقة حياة السكان من النمط التقليدي إلى النمط الحديث، واستخدام مهندسين معماريين درسوا في الغرب، شُيّدت المباني الأوروبية الحديثة. مع ذلك، يفضل بعض المهندسين المعماريين اعتماد زخارف المنازل القديمة، باستخدام الأبواب والنوافذ الخشبية، ذات الأشكال والزخارف المعقدة، ويضعون الأطر الجصية فوق النوافذ والروازن. من المؤكد أنّ النمط التقليدي يتطلب نفقات باهظة. أحياناً يلجأ الناس إلى إصلاح المنازل القديمة، ويضيفون إليها من الأمام شرفات فخمة ذات سقوف خشبية، وما يلفت الأنظار فيها، الملاقف والأطر الجصية فوق المدخل. المواد المستخدمة حالياً إسمنتية، لكن أحياناً تُطلى بطبقة ملونة، وتُلصق بالسقف قطع خشبية، لإضفاء مظهر تقليدي على المنزل. تُبنى الجدران عادةً بكتل من الباطون المسلّح، والسقوف بقوالب من الباطون المصبوبة سلفاً؛ والكتل الباطونية أشدّ مقاومة من الحجارة الجيرية، لكنها تقتقد إلى خاصيتها في امتصاص الرطوبة، لذلك فإنّ البيوت القديمة كانت أكثر برودة (م. ن، ص 6، 9).

المصادر والمراجع: فوزية جيب، تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين: 1521-1601م، بيروت 2003م؛ ب. و. غلوب، البحرين: البعثات الدنماركية في دلمون القديمة، ترجمه بالعربية محمد بندر، بيروت 2003م؛ أجنبي...

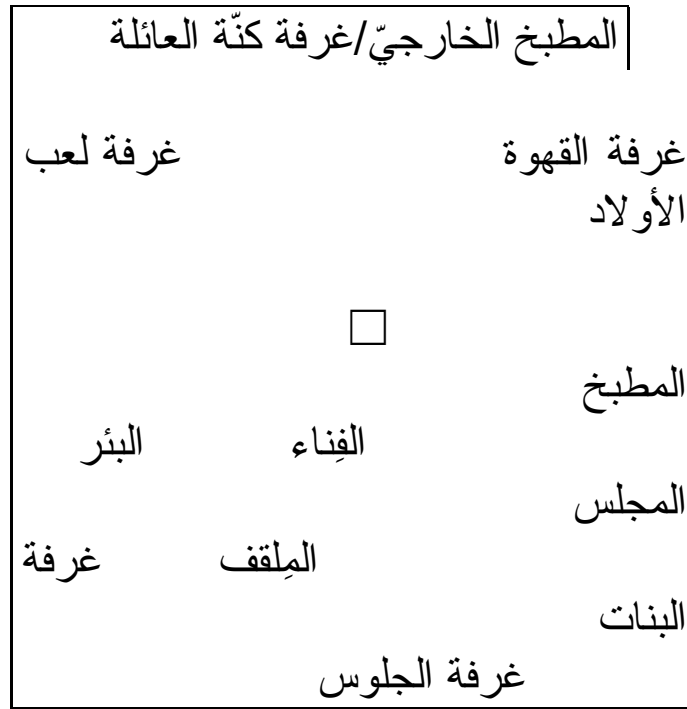
/غلامحسين معماريان وفهيمة عطار الموسوي/

قطر. عُثر في الناحية الجنوبية الشرقية من قطر على أطلال منزل من غرفتين، بُني بحجارة غير مقصوبة، من العصر الحجري الأخير (بين الألفية الخامسة والألفية الرابعة قبل الميلاد)، وهو دليل على آثار استيطان الإنسان

⁴³ - Antoniou

لهذه الديار واستقراره الدائم فيها (خليفة، 1983-1985م، ص 236). في المتناول أيضاً علائم على الحياة البدويّة، تعود إلى الألفيّة الخامسة قبل الميلاد في أمّ الماء، في الشمال الغربيّ من أمّ سعيد، ورأس العُوَيْنَات، وأمّ طاقة (أفشار السيستانيّ، ص 66). في موضع بين قرية النعمان وأمّ الماء في الشمال الغربيّ من قطر، كُثِفَ التراب عن قرية تضمّ مسجداً وقلعةً وأطلال أكثر من 250 بيتاً. نسب علماء الآثار الدنماركيّون الذين كانوا يتولّون أعمال التنقيب في هذه المنطقة، هذه الآثار إلى العصر العبّاسيّ (132-656هـ/749م - 1257م). اكتُشِفَت أيضاً في مدينة الحُوَيْلة، قلاع وحوالي ستمائة بيت عائدة إلى القرن الحادي عشر الهجريّ. على الرّغم من ضحالة الآثار الباقية من هذه المنازل، فإنّ المواد المستخدمة في البناء والتي تمّ تعرّفها تشمل حجارة غير مقصوبة، وحجارة بحريّة، وجصّيّة (خليفة، 1984-1985م، ص 239). في بعض النواحي كالعريش، أقرب قرى قطر من البَحْرَيْن، على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب الغربيّ من خور، كانت البداوة شائعة في الماضي، وقد كان مشايخ آل ثاني (أمراء قطر)، لا يزالون يعيشون في الخيام حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ (أفشار السيستانيّ، ص 77، 187). كانت مدن قطر الكبرى، ومن ضمنها الدوحة، حتى أواسط القرن الرابع عشر الهجريّ، أشبه بالقرى، وكانت المنازل فيها تُبنى بالحجارة أو الطين، أو الجصّ ببساطة متناهية، من دون استخدام خريطة محدّدة المعالم (أمينه علي كاظم، ص 120).

تُقسَم البيوت القطريّة التقليديّة من حيث مساحتها ومقاييسها إلى نوعين: النوع الأوّل، هو المنازل البسيطة المبنية بالحجارة والطين، ويسكنها عامّة الناس في المدن والقرى. هذه المنازل في معظمها من غرفتين أو غرفة واحدة. الحَمّام يكون في داخل الغرفة، وسقفه أكثر انخفاضاً من سقفها. المجلس (غرفة الاستقبال) غرفة منفصلة عن سائر الغرف، وهي عادةً بالقرب من المدخل الرئيسيّ للمنزل. خزانات المياه تكون عادةً في إحدى زوايا الفناء. والفناء في هذا النوع من المنازل مكان الاستراحة، والتمتّع بالنور والهواء، ويُقام في وسطه كوخ خشبيّ أعلى من مستوى الفناء للنوم ليلاً في الصيف. أحياناً كان يُخصّص جزء من الفناء للمواشي، وهذا الأمر شائع في قطر وبلدان الخليج الفارسيّ. الغرفة في هذا النوع من المنازل مستطيلة الشكل مساحتها 4م × 3م، والجدران قطرها 45 سنتم، ومشرفة على الفناء، وفيها روازن كروازن المشربيّة لإدخال النور والهواء. في بعض المنازل يعلّق فوق جدار الغرفة الخارجيّ مزارب خشبيّ لتصريف المياه (خليفة، 1424هـ، ص 129-130).



م. ج. خليفي، الدوحة 2003، ص 142.
خريطة أرضية منزل محمد سعيد نصر الله.

النوع الثاني من المنازل خاص بالطبقة الثرية. هذه المنازل من طبقتين، وتضم غرفاً مستطيلة الشكل مشرفة على الفناء، وقسم خاص للخدمة، وسلم في الفناء للصعود إلى الطبقة العليا. يُقام أحياناً فوق السطح إفريز (شرفة) لإضفاء مسحة من الجمال، ولإيجاد سور. كانت هذه المنازل في معظمها، مجصّصة برسوم هندسية ونباتية، وأبوابها خشبية، ولها شبابيك وروازن ملونة الزجاج (← م. ن، ص 29، 130-131، والصور ص 188-189). كان بناء المنازل في قطر يتم على نحو يُتيح زيادة عدد الغرف كلما زاد عدد أفراد العائلة (أمانة علي كاظم، ص 125).

كان شكل المدخل في هذه المنازل، لا يُتيح الرؤية المباشرة من الخارج. تعلو المدخل عادةً قبة نصفية، ذات مقرنصات جميلة، كما هي الحال في منزل ناصر العبيدان (خليفي، 1424هـ، ص 136، 159، 172). من الشائع في قطر أبواب المداخل الخشبية، ذات الرسوم الهندسية والنباتية، من مصراع واحد أو مصراعين، يتوزع فوقها عدد كبير من المسامير العريضة الكروية الرأس. وعلى أحد المصراعين تُثبت مطرقة حديدية، ظلت مستخدمة في بعض النواحي حتى السنوات الأخيرة. أهم أجزاء الباب أي رأسه كان يُزخرف على أفضل الوجوه، والمصاريح تُوَطر بأطر حديدية أحياناً، والإطار أيضاً يثبت فوق حجر. في الدوحة كانت سواكف الأبواب تُكسى بكسوة خشبية للحوول دون دخول الأمطار (← م. ن، ص 179-184).

كان الفناء في هذا النوع من البيوت كبيراً ومكاناً للنوم في الصيف. الجدران المحيطة بالفناء مزخرفة بعقود صماء نصف دائرية. أحياناً كان فناء كبير يتوسط عدة بيوت، سكانها من الأقارب (م. ن، ص 136، 154).

من العناصر الأخرى في المنازل من النوع الثاني في قطر، الإيوان، الذي تصطف على جانبيه الغرف، وهو مشرف على الفناء، مبني بعقود متنوعة فوق أعمدة مربعة، أو أسطوانية، أو متعددة الأضلاع. كان أهل البيت يتناولون الطعام في معظم أيام السنة في الإيوان، ويقيمون فيه اجتماعاتهم العائلية (م. ن، ص 136، 159).

كان المجلس في البيوت من النوع الثاني، مكان استقبال الضيوف، يقع بالقرب من المدخل الرئيسي، وهو أكبر من باقي الغرف. لهذا المكان الكثير من النوافذ والخزائن الخشبية لوضع اللوازم المختلفة، لا سيما القرآن. تعلو النوافذ أطر ذات رسوم بارزة، وسقف الغرفة الخشبي يُزخرف أيضاً بالألوان المتنوعة والرسوم الهندسية (م. ن، ص 132).



م. ج. خليف 2003م، ص 135، الصورة 58
المجلس

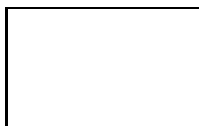
كان الحمام يُبنى عادةً في زاوية الغرفة أو الإيوان، وأحياناً في الطبقة العليا. كانت الحمامات في داخل الغرف تُفصل عن الغرفة بجدار قليل الارتفاع لا يصل إلى السقف، ولها مداخل صغيرة. استخدام الأشكال المختلفة في الحمام، جعله ميزة بارزة في منازل منطقة الخليج الفارسي (م. ن، ص 150، 153).

كانت نوافذ الغرف صغيرة عادةً. شمسية أو قمرية مشبكة، تفتح في جدران الغرف الجصية والحجرية، لإدخال ما يكفي من النور والهواء إلى داخل الغرف، وتُسمى باسم دخول النور والهواء منها (← م. ن، ص 136، 185، والصورة ص 186). هنالك اليوم بيوت عديدة لا تزال قائمة تعود إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، معظمها من القرن الرابع عشر، في الدوحة والوكرة، وهي على الرغم من حاجتها إلى الترميم والعناية، تلفت الأنظار، بتصاميمها، وزخارفها الجميلة. فعلى سبيل المثال بيت عبدالله بن سعد المطلق في جنوبي الوكرة، يعود إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، رُمم في العام 1404هـ/1984م، وحُوّل إلى متحف في العام 1408هـ/1988م (م. ن).

ن، ص 137). أيضًا، منزل محمد سعيد نصر الله في القسم القديم من الدوحة، يعود إلى القرن الرابع عشر الهجري، حوّل بعد الترميمات اللازمة في العام 1405هـ/1985م إلى متحف للأنثروبولوجيا. هذا البيت يتضمّن ثلاث عشرة غرفة، وغرفة الملقف فيه، نادرة المثال في الدوحة (م. ن، ص 140-143). كذلك، منزل الحاج محمد علي الماجد المبني في العام 1353هـ/1934م. من ميزات هذه المنازل العقود الصماء، والروازن، والعقود والأعمدة، والغرف العديدة، والواجهات الخارجية الجميلة (م. ن، ص 144-146).



م. ج. خليفي، الدوحة 2003م، ص 186، الصورة 84
أنموذج شمسية/قمرية



م. ج. خليفي، الدوحة 2003م، ص 144، الصورة 62
بيت الحاج محمد علي الماجد، قبل ترميمه

في العام 1368هـ/1949م مع اكتشاف النفط، بدأ نموّ قطر السريع (← أفشار السيستاني، ص 23، 180-183)، وأصبح الوضع الاقتصاديّ ملائمًا لبناء المنازل، الجديدة، وإعادة إعمار المنازل القديمة. لذلك شرعت الحكومة القطرية منذ أواسط العقد السادس من القرن العشرين بإنشاء المساكن للفئات المحدودة المداخل (سلامة، ص 60). بُنيت هذا المساكن على شكل مجمّعات، وبتصاميم منظّمة (أمينة علي كاظم، ص 136، 138). في ذلك الحين بُني في قطر أكثر من ستة آلاف بيت حكومي، وحين انخفضت أسعار النفط، تشجّع القطاع الخاصّ على بناء المنازل (قطر، ص 14).

أسلوب بناء البيوت الحالية في قطر متأثر بالعمارة الغربية، والهندية والإيرانية. في بعض أقسام الدوحة، بُنيت للمتمولّين الأثرياء بيوت على شكل دائرة أنيقة، بمساحات مختلفة، مع حدائق حافلة بالأشجار، وبتنظيم مدني جديد، وفي أقسام أخرى، بيوت الأفراد المتوسطي الدخل منفردة أو على شكل مجمّعات. المهاجرون الأفقر يعيشون في منازل قديمة من طبقة واحدة أو طبقتين (أمينة علي كاظم، ص 159-163).

المصادر والمراجع: إيرج أفشار السيستاني، جغرافيا تاريخي قطر: بژوهش، در تاريخ، جغرافيا، آثار باستاني، آداب ورسوم، اقتصاد، شهرها وبندرها [جغرافية قطر التاريخية: بحث في التاريخ، والجغرافيا، والآثار،

والعادات والتقاليد، والاقتصاد، والمدن والموانئ]، طهران 1383ش [2004م]؛ أمينة علي كاظم، التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، الجزيرة، مصر 1413هـ/1993م؛ محمد جاسم خليف، "ربع قرن من التنقيب عن الآثار، وحمايتها بدولة قطر"، مجلة التراث والحضارة، العددان 6-7 (1984-1985م)؛ نفسه، العمارة التقليدية في قطر، الدوحة 1424هـ/2003م؛ قطر [إعداد] مؤسسة الدراسات والأبحاث التجارية، فريق البحث في قضايا البلدان [طهران] 1368ش [1989م]؛

أجنبي...

/عبد الكريم عطار زادة/

الكويت. تعود التقارير الأولى عن استيطان الكويت إلى العام 1028هـ/1618م. عدد كبير من البيوت التقليدية الكويتية قد اندرست آثارها، ولم يبق سوى عدد قليل من بيوت الأعيان العائدة إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (← معجم الفن >⁴⁴، مادة "Kuwait").

يقع الأساس (الساس) في البيت الكويتي التقليدي نظراً إلى طبيعة الأرض التي يقوم عليها البناء، وصلابتها، على عمق متر واحد تقريباً. كان المظهر الخارجي للبيت جدراناً من الطين أو الآجر المحروق، سماكتها تقريباً من متر حتى متر ونصف، مجصصة على نمط واحد (محمد عبد الهادي الجمال، ص 154-155). كانت مواد البناء الأساسية المستخدمة في بناء البيوت الكويتية التقليدية من الطين، والجص، والحجارة والخشب. لا سيما الطين الذي كان رخيصاً إنما قصير العمر، وكان يُستخدم في صناعة اللبن، في قوالب خشبية من طبقة واحدة أو طبقتين، والآجر (الطوب، الطوبة). كانت الحجارة، لا سيما الحجارة المرجانية، تُستخدم مع الملاط الطيني في بناء الجدران الخارجية لبيوت الأثرياء. كان الجص الذي تُطلى به القشرة الخارجية من الإنتاج الداخلي أيضاً (← م. ن، ص 161، الصورة، ص 166، 169-172). لم يكن الإسمنت قد عُرف بعد في الكويت قبل العام 1380هـ/1961م، حين استُخدم في بناء المستشفى الأميري، ومنذ ذلك الوقت بات يُستخدم بشكل محدود، في بناء أحواض المنازل. ولأن الإسمنت يشبه الصاروج من حيث الصلابة، سُمي الصاروج/الصاروج، وكان يُستورد إلى الكويت من روسيا (م. ن، ص 158). كان الخشب بشكل عام من المواد المستوردة، على الأخص من أفريقيا، ويُستخدم في صنع الأبواب والنوافذ (م. ن، ص 155، 176). كان الفضاء الداخلي للمنزل يتألف عادةً من فناء رئيسي/الحوش الرئيسي، وعدد من الغرف على جوانبه، وإيوان/ليوان. أحياناً، يكون عدد الأفنية أكبر في البيوت

⁴⁴ - The Dictionary of art.

الواسعة، وكان الفناء، أو الفناء الخلفي يُستخدم لتربية المواشي، وللأعمال المنزلية اليومية (م. ن، ص 164). كان باب المنزل يُصنع من الخشب، وتتعدد أنواع ومقاساته، ويُزخرف أحياناً بالمسامير المعدنية ذات الرؤوس العريضة المقببة، وكانت مفاصل الباب معدنية أيضاً، تُسمى البتات (م. ن، ص 179). كانت أرضية الفناء عادةً ترابية، لكن بعض الأثرياء كانوا يبسطونها بالآجر الأصفر اللون المستورد من البصرة (م. ن، ص 156).

الإيوان من أهم عناصر الفناء الرئيسي، وبنائه صعب، ويتطلب الدقة، إذ إنّ الألواح الخشبية الطويلة (الصور) يجب أن تُحمل وتُثقل إلى الأعلى، وكان طولها تقريباً من عشرة إلى خمسة عشر متراً، وأحياناً أكثر، بحسب سعة الإيوان. هذه الألواح التي كانت تشكل أعمدة الإيوان، تُحضر من الخشب الوزن، الذي كان يُستخدم عادةً في بناء السفن (م. ن، ص 164). كان الإيوان، الذي هو موضع اجتماع رجال العائلة، ومكان لهوهم، يُبنى أحياناً بالقرب من المدخل الرئيسي للبيت، وله نوافذ تُفتح على الشارع، وتُفعل بمشبات وأسيجة وستائر لولبية خشبية (بحر، 1984م، ص 72). في حين أن نوافذ الغرف كأبوابها، تُفتح على الفناء (الحوش). كان جدار الغرف عادةً سميكة، ومن الداخل يجهز برفوف، عمقها حوالي 25 سنتم (محمد عبد الهادي جمال، ص 156).

لإقامة سقفوف الغرف، كانوا يضعون أولاً ألواحاً خشبية (الصندل)، طولها ثلاثة أمتار، بشكل متواز، والمسافة بين اللوح والآخر من 20 إلى 25 سنتم فوق الجدران. كانت أخشاب الصندل تُستورد من أفريقيا. تُغطى ألواح الصندل بأغصان البامبو المستوردة أيضاً من شرقي أفريقيا، بأشكال مربعة أو لوزية ضلعها عشرة سنتيمترات، لإضفاء مسحة من الجمال الأخاذ، وفي الوقت نفسه لجعل أخشاب الصندل أكثر متانة وقدرة على تحمل الثقل. يُكسى وجه الصندل والبامبو بالقصب أو الحُصُر، وبعد ذلك يتم تطيين السطح (م. ن، ص 155). تُسور أطراف السطح بجدار صغير يُسمى الوشام، لصون حرمة السطح، ولوضع المزاريب، أو مصارف المياه الخشبية، التي يبلغ طولها من خمسين إلى ستين سنتم، وعرضها من 20 إلى 25 سنتم، لجرّ مياه المطر عن السطح إلى الزقاق أو الفناء (م. ن، ص 155-156، 159، الصورة). كان سطح المنازل الكويتية التقليدية يُحسب جزءاً من عناصر المنزل العملية، فقد كان في الصيف الحار مكاناً للنوم، والاستراحة، وحتى للاستحمام وغسل الملابس، وتجفيف الفاكهة بأنواعها (بهار، 1984م، ص 71-72).

1- ردهة المدخل	2- فناء الرجال	3- الرواق	4- الديوان
5- الحمام	6- المطبخ	7- فناء الحيوانات	8- الفناء الخصوصي
9- غرفة الجلوس	10- غرفة استقبال النساء	11- غرفة النوم	12- الفناء المخصص للمعاملات التجارية
13- البئر	14- فناء المطبخ	15- المستودع	16- فناء الخلوة
17- غرفة القهوة	18- الزريبة	19- مكتب العمل	

H. Bahar. Mimar, No. 13 (1984), P. 77

خريطة أرضية بيت البدر

في معظم البيوت الكويتية القديمة، كان يبني ملقف يُسمى بادجير [معرب بادجير الفارسية] (محمد عبد الهادي الجمال، ص 156، 161، الصورة). فضلاً عن ذلك، كان هنالك بئران مختلفان أحدهما لتخزين مياه الشرب، اسمه الجليب (بهار، 1984م، ص 72)، والآخر، واسع الفتحة للمياه القذرة، يُسمى بالوعة (محمد عبد الهادي الجمال، ص 164). كان عمق الجليب عادةً من ثلاثة إلى ثمانية أمتار، ففي نواحي الكويت الشرقية كان حوالى مترين ونصف، وفي منطقة القبلة، وناحية فريج سعود المرتفعة من سبعة إلى ثمانية أمتار (لمزيد من الاطلاع على كيفية بناء الجليب ← م. ن، ص 167-168). أحياناً كان يؤتى بالمياه للطبخ والغسل من البصرة في صهاريج، وتُخزن في خزانات كبيرة فوق السطح (بهار، م. ن، ص. ن).



H. Bahar. Mimar, No. 13 (1984), P. 77

الفناء الخصوصي في بيت البدر

بعد النمو المتسارع للكويت في أعقاب اكتشاف النفط واستخراجه، وتدفق المداخل الناتجة عنه، تخلى الكويتيون عن الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، ومن ضمنها العمارة التقليدية، فزالت المنازل القديمة من الوجود. مع ذلك، بعد تدخل المعمارين الفنانين في العقد السادس من القرن العشرين، قامت حركة تهدف إلى المحافظة على نسيج مدينة الكويت القديم، لا سيما السوق، والمنازل القديمة على طول الميناء، ومقابل البحر (<معجم الفن>، م. ن، ص. ن). أعقب ذلك، إعادة إعمار بعض منازل الأعيان القديمة، أو تحويلها إلى متاحف، من بينها بيت النصف (بني حوالى: 1243-1253 هـ/1827-1837م). وبيت البدر (بني حوالى: 1253-1263 هـ/1837-1846م)، وهو منزل واسع، له خمسة أفنية هي على التوالي: فناء استقبال الرجال، والفناء الخصوصي، وفناء المطبخ، وفناء المعاملات التجارية، وفناء تربية الحيوانات. أرضية الفناء الرئيسي مفروشة بالآجر الجيري المربع الشكل والقاشاني المستورد من العراق. هذا

الفناء إيوان مقوّس الشكل، في خارج البيت، متّصل بالجدار، وله بمواجهة البحر مصطبة على امتداد البيت. في العام 1355هـ/1937م، أُضيف قسمٌ جديد إلى هذا المنزل، بالأسلوب التقليديّ، وفي العام 1395هـ/1976م حوّل إلى متحف (م. ن، ص. ن).

الأنموذج اللافت للأنظار من المنازل التقليديّة، بيت محمّد الحمّد، الذي بُني في العام 1380هـ/1961م، وعلى الرّغم من أنّه ليس قديمًا جدًّا، فإنّه يُحسب من ضمن المنازل التقليديّة، لأنّ خريطته وعناصره قديمة. زخارف هذا البيت الداخليّة بما فيها الرسوم الهندسيّة الملوّنة، بالإضافة إلى الخشب والزجاج، الموازية للكتابات القرآنيّة على الجدران، نفّذها الصنّاع والفنّانون السوريّون (بحر، 1985م، ص 64).

بيت عبد الطيف الحمّد، العائد إلى أواخر العقد السادس من القرن العشرين، هو أيضًا منزل فخم تقليديّ، فيه فناء رئيسيّ، ويميّزه إيوان ذو عقود حدويّة، ويبدو فيه بوضوح تأثير عمارة بيوت شماليّ أفريقيّا، لا سيّما مراكش. تحتوي غرفة الاستقبال الرئيسيّة (الديوانيّة) في هذا البيت على أشياء نفيسة ومشقّيّة الصنع بشكل أساسي، وعلى مخدّات منسوجة يدويًّا وأشغال الإبرة من شماليّ العراق، والجدران مزخرفة، بأشكال نباتيّة وهندسيّة، محفورة في الخشب، ومطعّمة بالصدف، وكل منها بحدّ ذاته يُعدّ أثرًا فنيًّا (م. ن، ص 70).

من المنازل التقليديّة الأخرى، بيت البهبهانيّ المعروف ببيت سدو (البُسْط التي يحوكها البدو)، وهو اليوم مشهور باسم متحف البُسْط التي ينسجها البدو. هذا البيت مواجه للبحر، وله مدخلان. يُشاهد في هذا البيت تأثير العمارة الهنديّة، لا سيّما في عقد باب المدخل إلى الجهة اليسرى من الفناء الرئيسيّ. من مميزات هذا البيت أيضًا طبقاته ذات الزوايا، وغير المقوّسة، وأعمدته التي زُخرفت تيجانها برسوم ذات عناصر نباتيّة (م. ن، 1984م، ص 73).

النموّ السريع لسكنى المدن، والتطوّر الذي لحق بالعمارة الكويتيّة المعاصرة، ومنها بناء البيوت، في السنوات الثلاثين الأخيرة، أمرٌ يفوق التّصور، لا شبيه له في تاريخ سكنى المدن (م. ن، ص 71؛ نفسه، 1985م، ص 63). حاليًّا تُبنى أيضًا في هذا البلد دورٌ مساحتها من خمسمائة إلى ألف متر مرّبع، المادّة الأساسيّة في بنائها الباطون المسلّح. تُكسى الواجهات الخارجيّة أيضًا بالآجر (المنتج داخليًّا)، والإسمنت، والحجارة الرمليّة، والحجارة الجيريّة، أو المرمر أو الترافرتين⁴⁵ [حجر جيرى من إيطاليا]، المستوردة من الأردن، ولبنان، والعربيّة السعوديّة، واليونان، وإيطاليا. أمّا الخشب فلارتفاع ثمنه، وقلة مقاومته لمناخ الكويت، فقلّما استُخدم في الفضاءات الداخليّة، والأبواب، وأطر

⁴⁵ - Travertine

النوافذ وستائرهما اللولبية، وبدلاً منه يُستخدم الألومنيوم المنتج داخلياً، لا سيّما في صنع أطر النوافذ (بحر، 1985م، ص 72).

من التغييرات الجذريّة في بناء البيوت الجديدة، إلغاء الفناء الرئيسيّ، وظهور الشرفات، لا سيّما في العقد الخامس من القرن العشرين (دويك، ص 70). في العام 1371هـ/1952م، وضعت شركة إنجليزية خريطة ضخمة لتوسيع مدينة الكويت، أدّى تنفيذها إلى هدم الجزء الأعظم من الأحياء القديمة، لكنّ هذا المسار توقّف إلى حدّ ما في الستينيات، بعد ظهور حركة المحافظة على المنازل التقليديّة (← معجم الفن، م. ن، ص. ن). منذ منتصف الستينيات وحتى أواخر السبعينات من القرن المنصرم، بالتزامن مع تسارع النموّ الاقتصاديّ، خضع بناء البيوت لتأثير العمارة المصريّة والعمارة اللبنانيّة، وترافق ذلك مع بعض العناصر المعماريّة الغربيّة الجديدة، وبعض العناصر المحليّة (دويك، م. ن، ص. ن). في العقدين الثامن والتاسع من القرن المنصرم، قامت المديرية الوطنيّة المسؤولة عن تأمين المساكن⁴⁶ في الكويت، التي بذلت المساعي في السابق للقضاء على البداوة، وأمّنت عشرة آلاف بيت مناسب للبدو، بوضع برنامج لتأمين المساكن لأصحاب الطلبات، وجعلت مسألة القضاء على نقص المساكن وقلّتها من صلب عملها، وبدأت ببناء 36'400 بيت. لَحظ هذا البرنامج بناء 7'952 دارة، و 3'319 شقّة لأصحاب الدخل المتوسّط و 24'255 داراً مستقلّة، و 874 شقّة للفئات القليلة الدخل (مع التوزيع في تصميم الوحدات) (أنطونيو⁴⁷، ص 85).

في التصاميم الجديدة للبيوت، فضلاً عن الاهتمام بالعناصر الحديثة، نفّذت الملاحظات الثقافيّة التي فرضتها الدولة، وبُذلت المساعي كي لا تكون أيّ شقّة مشرفة على غيرها. في البيوت ذات الأفنية، الفناء من خلال التوليف بأسلوب خاصّ بين الانحناءات والارتفاعات لتأمين النور، لا يُرى من الخارج، والجزء الوحيد الممتدّ نحو الخارج مغلق بصفحة جامعة. نُظمت المجمّعات السكنيّة على نحو، يمكن عدّها من تسعين إلى مائة عائلة للعيش متجاورة، تشترك في الاستفادة من مركز تجاري صغير، ومن المدارس والمساجد. فوق أسطح مجمّعات الشقق السكنيّة، أنشئت حدائق، وفي الفضاء الداخليّ للمجمّع، لا مجال لدخول السيّارات، ولُحظت كذلك ممرّات للمشاة، وملاعب للأطفال (أريكسون⁴⁸، ص 89-90).

المصادر والمراجع: محمّد عبد الهادي الجمّال، الحرف والمهن والأنشطة التجارية القديمة في الكويت، الكويت 2003م؛
أجنبي...

⁴⁶ - National Housing Authority (NHA)

⁴⁷ - Antoniou

⁴⁸ - Erickson

4. الشامات:

سوريا. تدلّ الحفريات الأثرية في تلّ الرماد، إحدى نواحي دمشق على استيطان هذه المنطقة في الألف السابع قبل الميلاد (بهنسي، ص 58). في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، كانت البيوت السورّية موزّعة على نحو غير منظم بجانب المعبد أو القصر، في داخل السور (كونيو⁴⁹، ص 120). كشفت الحفريات الأثرية في سوريا عن بيوت جدرانها قوالب من اللبن، وبعضها من طبقتين، عائدة إلى العصرين البرونزيّ والحجريّ (بورنز⁵⁰، ص 18). تأثير العمارة الأخامينية بيّن في المباني السورّية، من ذلك تشييد مبانٍ مثلثة الأضلاع، سقوفها مقبّبة، أحد أضلاعها مفتوح، ومشرف على الفناء، وشائع في جميع أنحاء المنطقة باسم الإيوان (دوئرتي⁵¹، ص 28). تدلّ الآثار التي تمّ العثور عليها في مدينة حمص* عن وجود بيوت بيزنطية، معظمها يضمّ سرداباً، أو مدفنًا مسيحيًا، وخزان مياه للاستهلاك اليوميّ. استولى الأمويّون حين دخلوا الشام على بيوت البيزنطيين المهجورة والصالحة للاستخدام، أو بنوا على أطلالها بيوتاً جديدة. كما أقام بعضهم في خيام خارج المدن (كونيو، ص 121؛ عبد الحق، ص 18-19). تحدّث البلاذريّ (ص 182-183) عن بناء مائة منزل في أوائل الحقبة الإسلاميّة، في مدينة السلميّة، بالقرب من حمص. جرى الاقتداء بأسلوب الأمويّين في التملك وبناء المنازل في العصور اللاحقة، واستمرّ العمل به، إلى حدّ ما (بهنسي، ص 138). يرى المقدسيّ (ص 151) أنّ في هذه المنطقة موضع بيوت بعض الأنبياء، ويذكر كذلك البيوت الضيقة في مدينة قنسرين، والنوافذ الحديدية لبيوت كبار الشخصيات في حلب. عرّف ابن جبير (ص 206، 222، 230) موضع إقامة قابيل وهابيل في هذه المنطقة، كما تكلم على تلاصق بيوت حماة ببعضها، ووصف الموادّ المستخدمة في معظم مباني دمشق بأنّها من الطين والقصب، وأنّ تلك المباني من طبقات مرصوفة الواحدة فوق الأخرى، تأتي عليها النيران بسرعة. في عصر المماليك في دمشق وحلب، كانت بيوت العسكريّين، والأشراف، وعامة الناس، تُبنى في أقسام ثلاثة من المدينة (كونيو، ص 242). في ذلك العصر، كانت بيوت الفقراء، وأحياناً أحياء الأقلّيات بعيدةً من مركز المدينة (ريمون⁵²، ص 83). في العصر العثمانيّ كان بناء البيوت في سوريا متأثراً بطراز بيوت الأتراك (بيرنز، ص 25). مع ذلك، بُنيت في الحقبة نفسها عشرات ألوف المنازل في حلب ودمشق،

⁴⁹ - Paolo Cuneo

⁵⁰ - Burns

⁵¹ - Terri Dougherty

⁵² - André Raymond.

طريقة بنائها استمرار لنمط البناء في العصرين الأموي والعباسي (زين العابدين، ص 233، 239). البيوت السورية القديمة يعود تاريخ بنائها إلى العصر العثماني، ومن النادر وجود بيوت أقدم منها. يجب أن نذكر من البيوت العائدة إلى ما قبل العصر العثماني المدرسة الظاهرية، في وسط دمشق، التي كانت من قبل بيت والد صلاح الدين الأيوبي (بهنسي، م. ن، ص. ن).

في المباني السورية ما يدل بوضوح على تأثير الفاتحين، كالأعمدة الرومانية، والعقود الإيرانية المقوسة لزخرفة الأبواب والنوافذ، والجدران السمكية في حلبة الحروب الصليبية (دوئرتي، ص 97). وبما أن بعض السلالات الإسلامية كانت تحكم مصر وسوريا في آن معاً، استخدمت المواد نفسها في بناء البيوت في البلدين، وكذلك الرسوم الزخرفية (منير سليمان، ص 177، 180، 184).

مواد البناء. الحجر هو مادة البناء الرئيسية في معظم المدن وبعض القرى السورية، مثل عزراء، وتختلف أنواع الحجارة المستخدمة باختلاف المناطق، فالحجر المستخدم أكثر من غيره في حلب هو الحجر الجيري، وفي دمشق الحجارة البازلتية والجيرية (<العمارة السورية التقليدية>⁵³). المباني الحجرية في دمشق قليلة، فالحجارة كانت تُستخدم في البيوت الفخمة، أما في بيوت عامة الناس، فقد استخدمت فقط قواعد وركائز للبناء (بهنسي، ص 53).

كان الطين يُستخدم في بناء بدات الجدران، والتطين، وملاطاً، وفي قوالب من اللبن بمقاييس 20×40×10 سنتم (<العمارة السورية التقليدية>، ص 20). كانت معظم بيوت دمشق طينية (بهنسي، م. ن، ص. ن).

كانت أخشاب الأشجار المحلية، كالصنوبر والسرو، تُستخدم لصلابتها في أرضية البناء (<العمارة السورية التقليدية>، ص 23-24)، ولصنع الأطر الخشبية، والأبواب، والنوافذ، والأثاث، والأدوات المنزلية (زين العابدين، ص 257، 265).

كانت الكسوة النهائية لجدران المنازل السورية عادةً، ملاطاً من لون واحد، ولم يكن الطلاء الزخرفي المتعدد الألوان مستخدماً إلا في بعض القرى. كان الطلاء يختلف باختلاف نوع البناء والمواد المستخدمة: (1) الطلاء الجيري كسوة للجدران الحجرية، يُضفي مسحة من الجمال على المبنى، ويحفظ الجدار، ويُنفذ طبقات ثلاث: طبقة البسمار تتألف من التراب الناعم والجير الرخو، والرمل المبلل بالماء؛ طبقة البطانة، من الجير، والرمل الصلب، والتراب الناعم، والشبة مع الماء؛ طبقة الدهرة [الظهرة: الظهر] من الجير والرمل الناعم، والتراب الناعم والماء. (2) الطلاء الطيني للمساحات الخارجية في المباني الطينية، كان أكثر استخداماً في دمشق وضاحية حلب. كان هذا الطلاء

⁵³ - Traditional Syrian architecture.

صلباً أحياناً، يُخلط بالتبن ليصبح أكثر تماسكاً، وناعماً أحياناً فيُدهن به الطلاء الصلب. (3) الطلاء برؤب الجير، تُكسى به الجدران الحجرية والطينية، رخوًا، وطبقة واحدة (العمارة السورية التقليدية)، (ص 24).

دفع المناخ الحار في سوريا صيفاً، بعض أهالي القرى لإقامة ظلة على سطوح منازلهم من جذوع أشجار الكرمه وأوراقها، للمحافظة على برودة البيت (دوئرتي، ص 13، 89). أمّا في حلب التي ترتفع الحرارة فيها صيفاً إلى 40°، وتتنخفض في الشتاء إلى 15° تحت الصفر، فتبنى المنازل من عدة طبقات للتخفيف من شدة البرد القارس، وحرارة الصيف القائظ (سلمان قطاية، ص 86).

أجزاء المنازل السورية وأجنحتها الرئيسية. المنازل السورية عادةً من ثلاث طبقات كحدّ أقصى، تتضمّن القبو، والطبقة الأرضية (سَلَامُك: لفظة تركية)، والطبقة الأولى (حَرَمُك: لفظة تركية). لأنّ القبو معتدل الحرارة طيلة العام، هو مخزن المواد الغذائية، ومكان تناول الطعام، ومدخله في زاوية الفناء، ويصله النور والهواء من الفناء من خلال روازن صغيرة (زين العابدين، ص 239-242). وقد دفعت الظروف المناخية الخاصة إلى الإكثار من بناء الأقبية في البيوت الحلبية (ريمون، ص 91).

باب المدخل صغير، يُفتح على الفناء (زين العابدين، ص 242). تتميز البيوت العربية من البيوت التركية الطراز، بمدخلها ذات الأبواب الخشبية، التي تُثبت فوقها صفائح من الرصاص بمسامير حديدية (م. ن، مقدمة أكمل الدين إحسان أوغلي، ص 15). داخل الفناء يُجهّز بحوض ذي نافورة، وبأنواع الأشجار الحُمضية، والورود، وبئر ماء تُستخدم أحياناً لحفظ اللحوم والأطعمة السريعة التلف. في هذه البيوت، الجدران المشرفة على الفناء ذات زخارف حجرية ونوافذ (زين العابدين، ص 242، 244). ولتأمين المياه اللازمة للحوض، كانت تُحفر أحياناً قنوات بجانب البيوت (على سبيل الأنموذج — ابن شدّاد، مج2، ج2، ص 19، 22-23). كان قطر الحوض يصل أحياناً من ثلاثة أمتار إلى ستة أمتار، أمّا الأحواض ذات النوافير، التي كانت تُبنى بالحجارة الرخامية، فقطرها عادةً أقل من المتر (بهنسي، ص 57). كانت أرضية الفناء تُفرش عادةً بقطع الحجارة الكبيرة، والقسم المقابل للإيوان يُفرش بالحجارة الرخامية الملونة، ذات الأشكال الهندسية (زين العابدين، ص 267).



ل. واتشك وغ. باكلند. السائحان في الديار القديمة، طهران 2002م، ص 170. فناء منزل في دمشق، القرن الثالث عشر الهجري.

كان الفناء أهم أوجه تميّز البيوت العربيّة من البيوت التركيّة في سوريا (م. ن، مقدّمة إحسان أوغلي، ص 14). يقع الإيوان عادةً في أحد أضلاع الفناء، مقابل المدخل. وليظلّ الهواء في الإيوان، والقاعة الملاصقة له باردًا، يُبنى أعلى من سائر الغرف. تُستخدم الأواوين للجلوس ظهرًا في الشتاء، وعند الغروب في الصيف، وللاسترحة، ويستمرّ استخدامها حوالى ثمانية أشهر في السنة. تُبنى في كلّ جانب من جوانب الإيوان غرفة للإقامة الشتويّة. كانت تُقام في جدران الإيوان أحيانًا طاقة أو اثنتان على شكل المحراب أو القبة النصفية، يوضع فيها القرآن وغير ذلك من الأشياء (فيتمر - فرّي⁵⁴، ص 224، بهنسي، م. ن، ص. ن؛ طلس، ص 290). تُقام أحيانًا مصاطب في أطراف الإيوان لجلوس الضيوف (بيرنز، ص 41). كان عدد الغرف حول الفناء كبيرًا. أهمّ الغرف في البيوت الفخمة بشكل خاصّ، القاعة الرئيسيّة، في آخر الإيوان للاحتفالات الخاصّة، والولائم، والأعياد. في بعض البيوت، كبيت الوكيل، وبيت باصيل، وبيت الغزالي في حلب، القاعة الرئيسيّة مقبّبة السقف، يوضع فيها أفضل الأثاث وأثمن الأشياء. تُحسب قاعة بيت فخري وقاعة دار الأمير في حلب من أكبر القاعات السوريّة. كان داخل القاعات والغرف مفروشًا بالسجاد، ومجهّزًا بالنوافير والأحواض الصغيرة من الحجارة أو البرونز، حتى داخل غرفة النوم (ابن شحنة، ص 237؛ فيتمر - فرّي، ص 225-226؛ طلس، م. ن، ص. ن).



(www. Archnet. Org (20 jun. 2010

جزء من الزخرفة الحجرية لأرضيّة فناء بيت باصيل (العصر العثمانيّ)، حلب.

كانت الطبقة الأرضيّة، مكان الحياة اليوميّة والاستقبال، تُستخدم في معظم أيّام السنة. في هذه الطبقة أيضًا الحمّام والمطبخ (زين العابدين، ص 246). أحيانًا كان داخل القاعة والغرف يُجهّز بعنصر مائي آخر باسم السلسبيل (المصبّ)، مزخرف بلوح من المرمر وقطع رخاميّة، فوق الجدار عموديًا، يجري فيه الماء الزلال لتبريد جوّ الغرفة (بهنسي، م. ن، ص. ن).



⁵⁴ - Hans Witmer- Ferri.

الطبقة الأولى على الأعمّ لحظت للحياة الشخصية، كان من الممكن الدخول إليها من خلال الفناء (زين العابدين، م. ن، ص. ن). في أيام الشتاء الشديدة البرودة في سوريا، كانت بعض غرف هذه الطبقة تُستخدم كصالَة مشمّسة (بيتر بريج⁵⁵، ص 204). كان مدفن العائلة يُقام أحياناً بجانب المنازل أو تحتها، وبابه من خارج البيت. هذه العادة عميقة الجذور في سوريا (فيتمر - فرّي، ص 224).



الجدران عدّة أنواع: النوع الأوّل: الجدران المبنية بالحجارة الدبش، الحاملة، التي لا تزال تُشاهد في دمشق وحلب وحمص. حجارة هذه الجدران كبيرة على شكل المكعب المستطيل، توصل ببعضها بواسطة الملاط الطيني. كانت تُبنى على شكل طبقتين فوق قاعدة حجريّة، عمقها متر، يُعبأ الفراغ بين الطبقتين بالحصي والتراب. عرض هذه الجدران حوالي سبعين أو ثمانين سنتيمتراً. للجدران الملونة حجارتها في الغرف الرئيسيّة والفناء الداخلي في منازل دمشق القديمة جمالٌ نادر المثال. تشمل الحجارة الملونة البازلت الأسود (القويّ والمعمّر)، والحجر الجيريّ الأبيض، والأصفر، أو الأحمر (عمره أقصر)، والحجر المزّي (نسبة إلى منطقة المزة، الحنطيّ اللون والمتين). سماكة هذه الجدران من خمسين إلى تسعين سنتيمتراً، ويصل ارتفاعها أحياناً إلى ثلاثين متراً. هذه الجدران غير مطلية، ويُستخدم الملاط الجيريّ للصق أوصالها.

النوع الثاني من الجدران، حجريّ غير أملس. تُستخدم هذه الحجارة التي تبلغ سماكتها من ستين إلى سبعين سنتيمتراً، وتُدّهن بالملاط الطينيّ في البيوت القرويّة في اللاذقيّة، بأشكال ومقاسات مختلفة. عمق قواعد هذه الجدران خمسون سنتيمتراً، وعرضها مائة سنتيمتر.

النوع الثالث من الجدران الطينية الصلدة، المعتمدة في جنوبيّ سوريا لوفرة الحجارة البركانيّة البازلتية، وأطلالها موجودة اليوم في محافظتي درعا (أذرع) والسويداء.

النوع الرابع، الجدران المبنية بالطوب، التي لا تزال حاليًا موجودة في بعض البيوت القديمة في دمشق، وفي قرى حلب ودمشق. تُبنى الجدران الطوبية مباشرة على سطح الأرض من دون قواعد، لكن إن كانت الأرض رخوة، تلزمها قاعدة حجرية، ويكسى السطح الخارجي لهذه الجدران بطبقة من الجير أو القير ويُمسّد.

النوع الخامس، الجدران المبنية بالتراب المرصوص، على شكل قالب ترابي- يُصنع القالب في موضع بناء الجدار- ويُغطى بطبقة طينية أو جيرية، ويملس.

النوع السادس، الجدران الخشبية، التي كان بناؤها شائعًا من قبل في المدن، وحاليًا تُستخدم في القرى. الجدار الخشبي عادةً للطبقات العليا، ويتضمن عدة أعمدة عمودية، تتصل ببعضها بألواح خشبية عرضية مواربة، يملأ الفراغ بينها بالطوب والطين (العمارة السورية التقليدية)، (ص 23).

أنواع السقوف المسطحة هي: (1) السقوف الحجرية المستوية، وهي شائعة لوجود حجر البازلت في جنوبي سوريا. تُقصب هذه الحجارة بمحاذاة الجبال، وفي مواضع استخراجها، وتُستخدم للتسقيف مربعة، أبعادها $37 \times 35 \times 70$ سنتم؛ (2) السقوف الخشبية، المستخدمة لدى الطبقات المختلفة في المدن والقرى مادة في البناء والزخرفة. كان السقف الخشبي معتمدًا للبيوت ذات الطبقة الواحدة، يُحضّر من الأشجار السورية المحلية، أو من غيرها من البلدان. اعتمد السقف الخشبي أكثر منذ منتصف القرن العاشر الهجري وما بعده (الرفاعي، ص 204، 207؛ 3) السقف الشالي المغطى بالطين، كان مُعتمدًا في ضواحي دمشق واللاذقية، ولصنعه تُستخدم أغصان الأشجار، والقصب، وقصب السكر، والتبن، وألواح خشب الصنوبر، والبُلوط وغيرها، تُطلى بعد ذلك بطبقة من الطين ككسوة نهائية (العمارة السورية التقليدية)، (ص 24).

أجزاء الواجهة والزخارف: الكياشك، نوافذ خشبية نافرة شبيهة بالشرفات الخشبية المغلقة، مركزة على قواعد حجرية. حاليًا حلت الألواح الفولاذية محلّ القواعد الحجرية. كانت زخرفة الكياشك بسيطة، وجرى الاهتمام بها أكثر في الزوايا، والنوافر، والشبابيك. سقف الكياشك الخشبي المنحدر، يُحمى بصفائح معدنية. تعرّضت اليوم الكياشك للكثير من الأضرار، لعدم حمايتها كما يجب، ولسوء الأحوال الجوية (م.ن، ص 22).



(www. Archnet. Org (20 jun. 2010

أ نموذج من زخارف النافذة في بيت غزالة (العصر العثماني)، حلب.

النوافذ نوعان: (1) الخارجية، بسيطة وصغيرة، تُفتح في الأجزاء العليا من المنزل لمنع الرؤية من الخارج، ولإنارة السقف الخشبي والغرفة، وقسمٌ منها يُفتح ويُغلق. (2) الداخلية باتجاه الفناء الرئيسي، مزخرفة، ومستطيلة الشكل، وفيها قوارات زجاجية، وموقعها بين غرفتين أو بين الغرفة والفناء (زين العابدين، ص 258).

زخارف المنازل السورية وأثاثها. من الشائع في البيوت السورية زخرفة الجدران من الداخل بكتابات بالخط الكوفي وخط النسخ، والرسوم النباتية والحيوانية، والرسوم الهندسية (← م. ن، ص 265). تقع العين في المنازل على زخارف ورسوم غير سورية، مثلاً في بيت آجقباش (← حلب*)، قسم الفن والعمارة). في العصر العثماني، شاع حفر الورود والنباتات، والتأثر بالرسوم الأوروبية. كذلك شاع في هذا العصر استخدام الحجارة السوداء والبيضاء والصفراء، التي كانت تُستخدم في العصر المملوكي (الرفاعي، ص 237، 242). يُزيّن داخل المبنى وخارجه بالحجارة المتنوعة، وشاع رسم أنواع الفاكهة كالعنب والتين وغيرهما من أنواع الفاكهة المحلية (سلمان قطاية، ص 86-87).



B. Keenan, Damascus, London 2000, P. 178

منظر للزخارف الداخلية لأحد البيوت في الدمشقية.

معظم الأثاث والتجهيزات في البيوت العربية (ومن ضمنها السورية) كان ثابتاً، وهذا الثبات كان له تأثير في العمارة الداخلية للمنازل (وزير، الكتاب 3، ص 53). الأصونة (ج. الصّوان) لحفظ التحف الزجاجية والفضية، والأدوات الخشبية الزخرفية، أو لحفظ لوازم الحياة اليومية والثياب، تثبت في الجدران بمسامير حديدية (زين العابدين، ص 263).

أنواع البيوت في سوريا: (1) الخيمة، مسكن البدو، الذين يتنقلون بشكل عام في الصحراء والسهول والنواحي الشرقية من سوريا، بالقرب من سواحل نهر الفرات والحدود التركية. تكون الخيام أحياناً كبيرة، من قسمين واحد للرجال وآخر للنساء، وقسم صغير آخر، وتُفصل الأقسام عن بعضها بالصوف أو الستائر، أو أكياس المؤونة، أو القصب الرفيع. الخيام الرئيسية صوفية مربعة الزوايا، تُشدّ من الخارج بالحبال، التي تثبت في الأرض بأوتاد خشبية.

(2) البيت البدائي (القروي)، الذي يضم وحدتين متماثلتين، يربط باب بينهما. إحدى الوحدتين غرفة النوم، والأخرى المطبخ ومخزن المواد الغذائية. أمام هذه البيوت القروية، مساحة كالمصطبة، لتمضية أوقات الفراغ، والقسم

الواقع خلفها اصطبل البهائم. توجد نماذج من هذه البيوت ذات الطبقة الواحدة، تابعة للمزارع، في جبال مدينة اللاذقية.

(3) المنزل ذو الرواق الذي يتألف من عدة غرف في صف واحد، تتصل ببعضها من خلال رواق على طول المبنى من الأمام توجد في قرى المناطق السورية الجنوبية لجهة الشمال.

(4) البيت ذو الإيوان (الليوان)، من ثلاثة أقسام (اثنان للسكن وبينهما الإيوان)، يوجد في البيوت القروية في النواحي الواقعة شمالي مدينة دمشق.

(5) البيت القروي ذو الفناء الرئيسي، وهذا الفناء في مثل هذه البيوت، موضع تربية الحيوانات الأليفة، وحديقة الخضار الفصلية. تتألف هذه البيوت من وحدات مسقوفة بقباب، تحيط بالفناء الرئيسي، وتضم غرف الرجال والنساء، والمطبخ، والتتور، والإصطبل. حالياً، يجعلون سقف البيت مستوياً أحياناً، بدلاً من القبة. الفناء في مثل هذه البيوت عادةً لسكن أفراد العائلة، وتربية المواشي، يقسمه جدار إلى قسمين. توجد هذه المنازل التي يسكنها عادةً أكثر من عائلة، بالقرب من اللاذقية.

(7) البيوت اللبنانية، الموجودة في بلدان شرقي البحر المتوسط بأسرها، ومن ضمنها سوريا، وجاء بناؤها نتيجة للتحديث في الدولة العثمانية، ونمو الطبقة المتوسطة في المنطقة. هذه البيوت شيدت بالمواد المصنعة، وعلى أساس التنظيم المدني الجديد. من ميزات هذه البيوت القاعة الرئيسية التي تحف بها عدة غرف. واجهة الغرف، تتضمن ثلاث نوافذ عقدية الشكل من الخارج، وغالباً على شرفة تفتح باتجاه الحديقة أو الشارع (>العمارة السورية التقليدية<)، ص 13-14).

في العالم العربي ومن ضمنه سوريا، توجد مساكن جماعية، خاصة بالفقراء، تسمى الحوش. وفاق سند وقفية عائد إلى القرن العاشر الهجري، كان الحوش فناءً مركزياً كبيراً، حوالیه عدة أكواخ. في كل كوخ غرفتان أو ثلاث، مدخلها مفتوح على الفناء. في الفناء تحفر آبار مياه، ويبنى مرحاض عام الاستخدام. يوجد الكثير من الأحواش في دمشق وحلب (ديمون، ص 102).

لحقت بالعمارة السورية تغييرات كبيرة، من حيث نوع المواد، واستخدام التقنية في البناء، ووضع الخرائط للمباني. أصبحت بيوت حلب التقليدية، على أثر النمو الأفقي للمدن، وازدياد عدد السكان في مركز المدينة، والحاجة إلى مزيد من البيوت، من عدة طبقات. من ناحية، جعل تناقص عدد الصنائع المهرة، وفقدان مواد البناء التقليدية، واستخدام المواد البديلة، تنفيذ عملية البناء أسرع. في بعض القرى، أدت الحاجة إلى بناء طبقة ثانية، بسبب تزايد عدد السكان، إلى إزالة القباب الطينية، واستحداث سقوف مستوية من الباطون المسلح، هي على الرغم من متانتها الفائقة، تعدّ مقارنة بالقباب الطينية عازلاً ضعيفاً للحرارة

والصوت (<العمارة السورّيّة التقليديّة>)، ص 14-15). حالياً تشجّع الحكومة البدو ساكني الخيام على السكن والاستقرار في القرى (دوئرتي، ص 89)، أدّى تضائل عدد أفراد العائلة، وعمل النساء، والسكن في الشقق كحلّ لتمكّن منزل، إلى قلّة الاهتمام بالبيوت ذات الأفنية. من التغييرات الأخرى التي لحقت بالبيوت الجديدة تقسيم الغرف الكبرى بجدران فاصلة لسكن عدد أكبر من الأفراد، وتقسيم الغرفة إلى عدّة أجزاء بعقود مقبّية، واستخدام الجدران لكتل، بدلاً من الكيشك لحق التغيير كذلك بمدخل البيوت والغرف بسبب تصميم الغرف والحاجة إلى دخول مزيد من النور إليها (<العمارة السورّيّة التقليديّة>)، ص 15، 25). أدّى المزج بين التقليد والحداثة من ناحية إلى إنشاء البيوت الجديدة، ومن ناحية أخرى، إلى تغيير استخدام عدد كبير من المنازل الفخمة والجميلة القديمة. كذلك حوّلت بعض البيوت الباقية من العصر العثمانيّ إلى فندق، أو متحف، أو مدرسة وما شابه (فيتمر - فرّي، ص 223)؛ على سبيل المثال، بيت ناظم باشا جعل القصر الجمهوري، وبيت زوارباشا 1329هـ/1911م المدرسة الطبيّة (بهنسي، ص 165).

المصادر والمراجع: ابن جبّير، رحلة ابن جبّير، بيروت 1986م؛ ابن شحنة، تاريخ حلب (فصل من كتاب "نزهة النواظر")، علق عليه أبو اليمان البتروني، ط. كيكواوتا، طوكيو 1990م؛ ابن شدّاد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، مج 2، ج 2، ط. سامي الدّهان، دمشق 1382هـ/1982م؛ البلاذري (بيروت)؛ عفيف بهنسي، الشام: لمحات آثاريّة وفنيّة، بغداد 1400هـ/1980م؛ تري دوئرتي، سوريا، ترجمته بالفارسيّة مها خليلي، طهران 1385ش [2006م]؛ محمود فيصل الرفاعي، حلب بين التاريخ والهندسة، حلب 1417هـ/1996م؛ أندريه ريمون، مقدمه أي بر شهرهای بزرگ عربي- اسلامي در قرنهای 10 تا 12 هجري [المدن العربيّة- الإسلاميّة الكبرى في القرون الهجريّة من العاشر حتى الثاني عشر]، ترجمه بالفارسيّة حسين سلطان زادة، طهران 1370ش [1991م]؛ محمود زين العابدين، جولة تاريخيّة في عمارة البيت العربيّ والبيت التركي، الرياض 1419هـ/1998م؛ سلمان قطاية، "الرسوم التزيينيّة في الدور الحليّة"، مجلة المورد، مج 17، العدد 1 (1408هـ)؛ محمّد أسعد طلس، الآثار الإسلاميّة والتاريخيّة في حلب، دمشق 1375هـ/1956م؛ سليم عادل عبد الحق، "بحث موجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها"، مجلة الحوليّات الأثريّة السورّيّة، مج 10، العددان 1 و 2 (1960م)؛ باؤولو كونتو، تاريخ شهر ساري جهان اسلام [تاريخ بناء المدن في العالم الإسلاميّ]، ترجمه بالفارسيّة سعيد تيزقلم الزنوزي، طهران 1384ش [2005م]؛ المقدسيّ؛ منير سليمان، "وحدة الفنّ بين مصر وسورية"، مجلة الحوليّات الأثريّة السورّيّة، مج 7، العددان 1 و 2 (1957م)؛ يحيى وزيري، موسوعة عناصر

العمارة الإسلامية، القاهرة 1999-2000م؛ هانس فيتمر- فرّي، "البيت البورجوازي العربي السوري في القرنين السابع عشر والثامن عشر"، التلخيص والتعريب لعدنان البني، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج 8 و 9، العددان 1 و 2 (1958-1959م)؛
أجنبي...

/غلامحسين معماريان، السيد هادي إمامي، وحامد موحديان/

لبنان. يعود تاريخ استيطان لبنان إلى العصر الحجري القديم في الألف الثامن قبل الميلاد، على سواحل بيروت (ستراتسولا⁵⁶، ص 3). وقد عُثر على آثار عائدة إلى ذلك العصر في مغاور عدلون بين صيدا وصور، ومناطق أخرى أيضاً. كانت مَراجِل وبركة راما، وعين أبل، ونهر الكلب، ونهر الزهراني، وجبيل أيضاً التي تبعد أربعين كيلومتراً شمالي بيروت، من المناطق المسكونة في العصر الحجري المتأخر. فقد اكتُشفت في جبيل آثار منازل مستطيلة الشكل، قواعدها حجرية، وأرضياتها مكسوة بالمِلاط. في المنطقة نفسها في العصر النحاسي- الحجري⁵⁷ (4000 حتى 3000 ق.م)، بُنيت النماذج الأولى للبيوت الحجرية (مهران، ص 90، 108، 113، 142).

بعد قدوم اليونانيين إلى هذه الديار (في الألف الأول قبل الميلاد) بُنيت المنازل بشكل منظم، من طبقتين على الأرجح. كانت جدران منازل اليونانيين الأثرياء تُبنى بحجارة المَرمر والجص، وتُزخرف بالرسوم، وظل هذا الأسلوب معمولاً به حتى القرن الثاني الميلادي في سواحل البحر المتوسط (م. ن، ص 36). تتضمن المنازل المكتشفة العائدة إلى العصر البيزنطي غرفاً كبيرة وأرضيات فسيفسائية (ستراتسولا، ص 38).

كان في بعلبك، كما ذكر ابن حوقل (ص 175) قصوراً وبيوت حجرية كبيرة. في حقبة الحروب الصليبية*، (بين القرنين الخامس والسادس الهجريين)، بنى المسيحيون في بيروت قصوراً زُخرفت غرفها بصور المناظر الطبيعية بالفسيفساء، وجدرانها بُنيت بقطع الحجارة الرخامية، مع قبة زرقاء سماوية، ويتوسط الغرف حوض من الرخام المصقول الملون (شيخو، ص 85). في الحقبة نفسها، في زمن المماليك كانت المنازل تُبنى بالحجارة المقصوبة، وتعلو الجدران مزاغل لرمي السهام (لورته⁵⁸، ص 12-13). في القرى الجبلية كانت المنازل تُبنى بالحجارة، ونوافذها صغيرة ذات مصاريع خشبية، ومن دون زجاج. وسقف الغرف أيضاً كان مسطحاً. في بعض القرى كانت المنازل طينية متعددة الغرف، ومسقوفة بالطين وفروع الأشجار وأوراقها (كارن⁵⁹، ص 28،

⁵⁶ - Dstrazzulla

⁵⁷ - Chalcolitic age.

⁵⁸ - Louis Lortet

⁵⁹ - John Carne

114-117، 146). في القرى المجاورة لصيدا كانت المنازل تتضمن إسطبلًا في الطبقة الأرضية، وسلّم المدخل يُفتح باتجاه القاعة؛ وبجانب القاعة غرفة مخصصة لسكن العائلة، غير مجهزة بمدخنة، والدخان المتصاعد من نيران الموقد يخرج من النافذة أو الباب. أمّا الموقد فلم يكن له مكان محدد، وكانت تُحفر في إحدى زوايا الغرفة حفرة لهذا الغرض. في بعض الغرف أيضًا، كانت تُبنى خزائن طينية لتربية دود القز، وأوان خشبية لحفظ الحبوب (روبينسون⁶⁰، مج1، ص 134-136). كانت المنازل في سائر القرى على هذا النحو إلى حدّ ما (← م. ن، مج1، ص 142، 168).



(www.Panoramio.Com (29 may. 2010

نماذج منازل في جبيل وبيروت ودفون

في العصر العثماني كانت البيوت في المدن تُبنى بالعمارة، أي بالتعاون بين أصحاب البيت والجيران، وكانت تضم غرفًا للنوم والجلوس والاستقبال، ومطبخًا كبيرًا عادةً. في غرفة النوم خزانة غائرة في حائط الغرفة (تُسمى اليوك) مستطيلة الشكل، توظب فيها الفرش وتوابعها، وليلاً تُمدّ على الأرض للنوم. حين أصبحت البيوت أكبر بعد ذلك، أُضيفت إليها غرفة طعام أيضًا. كان سطح بعض هذه البيوت، بتأثير من العمارة الأوروبية، من القرميد الأحمر. كانت تُحفر في المنزل بئرٌ تتجمّع فيها مياه الأمطار، وفضلاً عن ذلك، كانت مياه الينابيع تصل إلى المنازل من خلال القنوات (خوري، ص 117-118). كانت منازل القرى والمدن متشابهة من حيث المخطط والشكل الهندسي والواجهات (م. ن، ص 118).



(www.Phase.Com (13 Oct. 2010

مدخل منزل آل شمس وفناؤه في حاصبيا

من مميزات العمارة في بيروت في العصر العثماني البوائك أو الأروقة المقنطرة المشرفة على الفناء أو الحديقة (← حلاق، ص 187). في الطبقة الأرضية الإسطبل والمستودعات المختلفة، وبعد الفناء على علو درجتين أو ثلاث درجات الإيوان، الذي تُفتح عليه الغرف عادةً. أراضيات الغرف كانت تبلّط بالحجارة (لورته، ص 31)، وأحيانًا كانت المنازل تُبنى بالمواد الخشبية.

⁶⁰ - Edward Robinson

في هذه الحال، منعاً لتسرّب المياه كانت الجدران تصفّح بألواح الصفيح أو التوتياء (حلاق، ص 184). وسقوف المنازل كانت ألواحاً خشبيّة، تغطّي بالقرميد الأحمر في معظم المنازل. اشتهرت منازل بيروت بقرميدها الأحمر وغرفها الواسعة وسقوفها العالية وأواوينها الكبيرة الجميلة. كان هنالك سلّم حجريّ في داخل المنازل، وأحياناً خشبيّ، ونوافذ الغرف في الجزء العلويّ من الجدار، تتضمّن كوى زجاجيّة ملوّنة. شاع في بيروت في القرن الثالث عشر الهجريّ بناء المنازل ذات الطبقتين أو الثلاث طبقات، المتعدّدة الغرف، لتجار بيروت وللبعثات الأجنبية. كان يضاف أحياناً إلى المنازل البيروتية حديقة، أو خزانات للمياه (م. ن، ص 184، 187-188، 190).

تشبه المنازل الصيداوية المنازل البيروتية. وهي بشكل عام من طبقتين، ومبنية على الساحل. واجهاتها الخارجية في معظمها زرقاء اللون وحمراء (م. ن، مج 1، ص 153)، وفي طبقتها الأرضية قاعة كبيرة متعدّدة النوافذ (روبينسون، مج 1، ص 57).

في الجديدة، المنازل مبنية بالحجارة الحمراء، وسقوفها الخشبيّة تقيض عن الجانبين. في كلّ غرفة نافذتين أو ثلاث، مزخرفة بقطع زجاجيّة. تُسمّى هذه النوافذ القمريّات. هذه المنازل بُنيت متباعدة عن بعضها، تفصل بينها الحدائق أو التلال (تميمي وبهجت، مج 1، ص 179).

منازل صور تشبه بيوت المناطق الحارة في الشرق، المواد المستخدمة في تسقيفها هي الطين المخلوط بالتبن وروث المواشي، وهي عازلة للحرارة في الصيف، لكنّ مقاومتها للأمطار ضعيفة. في الطبقة الأرضية تخزن المواد الغذائيّة والأغراض المنزليّة، والطبقة الثانية مبنية على نحو يُتيح دخول نسيم البحر إليها (لورته، ص 98، 201).

في العصور المتأخّرة أصبح المطبخ في المنازل اللبنانية غرفة صغيرة مستقلّة، وبات الحمّام في داخل المنازل. شاع مؤخّراً بناء الشقيّ السكنية في مبان يصل ارتفاعها إلى عشر طبقات بالباطون المسلّح (الذي حل محلّ المواد التي كانت تُستخدم في الماضي) (خوري، ص 123-124).

المصادر والمراجع: ابن حوقل؛ رفيق تميم ومحمّد بهجت، ولاية بيروت، بيروت 1335-1336هـ؛ حسن علي حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثمانيّ، بيروت 1987م؛ فؤاد خوري، من مشارف المئة، لبنان: وجوه حضاريّة، إدوارد روبينسون، يوميات في لبنان تاريخ وجغرافيا، فصول من كتاب بحث توراتي عن فلسطين والأقليم المجاورة، بقلم إدوارد روبينسون، اختارها وترجمها عن الإنجليزيّة بالعربيّة أسد شيخاني، بيروت 1949-1951 م؛ لويس شيخو، بيروت: تاريخها وآثارها، بيروت 1993م؛ جان كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأوّل من القرن التاسع عشر، اختار فصولها وعربها عن

الإنجليزية رثيف خوري، بيروت 1948م؛ لويس لورته، مشاهدات في لبنان، نقلها إلى العربية، وعلق حواشيها كرم بستاني [بيروت] 1996م؛ محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية: تاريخ لبنان القديم، بيروت 1994م؛
أجنبي...

/عبد الكريم عطار زادة/

الأردن. المغاور والأماكن المسكونة المكتشفة في الأردن، تُبين أنّ الاستيطان في الأردن يعود إلى حوالي سبعة آلاف سنة قبل الميلاد (← أبو غنيمة، 1996م، ص 17؛ مناقبتي، ص 6-7). كانت المنازل البدائية في العصر الحجريّ دائرية الشكل ومستطيلة، وكانت أحياناً تُطلى باللون الأحمر، وتتضمّن غرفاً صغيرة، تُبنى بالحجارة والطين والخشب والجصّ، ولها مصاطب وأعمدة، ونوافذ وربما سقفٌ مقبّب. هنالك خلاف حول ما إذا كانت بمستوى سطح الأرض، أو أنّ هنالك ثلاث درجات موصلة إلى باب المدخل. أمّا أبواب المداخل فكانت متشابهة (← أبو غنيمة، 1995م، ص 165-168، 172). في جنوبيّ الأردن، في العصر الحجريّ المتأخّر (خمسة آلاف سنة قبل الميلاد) كانت المنازل تُبنى دائرية أو مستطيلة، أو ببيضاوية الشكل من غرفة واحدة وسلم، وتتّور (نفسه، 1996م، ص 21-22، 25). بيوت العصر الحجريّ المتأخّر في أريحا كانت على النمط الشرقيّ، أي منازل من اللبن، أرضيتها من الطين والجصّ، والغرف تُبنى محيطة بالفناء (لنكستر هاردينغ⁶¹، ص 210، 213). عُثر في شماليّ الأردن في تلّ "أبو حامد" على منازل من اللبن مبنية على قواعد حجرية من العصر النحاسي- الحجريّ (الألف الرابع قبل الميلاد)، وفي تلّ "أبو النعاج" عُثر على منازل من اللبن من العصر البرونزيّ، وأيضاً في تلّ "أبو العقارب" عُثر على بيتٍ مستطيل الشكل، له برجان على الجانبين من العصر الحديديّ (← كريم، ص 90، 102). في جنوبيّ الأردن أيضاً عُثر على منازل حجرية للأنباط، عائدة إلى القرون من الثالث حتى الأوّل قبل الميلاد، من بينها بيتٌ من طبقتين، مادّة بنائه الرئيسية هي الحجر، وله سلم، وفيه خزان لتجميع المياه (← خطاطبة، ص 110). في القرون اللاحقة وحتى القرن الرابع الميلاديّ، كانت بيوت الأنباط متعدّدة الغرف، وفيها حوض، وقسمٌ للخدمة (م. ن، ص 115-117). في مدينة مادبا، عُثر على منازل عائدة إلى العصر الرومانيّ مزخرفة بالفسيفساء. وعُثر على منزل في الجهة الشرقية من مادبا رُسمت أشكال حيوانات ورجل وامرأة يرقصان وفي يد كل منهما صنّج. ومنزل آخر كذلك أرضيته مبلّطة بالحجارة المستطيلة (← لنكستر هاردينغ، ص 84).

⁶¹ - Lankester Harding.

في أوائل الحقبة الإسلامية، أصبح مخطط المنازل أكثر بساطة، وبنات الأجر أكثر استخدامًا في البناء من الحجارة والفسيفساء، والرسم والتجصيص والكتابات والقاشاني أكثر من النحت على الحجر. عُثر على بيت عائد إلى هذه الحقبة من ثلاث غرف متصلة ببعضها، بُني بالحجارة والطين، وفي زاويته الجنوبية الغربية غرفة صغيرة أخرى (التل، ص 323؛ مك نيكول⁶² و ولمزلي⁶³، ص 343).

تمّ تعرّف منازل عائدة إلى العصر الأمويّ، من طبقتين، في الطبقة الأولى الإصطبل، وفي الطبقة الثانية الأجنحة السكنية (لنكستر هاردينغ، ص 60). في خربة هجيجة، شماليّ الأردن، عُثر على قواعد حجرية لجدران منازل عائدة إلى العصرين البيزنطيّ والأمويّ (كريم، ص 103). في العصر الأيوبيّ (أواخر القرن السادس وأواسط القرن السابع الهجريّين) وعصر المماليك (أواسط القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريّين)، كان يعيش أحياناً في البيت الواحد أكثر من عائلة. في القرى كانت المنازل تُبنى أحياناً على نحو متشابه، عالية الجدران، والباب الرئيسيّ للمنزل يُفتح على الفناء. في مدينة الكرك كانت المنازل من طبقتين، تضمّ أووين متقاطعة الطيقان، ولها قبة من الطين والحجر المقصوب، أو الطين المخلوط بالتبن والآجر. كان الإيوان في هذه المنازل في الطبقة السفلى. في تلك الحقبة في القرى الشرقية من الأردن كان منزل شيخ القبيلة واسعاً، فيه غرفة تُسمّى المضافة لاستقبال الزوّار. لا تزال المضافة حتى الآن موجودة في منازل الأردن وفلسطين. كان هنالك تتور في جميع المنازل (← غوانمة، 1982م، ص 364-366)، وسقوف المنازل من الخشب وفروع الأشجار وأوراقها. الوصول إلى الطبقة العليا يتمّ من خلال سلم حجريّ داخليّ. كان باب المدخل عادةً لجهة القبلة (نفسه، 1982م^{الف}، ص 130). كانت المنازل في عصري المماليك والعثمانيين تُبنى بالحجارة الكبيرة، ويستخدم الملاط الطينيّ والحجارة الصغيرة لتثبيت قواعد الجدران. فقد عُثر في ذراع الخان، على بعد 33 كلم غربيّ مدينة إربد، على بيت مستطيل الشكل مساحته 64م×54م، يعود إلى حوالي القرن الثامن الهجريّ، بُنيت جدرانه بالحجارة والملاط الجصّيّ، ولتثبيتها استُخدمت الأعمدة الحجرية، يقع المستودع في القسم الشماليّ من البيت، وفي القسم الشرقيّ المطبخ (← كريم، ص 103، 108-109).

دخل الأتراك العثمانيّون مدينة البتراء في القرن الثاني عشر الهجريّ، وكانوا يتقنون فنّ تقصيب الحجارة، لكنهم بنوا المنازل بحجارة المباني القديمة في تلك المدينة (لنكستر هاردينغ، ص 92). في العصر العثمانيّ، كانت جدران المنازل في بعض المناطق الشمالية من الأردن تُبنى بالحجارة المتوسطة

⁶² - McNicoll

⁶³ - Walmsley

الأحجام (← كريم، ص 106). في القرن الثالث عشر الهجري، كان الفلاحون في جنوبي الوادي اليابس في شمالي الأردن يبنون منازلهم بالقصب. بُنيت أيضاً بيوت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري في هذه المنطقة، يضم جناحها الشرقي غرفة أو غرفتين للمعيشة، وجناحها الجنوبي مستودعات الشعير والقمح والتبن (م. ن، ص 94، 104). في العقود الأخيرة، بُنيت المنازل في بعض القرى الأردنية بالطين والحجارة، وسقوفها من الخشب وفروع الأشجار وأوراقها (غوانمة، 1982 م^{الف}، م. ن، ص. ن). في قرية بيت رأس، بالقرب من إربد، بُنيت منازل الأهالي فوق أطلال المباني القديمة (لنكستر هاردينغ، ص 61). في المدن أيضاً معظم البيوت من طبقتين (غوانمة، 1982 م^{الف}، ص 147)، والعوائل المتعددة الأفراد تعيش في شقق أكبر، أو منازل ذات أفنية. بُنيت معظم المنازل بالإسمنت وأحياناً بالحجارة والملاط. مخططات المنازل موضوعة على نحو يتيح للمالكين إضافة المزيد من الطبقات حين يتزوج أبناؤهم الذكور. يعيش الفلاحون المحليون أيضاً في خيام مصنوعة من جلود حيواناتهم وفرائها. مع ذلك معظم المباني في عمان بناؤها متأثر بالعمارة الغربية (← البلدان وثقافتها⁶⁴، 2010م).

المصادر والمراجع: خالد أبو غنيم، "تاريخ الاستيطان البشري في جنوب الأردن في عصور ما قبل التاريخ"، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 57-58 (أيلول- كانون الأول 1996م)؛ نفسه، "العناصر المعمارية لمساكن العصر الحجري الحديث قبل الفخاري (ب) في جنوب الأردن"، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 51-52 (كانون الثاني- نيسان 1995م)؛ محمد حطاطبة، عمارة الأنباط السكنية، الرياض 1427هـ/2006م؛ يوسف درويش غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، عمان 1982 م^{الف}؛ نفسه، "القرية في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي في ضوء وقيّة قرية أدر"،

في أجنبي؛

جمعة كريم، "تاريخ غور الأردن الشمالي من خلال المسوحات والحفريات الأثرية الأخيرة"، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 51-52 (كانون الثاني- نيسان 1995م)؛ لنكستر هاردينغ، آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، عمان 1971م؛ محمد رضا مناقبتي، الأردن، طهران: وزارة الخارجية، مكتب الدراسات السياسية والدولية، 1375ش [1996م]؛

أجنبي...

⁶⁴ - Countries and their Cultures.

فلسطين. اتّسع نطاق الاستيطان في المناطق المختلفة من فلسطين منذ العصر الحجريّ القديم. كانت المنازل في ذلك العصر حجريّة، مستديرة الشكل أحياناً، أو بيضاويّة صغيرة، وقد اكتُشفت نماذج منها في البحيرة شماليّ فلسطين. عُثر في أريحا على آثار مساكن دائمة من العصر الحجريّ الحديث. بيوت هذه المنطقة مستديرة الشكل، مبنية بالآجر ولها قباب. جدران البناء مائلة نحو الداخل، وأرضيّة الغرف من الطين (اللّبن) (أبو حاكم، ص 71-78، 83). في العصر النحاسيّ- الحجريّ⁶⁵ كانت البيوت الفلسطينيّة من الحجارة واللّبن. واستمرّ هذا النمط من البناء حتى أوائل العصر البرونزيّ، لكن خلال هذا العصر كانت المنازل بيضاويّة أو شبه بيضاويّة، من غرفة واحدة، وفي بعض الحالات النادرة من غرفتين، ولتغطية أرضيّة الغرفة استُخدم التراب، أو قطع الخشب المتلاصقة، والفضاء المفتوح أمام البيت فرش بالحجارة. أضيف المطبخ والمستودع إلى الفضاء المفروش بالحجارة أمام البيت، وسُقف البيت بالألواح الخشبيّة. أحياناً كانت الجدران تُبنى من طبقتين، وفي هذه الحالة كان الفراغ بين الجدارين يُعبأ بالحجارة. في العصر الحديديّ بُنيت المنازل من غرفتين، وموادّها الأساسيّة من الحجارة والآجر. بات للفضاء أمام البيت أهميّة في هذا العصر، وحُسب عُنصرًا أساسيًا في بناء المنازل. استُخدمت كذلك الأعمدة الحجريّة لحمل السقف، وشاع بناء الجدران المزدوجة الداخليّة والخارجيّة في بعض المناطق، مثل تلّ بيت مرسيم، وأسدود، وتلّ الفول، وتلّ القدح، وتلّ قَصِيل (م. ن، ص 245).



.Allthat remains. Ed. W. Khalidi, Washington. D. C. 1992. P. 110

فناء منزل قرويّ (حوالي العام 1363هـ/1945م)، أسدود، غزّة.

على الرّغم من عدم إجراء دراسات وتنقيبات أثريّة كافية في فلسطين لتعرّف كيفيّة بناء المنازل في الحقبة الإسلاميّة، يمكننا من خلال الأوصاف والملاحظات المتفرّقة التي سجّلها السيّاح، لا سيّما من القرن الحادي عشر الهجريّ وما بعده، تقسيم البيوت الفلسطينيّة في هذه الحقبة إلى نوعين: البيوت القرويّة، وبيوت المدن. البيوت القرويّة التي تمثّل المَعلم الأبرز من البيت الفلسطينيّ، تتألّف من جدار طينيّ يحيط بفناء رئيسيّ. في الشتاء كان الأهالي ومواشيهم يعيشون في مسكن واحد. يتضمّن البيت غرفة مستطيلة متعدّدة

⁶⁵ - Chalcolithic age.

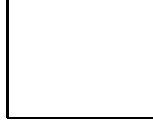
الأغراض، تُتجزر فيها جميع الأعمال العائليّة، يُقسم فضاؤها إلى قسمين متوازيين: الأدنى (غل البيت) بالقرب من المدخل، والأعلى (المصطبة) مكان النوم والمعيشة. في الغرفة الرئيسيّة المقنطرة في القسم السفلي، يوجد المستودع وأحياناً الإسطبل. في هذا القسم أيضاً الطاحونة والتتور البيتيّان. في الماضي، في معظم البيوت الفلسطينيّة القرويّة، كان التتور جزءاً لا يتجزأ من البيت، وكان يُسمّى الطابون، ويبنى بالطين. وفي معظم البيوت القرويّة كان هنالك طاحونة أيضاً (فرا، ص 132، 136-139). كان السقف يُنفذ على نحوين، إمّا ألواح خشبيّة وعقود جانبيّة، وإمّا مقنطراً كلّه. كانوا أحياناً يضعون على المصطبة وسائل للاستراحة أو النوم (فوكس⁶⁶، ص 158). في بعض البيوت كانت تُبنى مصطبة خارجيّة أمام البيت أو في الفناء (الحوش)، أو للجلوس في فضاء مفتوح. المصطبة عنصرٌ حجريّ أعلى من الفناء، قصيرة وبسيطة، وفي البيوت الفخمة كانت أشبه بالإيوان، محاطة بسور ومسقوفة بأغصان الدالية، أو بخيمة. الميزة العامّة للمصاطب الداخليّة والخارجيّة، إيجاد مكان محدّد للجلوس يتمتّع بالارتفاع المطلوب. كان بجانب الباب فجوة محدّدة، لوضع الأحذية، وكان الإيوان مكاناً منفصلاً، أعلى من أرضيّة البيت، والفراغ أسفله كان مستغلاً أيضاً (م.ن، ص 158-160).

كانت المنازل الفلسطينيّة القرويّة مجموعةً متلاصقة ببعضها؛ وإذا زاد عدد أفراد العائلة، يُضاف مكانٌ إمّا بالبناء، أو من خلال فصل أمكنة في زوايا المكان الرئيسيّ، أو يوسّع الفناء الأساسيّ بحيث تُفتح جميع الأبواب عليه. وهكذا يُوسّع البيت، ويصبح شبيهاً بالقلعة الصغيرة، يعيش فيه الأب وأولاده بجانب بعضهم. في حال تحسّن الوضع الاقتصاديّ للعائلة، يُقسم المكان إلى غرفتين واحدة للمعيشة وأخرى للضيوف. فضلاً عن زيادة عدد أفراد العائلة، كان البيت يُوسّع لأسباب أخرى عملائيّة، كبناء مستودع، أو مطبخ، أو إسطبل. تُشاهد بيوت قرويّة من فضاء واحد في الضفّة الغربيّة في فلسطين (م.ن، ص 160).

عناصر المنزل القرويّ ذي الفضاء الواحد، في فلسطين يضمّ بشكل عام مصاطب مرتفعة للنوم، مصطبة مرتفعة وإيوان مغطّي ببساط، ومستودع للمحاصيل، وشرفة منفصلة. كان المستودع السفلي مصطبتين، وطيقان تحمل جرار الحبوب والماء. كانت المصاطب المذكورة فضلاً عن كونها فاصلاً بين مكان العائلة ومكان المواشي، تحمي مكان النوم من الرطوبة، كما أنّها دليل على حسن الضيافة والاستقبال، المشاهد في العمارة الإسلاميّة في الحمامات والرباطات والأسواق، في إسطنبول وبيت المقدس، وتونس والقاهرة. الخُصّ هو أيضاً نوعٌ من البيوت القرويّة، يُبنى بشكل دائريّ تعلوه قبة، في وسط

⁶⁶ - Fuchs.

الحديقة أو الأراضي الزراعية، من فروع الأشجار والقصب ونبات الحلفاء. عادة يفصل جدار من أوراق الأشجار وفروعها هذه الخصائص عن بعضها. يُكسى الخُص من الخارج بالطين والقصب (قرا، ص 132).



(www. Palestineremembered. Com (23. Juin. 2010

منزل قروي في دير ياسين.

في منازل المدن في الحقبة الإسلامية، المدخل أحياناً فضاء قليل الارتفاع يُسمّى العتبة، يؤدي دور صلة الوصل. تُبنى بجانب المدخل مصطبة أو مصاطب مبلطة بالفسيفساء أو الرخام. في العصر العثماني كان هذا العنصر في فلسطين وسوريا مكان تناول الطعام والنوم واللقاءات وإقامة الصلاة. كانت العتبة تضم أحياناً نوافير ماء. وأحياناً كانت مربعاً بالقرب من الباب، أو مساحة واسعة شبيهة بالغرفة، أو مكاناً يتسع لشخصين. في البيوت الأكبر المتعددة الطبقات، تكون العتبة في وسط المبنى على شكل مصطبة. في هذه البيوت توجد مصطبة عريضة مسقوفة تُسمّى الصفة، وأواوين وغرف (فوكس، ص 163-164). في المدن حيث انقرضت المنازل ذات الفضاء الواحد، وشاع تشييد المباني المتعددة الطبقات، جرى الاهتمام بالسلام، التي تصل أحياناً هذه الطبقات الثلاث ببعضها. تُبنى السلام عادةً في الواجهة الخارجية للمبنى. في أطراف السلم أسيجة تُسمّى الحضير لمزيد من الأمان (قرا، ص 131).



(www. Palestineremembered. Com (23. Juin. 2010

منزل في رام الله.

تشديد المباني في المدن الفلسطينية الرئيسية، يعتمد على العقود والقبّة، وذلك دليل على قلة الألواح الخشبية في هذه المناطق. شاع بناء العقود في فلسطين، في القرون الإسلامية الأولى، بعد أن تقلصت الغابات، وارتفعت أسعار الخشب، لكنّ العقود الصغيرة يدخل الخشب في بنائها، ويُساعد في إطالة عمرها. هذا الأسلوب الذي يتم بمساعدة الجدران الجانبية، كان يحتاج إلى إقامة أربعة جدران قليلة الارتفاع، نصف دائرية، في زوايا الغرفة الأربع. في بناء القباب، كانت الحجارة توصل ببعضها بواسطة خليط كثيف من الرمل والإسمنت. في مساكن المدن تُستخدم الأنابيب الفخارية التي توصل ببعضها

بالمِلاط. هذه الأنابيب التي تُثير الفضاء ضمناً، تشكّل قشرة متينة، معظم صناعتها وإنتاجها في غزة، ومنها تُنقل إلى النواحي الأخرى في البلاد. عمارة البيوت على النمط القديم في مدن بيت المقدس، ونابلس، وحبرون، ورام الله وليدا تشبه إلى حدّ ما البيوت القرويّة. حتى القرن الثاني عشر الهجريّ كان بناء البيوت في فلسطين يتمّ بالمواد التقليدية، وبعد ذلك شاع استخدام المواد الجديدة في البناء (فوكس، ص 166-168).

كانت البيوت في الأساس مستطيلة الشكل، والغرف في زوايا المنزل. في وسط البيت ملعب محوّط يسمّى فناء الخلوة، فيه حديقة صغيرة تضمّ أنواع الورود والخضار والنباتات. كان عدد كبير من البيوت في الماضي يتضمّن غرفة نوم ربيعية، مزخرفة بالحجارة المتنوّعة. داخل جدار الغرفة، تجهّز خزانة صغيرة تشبه (اليوك)، تفصلها ستارة عن فضاء الغرفة، تُحفظ فيها الفرش ووسائل النوم (فرا، ص 130).

من أنواع بيوت المدن، البيت - الشقّة التي تضمّ مدخلاً وفضاء المعيشة. هذا النوع من البيوت مرتفع، مربّع الشكل، تعلوه قبة مثلثة الزوايا، تُشاهد في بيت المقدس، وحبرون ورام الله، مع غرف مخصّصة للخدمة، وفناء مسقوفاً (فوكس، ص 171).

العقد عنصر مهمّ من عناصر البيوت الفلسطينية. بدأ رواج العقد المؤلّف من أربعة أقسام، الشائع في المدن والقرى في فلسطين منذ عصر المماليك (حك 648-922هـ/1250-1516م). في البيوت المتعدّدة الطبقات، تعلو الطبقة العليا قبة في أعلاها طاسة غائرة. لقد حظي الطابوق والدعامات الخاصة لتغطية الفضاءات المستطيلة، بمكانة مميّزة في فلسطين في القرن الثالث عشر الهجريّ، لا سيّما في العصر العثمانيّ. استُخدمت العقود لتغطية ما تحت السلاّم، والمداخل، ولزخرفة الواجهات. في البيوت الفلسطينية أنواع مختلفة من العقود المتقاطعة، والعقد المتعرج، والعقد والدعامة والقبة المحمولة (م. ن، ص 168). كانت العمارة المملوكيّة في فلسطين ذات أنماط محدّدة. ففي هذا العصر بات للواجهة دور مهمّ، واستُخدمت الحجارة في زخرفة الواجهات. تُحسب هذه الزخارف جزءاً من هيئة المبنى، وتُنقذ على عقود المداخل. هذا النوع من عقود المداخل له إطار مستطيل الشكل، وفي كلّ قاعدة من قواعد العقود مساحة تشبه المقعد المسطح، حجريّة، تُستخدم أحياناً للاستراحة أو الانتظار. يشاهد أنموذج هذا العقد والواجهة في قصر خربة المفجر* العائد إلى العصر الأمويّ (روزن-أيالون⁶⁷، ص 110).



⁶⁷ - Rosen- Ayalon.

بيت في يافا



(www. Archnet. org (20. Oct. 2010

بيت عثمانى الطراز، القرن الثالث عشر الهجري، عكا.

تُسقف البيوت عادةً بالخشب وجذوع الأشجار، ثمّ تغطّى بالطين والقصب. هذا النوع من السقوف أكثر شيوعاً في البيوت المبنية بالطين أو اللبن، والتي تحتاج بعد هطول الأمطار الموسميّة إلى المراقبة وإعادة الترميم. علماً أنّ سقوف بعض البيوت من الجصّ والحجارة. فللحجارة وظيفة جماليّة، فضلاً عن جانبها العمليّ (فرا، ص 129-130).

الفناء عنصر آخر مهم من عناصر البيوت الفلسطينيّة؛ والفناء أو (الحَوْش) يقع بعد المدخل وممرّ ضيق اسمه الدهليز، وفي وسطه حوض، وأحياناً حديقة صغيرة. يكون الفناء مسقوفاً أحياناً، مكشوفاً في معظم الأحيان، ويؤدي دور صلة الوصل بين أجنحة المنزل المختلفة. ومن الشائع أيضاً فضاء كالْفناء في الطبقات العليا. كانت الأسطح تُستخدم أيضاً كفناء فوقانيّ لإنجاز بعض الأعمال اليوميّة، وتمضية الوقت، والنوم في الليالي الحارّة، وهي مسوّرة بجدران عالية (فوكس، ص 166-167). في وسط الفناء حوض يُسمّى البُتّيّة لمياه الخدمة، وجرار لحفظ مياه الشرب في الظل. كان أثاث المنازل الفلسطينيّة بسيطاً. تُقرش الأرض بالبُسط الصوفيّة في الشتاء، والقطنيّة في الصيف، أمّا العائلات الثريّة فتقرش منازلها بالسجاد الإيراني. تحتفظ ربّة المنزل في غرفة النوم بصندوق صغير مزخرف، تضع فيه الذهب والجواهر، بعد ذلك حلّ الصوان المسمّى البورية- المؤلف من عدة أدراج محلّ الصندوق. تُقرش غرف الاستقبال عادةً بالكليم [البساط الصوفيّ]، أو السجاد، وتوضع فيها مجموعة وسائل ليتكىء عليها الضيوف. تُزيّن غرفة الجلوس بحجارة زخرفيّة كُتبت عليها آيات قرآنيّة، وفي الشتاء كانت المدفأة جزءاً لا يتجزأ من المنزل. في الصيف القائظ يلجأ الأهالي إلى الأسرّة والمقاعد الخشبيّة، والغرف المكسوّة بفروع النخيل وأوراق الكرمة (الفرا، ص 131-132).

نماذج البيوت التاريخيّة التي لا تزال قائمة في فلسطين. في غزّة الحاليّة، لا تزال بيوت تاريخيّة عديدة موجودة، بعضها حلّ فيه الكثير من الخراب، والباقي يحتاج أيضاً إلى الكثير من الإصلاح والترميم. بيت العامر في حيّ الزيتون في القسم الجنوبيّ من المدينة مبنيّ بالحجارة. الرسوم والزخارف في هذا المنزل

شبيهة بالرسوم والزخارف الموجودة في القصور المعاصرة له. باب الدخول الصغير في هذا المنزل متّصل بدهليز طوله متران، يُفتح على الفناء. في كلّ جهة من الجهتين الشماليّة والجنوبيّة من المنزل إيوان. والعقد الذي يعلو الإيوان الجنوبيّ مبنيّ بالحجارة الرخاميّة الحمراء والبيضاء. تحت الإيوان المذكور غرفتان. وللإيوان الشماليّ المخطّط نفسه. هذا المنزل يعود إلى أوائل العصرين المملوكيّ والعثمانيّ (سليم عرفات مبيّض، ص 412-418، 428-429).

المصادر والمراجع: هشام محمّد أبو حاكم، تاريخ فلسطين قبل الميلاد، عمّان 2005م؛ سليم عرفات مبيّض، البنائيات الأثريّة الإسلاميّة في غزة وقطاعها [القاهرة 1995م]؛ محمّد علي الفراء، التراث الفلسطينيّ، عمّان 1989م؛

أجنبي...

/غلامحسين معماريان، بهزاد وثيق وآزادة شوتنبي زادة/

(ج) آسيا الوسطى والبلدان التي يقطنها الأتراك.

(1) تركيا والقوقاز.

تركيا. التوزّع الثقافيّ والتاريخيّ الأساسيّ في تركيا، يدلّ على ثلاث نواح رئيسيّة: الناحية الأولى، المناطق الساحليّة والأماكن التي تشكّل جسر اتّصال بأوروبا. هذه المناطق تخضع باستمرار لتأثير العوامل الخارجيّة. الثانية، المنطقة الداخليّة، التي تشهد القليل من الحراك، وكانت قد استقبلت آخر موجة هجرة كبرى للأتراك. لعلّ بإمكاننا تسمية هذا السهل الشبيه بالصحن، المنطقة الداخليّة. الناحية الثالثة، هي شريط مختلط بين هاتين المنطقتين، يخضع لتأثير المنطقتين كليهما. امتدّت المنازل التركيّة من المنطقة الداخليّة باتجاه الخارج (كوتشوك إرمان⁶⁸، ص 48-49).

في العصر الحجريّ الوسيط، بدأ الاستيطان الدائم بعد تشكّل القرى في مختلف المناطق التركيّة. في العصر الحجريّ الحديث، كان البيت يتألّف من غرف واسعة، مساحتها كحدّ أقصى 9م×10م، حول فناء مربع أرضيّته مبلّطة بالحجارة، وقواعده حجريّة، وجدرانه من اللّبن. هذه الغرف مستقلّة، ذات أعمدة حجريّة في بعض الأحيان. في وسط الغرفة موقد الطبخ، وأرضيّة الغرفة مغطاة باللّبن مكسوّة بالملاط الطينيّ. في المراحل اللاحقة من هذا العصر أصبحت الغرف من طبقتين، الغرفة السفلى لا باب لها، ويتمّ الدخول إليها من خلال الغرفة العليا. سقف هذه المنازل مستوٍ، من الخشب والقصب ومطلّيّ بطبقة من الطين المخلوط بالتبن (فيروز مندي، ص 27، 41). منذ الألف الخامس قبل

الميلاد، كانت تُبنى في تلال حاجيلار⁶⁹ الأثرية، بيوت ذات أفنية يَرَجَحُ أَنَّهَا كانت طبقتين، غرفها مستطيلة الشكل (كوبان⁷⁰، ص 25). خلال العصر الحجري الحديث، كان عدد الغرف أكبر، وشكّلت فضاءات متنوعة بواسطة الحجارة واللبن والخشب. هذه البيوت أيضاً لم يكن لها مداخل من خلال الطبقة الأرضية، والدخول إلى البيت يتم بواسطة سلم من خلال فجوة في السطح (م. ن، ص 44، 51).

وُصفت حضارة التلة الأثرية تشتل هويوك⁷¹ من الألف السابع حتى الألف الخامس قبل الميلاد، بأنها أولى مساعي البشر لوضع لبنات الحياة المدنية. كانت البيوت في هذا الموضع كما تدلّ التنقيبات والمكتشفات الأثرية، متلاصقة ببعضها، ومن دون أبواب، لهذا السبب كانت أكثر صلابة، متصلة ببعضها من خلال الأسطح. كانت هذه المنازل موحدة المخطط، إنّما ذات أحجام متفاوتة، وجدرانها من اللبن، تُدعم بقدر خشبيّة. وكانت الجدران وأرضيات الغرف تُزخرف بالرسوم وأعمال التجصيص؛ والمصاطب المحاذية للجدار كانت تُستخدم للنوم، والعمل، وتناول الطعام (غاردنر⁷²، مج 1، ص 12-13، الصورة 18).

في العصر النحاسي- الحجري⁷³، كانت الأماكن المسكونة مسورة، وطراً بعض التغيير على المنازل، فمثلاً كانت الغرفتان الكبيرتان في البيت تُفتحان على ممرّ (فيرومندي، مج 1، ص 136). في العصر البرونزي، كانت المنازل متراصة، والغرف مصفوفة بالقرب من بعضها على شكل مستطيل صغير، وجدرانها ذات قواعد من الحجر واللبن. كان لهذه البيوت باب ونافذة، وتُبنى على شكل مجمّع، وسقفها مستو، من الخشب والقصب (م. ن، مج 1، ص 146). في الألف الثاني قبل الميلاد كان سكان بعض المناطق التركية مثل كبادوكيا⁷⁴ يبنون مدناً تحت الأرض، ويفتحون في داخل غرفها الصغيرة المظلمة منافذ للتهوية ودخول النور. كان الهدف من بناء المنازل تحت الأرض الاحتماء من الغزاة. حتى العام 1371 هـ/1952م، كان هنالك نماذج من هذه المنازل لا تزال مسكونة (إبوك⁷⁵، ص 23). بنى الحثيون وبعدهم اليونانيون حوالى السنة الألف قبل الميلاد، القرى الأولى، ومن ثمّ المدن، في هذه الديار. كانت بيوت الأثرياء اليونانيين مجهزة بالمياه الجارية، وأرضياتها مفروشة بالفسيفساء. استوطن البيزنطيون هذه المنطقة بعد اليونانيين حتى القرن الثامن الهجري (م. ن، ص 30-34).

⁶⁹ - Hacilar

⁷⁰ - Kuban

⁷¹ - Çatal Hüyük

⁷² - Gardner

⁷³ - Chalcolithic

⁷⁴ - Cappadocia

⁷⁵ - Chris Eboch

بعد دخول الأتراك آسيا الصغرى في القرن الخامس الهجري، هاجر إلى هذه الديار على مدى قرن من الزمان حوالى ثلث الأتراك المنتشرين في جميع أنحاء الدنيا، وفي أواخر هذا القرن، تحوّلت هذه الناحية إلى بلاد تركيّة السكّان (محمّد شكر⁷⁶، ص 27). بنى هؤلاء قرى جديدة، أو سكنوا البيوت في القرى التي غادرها أهلها (م. ن، ص 102). بعد دخول الأتراك، أسكن المسلمون في مركز المدينة، وكل من الروم والتجار المسيحيين في محلة معيّنة، تفصل بينهم الأسوار (ابن بطوطة، مج 1، ص 313). كانت الخيمة (يورت) أوّل مساكن الأتراك، وتتضمّن أجنحة مختلفة، منها موضع الطبخ، وموضع حفظ الثياب والأسلحة، ومكان للجلوس والنوم. كان في وسط الخيمة مكان لتناول الطعام، وفي أطرافها صناديق الأمتعة. تقسيم الأجنحة هذا لفصل الأشياء في الخيمة [اليورت] ترك أثرًا في بنية الغرفة في المنازل التركيّة في ما بعد (زين العابدين، ص 34؛ أيضًا — كوبان، ص 43-44).

تختلف المواد المستخدمة في بناء البيوت القديمة، باختلاف الظروف المناخية. ففي شماليّ تركيا كإسطنبول، وأدرنة، وبورصة، وسيواس، وتوقات كانت من الخشب، وفي الوسط من الآجر والحجارة، وفي الجنوب لجهة الغرب كأضنة⁷⁷، ومرسين⁷⁸، وأنطاليا من الخشب والحجارة، وفي الغرب استخدم الحجر مادّة أساسية (كوتشوك أرمان، ص 32). كانت مادّة البناء الأساسية في الأناضول الحجارة، واستخدم الآجر أكثر في عقود الأبنية، والحصى مخلوطا بالصاروج في القناطر والجدران، وأحيانًا الخشب للمبنى بأكمله (إتينغهاوزن⁷⁹ و غرابار⁸⁰، ص 333).

في إسطنبول، على العكس من النواحي الأخرى، لا يطلون الأجزاء الخشبية. كان استخدام الخشب وأمثاله في تسقيف الغرف على نحو خاص، من خصائص الشعوب البدوية (د. أ. د. التركيّة، مج 11، ص 509). داخل المنازل المتعدّدة الطبقات، الركائز والطبقة السفلى من الحجارة والآجر، لكن في الطبقات العليا استخدمت الألواح الخشبية والآجر مواد للبناء (غودوين، ص 17).

في القرن العاشر الهجري، حتى في إسطنبول، كان اللبن هو المادة الأساسية في بناء البيوت، لكن قبل ذلك، في الحقبة التركيّة، كان للجدران المبنية بالحجارة غير المقصوبة دورًا مهمًا. فالحجارة غير المقصوبة كانت تُستخدم عادةً في الطبقة السفلى أو الأرضية (كوبان، ص 26). والخشب في أجزاء البناء المختلفة. الأساس الخشبي القليل العمق كان أكثر استخدامًا في المساكن

⁷⁶ - Mehmet Şeker

⁷⁷ - Adana

⁷⁸ - Mersin

⁷⁹ - Ettinghausen

⁸⁰ - Grabar

الصغيرة غير المتينة، والأساس الحجري، الذي يتحمل ثقل المبنى ويحميه من السيول كان أكثر استخداماً في المناطق الكثيرة الأمطار مثل سامسون⁸¹، وريزا⁸²، وأرتوين⁸³، وسفرانيو وبوجاك⁸⁴. في المناطق القريبة من البحر الأسود، كانت الأعمدة الخشبية مستخدمة في الغرف التي تحفظ فيها المحاصيل الزراعية. كان خشب الركائز من أشجار السنديان، المقاومة جيداً للماء، وكلما طال الزمان تصبح كالحجارة. تُروّس مجموعة من الألواح الخشبية لتُغرز في الأرض (زين العابدين، ص 135-137).

من ناحية أخرى، يرتبط استخدام مواد البناء بحسب توافره في كل منطقة؛ فمثلاً في المناطق الحرجية والقرى كانت البيوت تُبنى بالخشب، لكن في المدن يُستخدم الخشب باقتصادٍ شديد. كان تنوّع المواد في بيوت المدن أكبر، حتى أنهم في الجدران ذات الهيكل الخشبي، كانوا يستخدمون الحجارة والآجر لزيادة مقاومة الجدران. في صنع الهيكل الخشبي، توصل بالألواح العمودية في الجدران عدّة ألواح أخرى مصلّبة لتدعيم المبنى (م. ن، ص 143، 148-150؛ لمزيد من الاطلاع ← م. ن، ص 159-161، 178).

تدل الدراسات المتعلقة بالبيوت التركيّة على أساس الآثار الباقية من القرن الخامس حتى السابع الهجري في إسطنبول، وبورصة⁸⁵، وتكirdاغ⁸⁶، وغبزه⁸⁷، أنّ البيوت كانت في معظمها من طبقتين، داخلية الاتجاه، تُفتح على الفناء والحديقة. غرف الطبقة الأرضية، كانت بشكل أساسي للتخزين والخدمات، والحياة تجري في الطبقة التي تعلو الطبقة الأرضية (أورهان⁸⁸ وزملاؤه، ص 475). كانت معظم البيوت التركيّة، بشكل عام، مشتركة المخطّط، والخصائص، التي كان معمولاً بها في إسطنبول، ومن ثمّ شاعت في المناطق التركيّة الأخرى. تلت هذه البيوت مخطّطها شبيه بطريقة البناء في إيران. الطبقة الأولى تُبنى فوق هيكل خشبيّ خفيف، وجدران المنازل عالية للحفاظ على حرمتها. في وسط البيت، فناءً فيه حوض وبئر وحديقة صغيرة. من العناصر الأخرى في الطبقة الأرضية، المستودع والزريبة (د. أ. د التركيّة، ص 509) الجزء الرئيسي من المنزل هو الطبقة العليا، التي يتم الوصول إليها من الفناء بواسطة سلم خشبيّ. المدن التركيّة غير مبنية عادةً في أراضٍ مستوية، لكنّ الأرض تُسوّى من أجل البناء. كانت البيوت في أوّل الأمر من طبقة واحدة، وعلى مرّ الزمان أصبحت طبقتين، وتتضمّن جناحين رئيسيين:

⁸¹ - Samsun

⁸² - Riza

⁸³ - Artvin

⁸⁴ - Bucak

⁸⁵ - Bursa

⁸⁶ - Tekirdağ

⁸⁷ - Gebze

⁸⁸ - Orhun

جناح الاستقبال (سَلَامُكَ)، المخصّص للضيوف والاحتفالات، وجناح السكن (حَرَمُكَ)، لحياة العائلة الخاصّة (زين العابدين، مقدّمة أكمل الدين إحسان أوغلي، ص 11). في البيوت الكبيرة، هذان الجناحان واسعان جدًّا، كان السَلَامُكَ متصلاً بالفناء والحديقة، وفي إحدى زواياه، المطبخ، وغرفة الغسيل، والحمام، لكن في البيوت الصغيرة، كانت جميع هذه المرافق الخدماتيّة في المبنى الرئيسيّ (أونصال⁸⁹، ص 68). في البيوت ذات الطبقتين أيضًا، كان المطبخ والمستودع في الطبقة الأرضيّة، والطبقة العليا لمعيشة العائلة، وهي مشرفة على الفناء والشارع (غودوين⁹⁰، ص 17).

في بعض البيوت، هنالك فضاء اسمه جهان نما [واجهة العالم]، للاستخدام الصيفي، موجود في القصور والدور الارستقراطية، وأحيانًا في المنازل العاديّة، في أعلى نقاط المبنى، على شكل شرفة صغيرة (كوبان، ص 96، 97، الصورة). الباب الرئيسيّ للبيوت كبير، وهو المدخل الوحيد للبيت (زين العابدين، ص 111؛ المقدّمة نفسها، م. ن، ص. ن). أهم الأماكن في البيت الصّفّة والغرفة. كان القاشانيّ من زخارف البيوت التركيّة، يُنْبِث من الجهة الخلفيّة على الحائط بالمِلاط، وكان يُنفذ طيلة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريّين في البيوت والقصور، بواسطة المهرة في هذا الفنّ من المهاجرين الإيرانيّين. كانوا يرسمون على القاشانيّ أشكالاً متنوّعة هندسيّة ونباتيّة، بألوان مختلفة، وكان الرسم يتمّ أحيانًا تحت أو فوق مادّة خزفيّة شفافة، ولا يتضمّن صور أشخاص أو حيوانات. في القاشانيّ كان يُستخدم اللون الأزرق النيليّ، والأزرق السماويّ، والأخضر والأحمر (زين العابدين، ص 128). أبواب البيوت الخشبيّة، لا سيّما في الأقسام العليا من المنزل، كانت تُغطّى بالرسوم، وهذه سمة مشتركة بين الشعوب التركيّة.

بعد مجيء الأوروبيّين إلى إسطنبول، زُيّنت البيوت التركيّة بالألوان المتعدّدة. في القرن الحادي عشر الهجريّ، كانت تُستخدم الألوان الفاتحة المتنوّعة، لا سيّما الأحمر، والأصفر والأزرق والأبيض، وظلّ تلوين البيوت شائعًا، إلى أن بدأ استعمال المِلاط الإسمنتيّ كسوة. كانت المباني الكبرى في القرن الثالث عشر الهجريّ، تُزخرف بالألوان الزهريّ، والأحمر بأنواعه، والأخضر الزيتونيّ والأصفر، المقتبسة من فنّ الباروك⁹¹ في أوروبا الوسطى، وربّما يعود أصله إلى القرن الثاني عشر الهجريّ/الثامن عشر الميلاديّ. للرسوم ولتصميم واجهات المنازل جذور في ثقافة الأتراك الدينيّة والصوفيّة، من بين هذه الرسوم: رسم الطلاس، وقرون الوعول والغزلان، والعيون

⁸⁹ - Ünsal

⁹⁰ - Goodwin

⁹¹ - Baroque

الساحرة، والكتابات المتضمنة عبارات أدعية، وتاريخ البناء (كوبان، ص 186).



.D. Kuban, Istanbul 1995, P. 186

أنموذج من الرسوم وتاريخ البناء.

أنواع البيوت التركّية. 1) الخيمة الخاصّة بالبدو الرّحل، لا سيّما في النواحي الشماليّة من جبال طوروس، تتحصر إمكاناتها بحدود الحياة اليوميّة (زين العابدين، ص 79). تُحفظ فيها أدوات المعيشة، ولوازم المواشي، وفيها تُنتج النساء أنواع الحياكة التقليديّة، كالسجّاد وغيره. هنالك فسحة مشتركة بين الغرفة والخيمة هي فضاء دائريّ الشكل مخصّص للجلوس، ولوضع الأدوات المستخدمة كالصندوق مثلاً، لكنّ في الخيمة الموقد في الوسط، أمّا في الغرفة فهو في الجدار (م. ن، ص 36، 38، 45).

2) البيت المتحرّك، أو الصالح للانتقال يُشبه الخيمة، وهو حصيلة المرحلة الانتقاليّة من الخيمة إلى البيت التركيّ، وعناصره أيضًا يمكن حملها ونقلها، وهو مؤلّف من غرفتين في مواجهة الفناء (م. ن، ص 79). ترتبط حياة القرويين بالأرض. هذا النمط المعيشيّ يفرض أن تكون بيوتهم مقتصرة على الضرورات الأساسيّة، وهي بشكل عام من طبقة واحدة، تقتصر على غرفة واحدة أو اثنتين.

بيوت المدينة من طبقة واحدة أو عدّة طبقات، وعلى الرّغم من الدقّة في بنائها، لا تكلف فيها، تعكس إلى حدّ ما الخصوصيّات المناطقيّة (كوتشوك إرمان، ص 94).

تُبنى في تركيا أيضًا بيوت مختلفة عن البيوت الشائعة، أهمّها البيوت الكبيرة الفخمة، والدارات الصيفيّة، التي تُبنى في محوّطات مفتوحة وحدائق، وبمحاذاة الأنهار، والمناظر الخلّابة. لجميع هذه البيوت خصائص البيت التركيّ، باستثناء القصور التي فقدت سماتها التركّية، لتأثّر بالعِمارة الأجنبيّة (م. ن، ص 99).

عناصر المنازل التركّية. معظم مداخل المنازل التركّية، محوّطة محصورة، ذات كوى صغيرة، بُنيت على نمط مداخل القلاع (كوبان، ص 20). كانت أبواب البيوت التركّية كبيرة عادةً، ومن مصراعين، لتتمكّن الحيوانات من خلالها الدخول إلى الإسطبل والأماكن المخصّصة لها في الفناء، وأحيانًا كان يُصنع بابّ صغير في أحد المصراعين لدخول الأشخاص وخروجهم. كانت المصاريع تلك، تُصنع من الألواح الكبيرة الثقيلة الوزن، وتوصّل ببعضها

بمسامير حديدية ذات رؤوس مقببة، وهي ذات أقفال محكمة (م. ن، ص 162، 163 الصورة). من العناصر المشتركة في البيوت الأطر التي تحفّ بالجدران، والنافرة عنها. يُشكّل الإطاران العموديان المتّصلان بثلاثة أطر أفقية، الواجهة الخارجية لكل مصراع من مصراعي الباب (زين العابدين، ص 109-110، 111، الصورة؛ كوبان، ص 125، 162).

الفناء عنصر مهمّ من عناصر البيت التركيّ، وتاريخه يعود إلى أوائل تأسيس الدولة العثمانية. مما يؤسف له أنّ معطيات علم الآثار المتوافرة حول خصائص البيوت في القرون الأولى لاحتلال الأناضول والبلقان، قليلة جداً (كوبان، ص 47)، إنّما هنالك شواهد على وجود بيوت ذات أفنية، عائدة إلى القرن التاسع الهجريّ (← م. ن، ص 50). في بعض الصور، ومنها صورة من مخطوط ترجمة الشفائق النعمانية في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريّين، تُشاهد بيوت ذات أفنية، تعود إلى حوالى القرن الثاني عشر الهجريّ. في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريّين، كانت البيوت ذات الأفنية، المؤلفة من ثلاث غرف في الطبقة الأرضية، هي النموذج الأساسي للبيت، وأحياناً كان الفضاء أمام غرف الطبقة الثانية يُسمّى أيضاً الفناء (م. ن، ص 57-66، 138-142). كان الفناء مكان معظم أعمال النساء، وبُذلت جهود لتجميله بالنباتات المزروعة، وإقامة حوض فيه، فضلاً عن أنّه كان محور الاتصال بأجنحة البيت الأخرى (زين العابدين، ص 47؛ كوبان، ص 30، 144).

كان الإيوان من ضمن الأجنحة المرافقة للفناء والمتّصلة به، والإيوان لا يتّخذ الشكل المطلوب من دون الفناء، لأنّ الفناء تنمّة في الواقع لمحوطة الإيوان (كوبان، ص 145). لهذا السبب ربّما، شاع استخدام مصطلح جارداك (من جهاز طاق * الفارسية [العقود الأربعة])، وهو نوع من الأواوين المسقوفة، بدلاً من كلمة حياط الفارسية أو فناء العربية، في بعض النواحي من الدولة العثمانية، من العلانية/آلانيه حتى البلقان (م. ن، ص 137). في مدينة سَفرابلو⁹²، كان فناء الطبقة الأرضية يُسقف، ويُسمّى الصُفّة، ويجهّز بموقد للطبخ، وحوض صغير، وعلى حوافه أسيجة نافرة للغسل (م. ن، ص 134، 145، الصورة). بات الفناء في البيوت التركية، بشكل عامّ يصغر تدريجياً، وتحول إلى صُفّة (م. ن، ص 66).



.D. Kuban, Istanbul 1995, P. 146

الفسحة أمام الغرف (الفناء).

⁹²- Safranbolu.

كانت الصُّفَّة فسحة مشتركة بين الغرف. والغرف لم تكن عادةً متّصلة ببعضها، وكان مدخلها يُفتح على الصُّفَّة، التي تُستخدم حوافّها للجلوس (أورهان وزملاؤه، ص 475). كانت الصُّفوف ثلاثة أنواع: داخلية وخارجية ووسطى. الصُّفَّة الخارجية تُبنى من جهة الطول، في إحدى زوايا المنزل والغرف في مواجهتها. بُنيت أنواع مختلفة من هذه الصُّفوف في بيوت منطقتي بورصة وأدرنة. كانت الصُّفَّة الداخلية في وسط البيت، تقسمه إلى قسمين، والغرف أمامها ووراءها. أنواعها المختلفة شائعة في إسطنبول، وأماسيه، وسيواس، وتوقات، وأنطاليا. كان إيوان الصُّفوف أعلى منها مستوى، وموضعاً للجلوس (د. أ. د. التركيّة، مج 11، ص 510؛ كوبان، ص 146، صورة بيت أسمزلى). ابتداءً من القرن الثالث عشر الهجري وما تلاه، استُحدث في وسط الصُّفوف الداخلية، رُدهة تتوسّط البيت [أرض الدار]، معظمها في البيوت الفخمة والدارات الصيفية في إسطنبول (د. أ. د. التركيّة، م. ن، ص. ن). الصُّفَّة المركزية أو [أرض الدار]، على شكل الإيوان، تفصل الغرف عن الفسحة الخارجية، وتصل البيت بالحديقة، وعليها تُفتح الغرف، وفوق ذلك هي في معظم الأحيان موضع الاجتماعات والاحتفالات (زين العابدين، ص 62).

في البيوت التركيّة البدائية، يرتبط شكل الغرفة بوجهة استعمالها، لكن بعد ذلك كانت في معظم الأحيان نتيجة التفاعل بين وجهة الاستعمال، والمواد المتوافرة (كوتشوك إرمان، ص 67). كان التغيير الذي طرأ على البيوت التركيّة من الخيمة إلى ما بعدها، نتيجة لإيلاء الغرف وتعدادها أهميّة أكبر (زين العابدين، ص 63). كانت بعض الغرف دائمة الاستعمال، وبعضها الآخر يُستعمل في بعض الفصول. عادةً كانت تُبنى الغرف المفتوحة للفصول الحارّة، والمحصورة للفصول الباردة. من خصائص الغرف الباردة أو المفتوحة، أنّها تُبنى في المكان المناسب للاستفادة من النسيم، وظهرها للشمس، وتُستخدم في بنائها المواد الخفيفة للجدران والسقف والأرضيّة، ومساحتها واسعة، وهي شديدة الارتفاع، ونوافذها كبيرة، أمّا الغرف الدافئة أو المحصورة فمن خصائصها، أنّها في المكان المناسب، كي لا يدخلها الهواء البارد، موضعها في قلب المبنى، جدرانها عازلة سميكة، ونوافذها صغيرة، وبُنيته الداخلية بسيطة (كوتشوك إرمان، ص 39، 42). صارت غرف البيوت التركيّة ابتداءً من القرن الثاني عشر الهجري وما بعده مستقلة، وحُول الممرّ بين الغرفتين إلى واجهة مزخرفة (زين العابدين، ص 64). كانت الغرف الموضع الذي يتم فيه تناول الطعام، والنوم، والجلوس، والصلاة والدعاء، وكل الأعمال الفرديّة. كانت تبني أحياناً غرف خاصّة كالمصلّى، والمكتبة. وأحياناً كانت المشربيّة تحتل جزءاً من الغرفة (← تتمة المقالة) (كوبان، ص 67).

يُلاحظ في بُنية الغرفة أربعة أقسام، كالخيمة: الجزء الرئيسي للأعمال المختلفة، الناحية المحيطة به مخصّصة للجلوس، والجزء المحصور للصوان والصندوق والسرير، والمدفأة الجدارية (كوتشوك إرمان، ص 63، 65، الصورة 29). الغرفة الأكبر والأكثر زخرفة التي تُسمّى تالار [اللفظة فارسية بمعنى القاعة]، مخصّصة للاستقبال. غرف المرحلة الأحدث ذات ثلاثة مستويات مختلفة. ثلث الغرفة بمستوى أرضية الصُفّة، وفيه يقع مدخل الغرفة. القسم الثاني، أو فضاء الغرفة الأساسي، يرتفع من عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً، ويفصله سياج عن القسمين الآخرين. القسم الثالث صدر المجلس، يرتفع من عشرين إلى أربعين سنتيمتراً عن مستوى الجزء الرئيسي، مفروش بالسجاد ومجهّز بالوسائد، وهو موضع الجلوس (د. أ. د. التركية، م. ن، ص. ن؛ كوبان، ص 216، الصورة). الأرضية عادة مغطاة بالألواح الخشبية، وفوقها الحصير، وتُطلى بطبقة من الطين المصقول (كوتشوك إرمان، ص 139). أثاث الغرف الداخلي ثابت عادةً، وهذا هو الفرق الأساسي بين الغرف التركية والغرف الأوروبية (زين العابدين، ص 64).

الخزائن من العناصر البارزة في البيوت التركية، ووظيفتها الأساسية حفظ لوازم الحياة اليومية في الغرفة. تُصنع عادةً من الخشب، وتغطي الحائط بأكمله، متناسقة مع الباب والنافذة وسقف الغرفة. تملأ الخزائن والأصونة جزءاً من الحيز الفاصل بين الجدران. الغرفتان المتجاورتان تُبنيان بحيث يكون ظهراهما متلاصقين، ممّا يحجب مواد البناء. وفي داخلهما توضع الأصونة، والأبواب والنوافذ، في أكثر من جدار في الغرفة الواحدة، ومن دون جدار جانبي عادةً (كوتشوك إرمان، ص 180-181)، ولا تحتل أيّ حيز من فضاء الغرفة. يصل ارتفاع الخزائن ذات الأصونة، التي تُستخدم لعرض الأشياء القيّمة، أحياناً إلى سقف الغرفة، على العكس من خزائن الأدوات اليومية. توضع الخزائن أحياناً على نحوٍ يتيح تحريكها على محور واحد لعرض مزيد من الأشياء (زين العابدين، ص 116-118). من العناصر الخاصة بالغرف التركية، باستثناء الخزائن، الأماكن المخصّصة لتخزين الموادّ تُبنى بباب أو من دونه، في الجزء العلوي من الخزانة، بالقرب من سقف الغرفة، وتُسمّى المُسندرة. للوصول إلى المُسندرات يُستخدم السلم الموجود خارج الغرفة (← كوبان، ص 117، الخريطة 69، ص 118 الصورة).



.D. Kuban, Istanbul 1995, P. 118

المُسندرة

تختلف مقاييس الباب من غرفة إلى أخرى بحسب حجم الغرفة. زخارف باب الغرفة أكثر من زخارف باب المدخل (← كوبان، ص 126، الصورة). ما من باب مشترك بين الغرف، والأبواب عادةً تكون في زاوية الغرفة، كي لا يُرى داخل الغرفة من الخارج حين يُفتح الباب. الأبواب من حيث الشكل متناسقة والعناصر الخشبية الأخرى في الغرفة. كانت أبواب الغرف صغيرة عادةً، قليلة الارتفاع، ومن مصراع واحد، ومتوسط ارتفاعها التقريبي من متر ونصف إلى مترين. لكن منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري صار باب الغرفة من مصراعين، وأكثر ارتفاعاً. وباب القاعة هو الأكثر زخرفةً (زين العابدين، ص 109-110، 111، الصورة؛ كوبان، ص 125، 162).

كان سطح المنازل القديمة في بعض النواحي مثل أرضروم، مستويًا، وكان منحدرًا مسوقًا بالقرميد في بعض المناطق الكثيرة الأمطار مثل بورصة (← كوبان، ص 17، 55). من بين أنواع أسطح البيوت التركية، كان سطح بيوت حرّان حجريًا مقببًا (← م. ن، ص 18).

كان السقف في البيوت التركية عنصرًا فنيًا وزخرفيًا. يُعمل بوضع الألواح الخشبية بجانب بعضها، ثم يُغطى وجهها بالصحاف الخشبية، ثم تُطلى بطبقة من الطين، وأخيرًا يُغطى وجه الطبقة الطينية أيضًا بطبقة أخرى من الأجر والمِلاط الطيني. تحت السقف تُبنى أحيانًا أعمدة تيجانها خشبية. كان سقف الغرف مسطحًا، يُزخرف بأطر خشبية، وعناصر زخرفية مختلفة، يتألف من قسمين: القسم الرئيسي المقاوم المناسب ارتفاعه، وقسم آخر أدنى قليلًا من السقف الأول. كان يُضاف إلى زخرفة السقف أحيانًا الرسوم وأعمال التجصيص والحفر (زين العابدين، ص 73-74، 183-189؛ أيضًا ← كوبان، ص 21). كان السقف الداخلي يُزخرف بتصاميم هندسية، ونجوم خشبية ملونة وظريفة، توحى بمنظر السماء في الليل، ولا تزال نماذج منها باقية حتى الآن في أنقرة وبورصة وإسطنبول وسفرانبُلُو (أونسال، ص 98-99؛ أيضًا ← كوبان، ص 120).



.P. Kaban, Istanbul 1995, P. 18

بيوت حرّان ذات القباب الحجرية

جُعِلَت النوافذ في صفّي الغرف العلوي والسفلي. في الصفّ العلويّ النوافذ عادةً صغيرة وثابتة، ومزخرفة من الداخل بمشبّكات خشبية وزجاج ملوّن. منذ القرن الثاني عشر الهجري وما بعده، باتت هذه النوافذ أطول (زين

العابدين، ص 86-89). في الطبقة السفلى تصل مساحة النوافذ المواجهة للخارج وعددها إلى الحد الأدنى، تُتصب أمامها ستائر لولبية تدور حول نفسها وتتبسط لحجب رؤية الداخل من الخارج (كوتشوك إرمان، ص 104).



.P. Kaban, Istanbul 1995, P. 120

أنموذج زخارف سقف بيت في داتجا

المشربية، نوافذ متصلة ببعضها، ومفتوحة في قسم من الحائط، ونافرة إلى الخارج، وتشكل عنصراً مهماً من عناصر الغرفة، ومكاناً للجلوس، ولتمتع بالمناظر المحيطة. شاع إنشاء المشربيات منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري (للاطلاع على الأنموذج الجديد من المشربيات ← تيلر⁹³، ص 36، الصورة)، تُقام فوق ألواح خشبية حاملة، نافرة عن الحائط. لهذه الألواح أحياناً نوافر مدرجة لتستطيع تحمل الثقل الزائد. شاع إنشاء المشربيات في أنقرة، وجانكيري⁹⁴، وقسطموني⁹⁵ وأرضروم، وإسطنبول، وأماسيه، وسفرانبلو، وأفيون⁹⁶، وبورصة وإرمناك⁹⁷ (زين العابدين، ص 195).



.P. Kaban, Istanbul 1995, P. 115

أنموذج زخارف داخلية في أحد بيوت سفرانبلو

المدفأة الجدارية هي العنصر الوحيد النافر في وسط جدار الغرفة الشتوية، تُبنى مع مسحبة هواء، متناسقة والخزائن والسدير (مصطبة للجلوس تحف بجدران الغرفة). في البيوت الفخمة تحولت المدفأة الجدارية إلى عنصر زخرفي، تُبنى بمواد مختلفة، وشكلها مرتبط بوجهة استعمالها (كوتشوك إرمان، 178-179)؛ أيضاً ← كوبان، الصور ص 114، 127، 129). تُقام الخزائن على جانبي المدفأة الجدارية، تزيئها من الخارج زخارف خشبية وجصية. في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين كانت المدافئ مستعملة،

⁹³ - Taylor

⁹⁴ - Jankiri

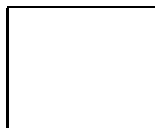
⁹⁵ - Kastamonu

⁹⁶ - Afyon

⁹⁷ - Ermenek

إنّما في القرن الثالث عشر الهجريّ، اعتُمدت المدافئ المنفصلة عن الجدران، الممكن حملها ونقلها (زين العابدين، ص 120، 123، 127).
في المناطق التركيّة النائية، لا يزال يوجد حتى الآن أكواخ قديمة صغيرة مهملة، إنّما في المدن، رُمّم عدد كبير من المنازل العثمانيّة، كأمكنة سياحيّة. أمّا الأبنية الجديدة فمعظمها بيوت في ضواحي المدن، وشقق سكنيّة في مبان من عدّة طبقات، الشائعة نماذجها في البلدان الأخرى. في الوقت عينه لا يزال نشاهد في بعض المدن كأنقرة بيوتًا طينيّة تحلّ حيّزًا صغيرًا من الشوارع الضيقة (إبوك، ص 9، 22، 94، 124).

سار غير المسلمين في إسطنبول، لا سيّما ابتداءً من القرن الثالث عشر الهجريّ وما تلاه، على خطى العثمانيّين، وأضافوا إلى نسيج المدينة متأثرين بالعمارة الأوروبيّة، البيوت المتلاصقة صفوفًا (كوبان، ص 193، 209)، والشقق السكنيّة، في مبان من طبقتين إلى أربع طبقات، صغيرة المساحة، قليلة عدد الغرف، وكذلك الزخارف الجديدة. الطبقات العليا والغرف في هذه البيوت نافرة باتجاه الشارع. هذه البيوت المتلاصقة صفوفًا المتأثرة بالعمارة الأوروبيّة، في واجهاتها الخارجيّة، ووحدة تصاميمها، يستخدمها التجّار وأصحاب الحرف النصاريّ. كانت المباني السكنيّة الكبيرة التي بُنيت في أواخر القرن الثالث عشر الهجريّ شبيهة بمباني العواصم الأوروبيّة (د. أ. د. التركيّة، مج 11، ص 512). استمرّ ازدهار بناء الشقق والمباني السكنيّة على النسق الأوروبيّ في العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجريّ، فعلى سبيل المثال بذل المعمارّيون ومنهم زكي سايار⁹⁸ جهودًا لافتة لترويج هذا النمط الآنف الذكر، وجعله ملائمًا للأوضاع المحليّة في المجتمع التركيّ ← باتور⁹⁹، ص 78-79، 83، 85).



.D. Kuban, Istanbul 1995, P. 209

المنازل المتلاصقة صفوفًا

المصادر والمراجع: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، علي منتصر كتّاني، بيروت 1395هـ/1975م؛ كريس إبوك، تركيّة، ترجمته بالفارسيّة مها خليلي، طهران 1384ش [2005م]؛ محمود زين العابدين، جولة تاريخيّة في عمارة البيت العربيّ والبيت التركيّ، الرياض 1419هـ/1998م؛ بهمن فيروزمندي، باستان شناسي وهنر آسيای صغير [آثار آسيا الصغرى وفنونها]، مج 1، طهران

⁹⁸ - Zeki Sayar

⁹⁹ - Batur

1378ش [1999م]؛ محمد شكر، سلجوقيان، شكست بيزانس در ملازگرد
وگسترش اسلام در أناضولي [السلاجقة، هزيمة بيزنطة في ملازگرد وانتشار
الإسلام في الأناضول]، ترجمه بالفارسيّة علي صالحی وعلي أرطغرل، قم
1385ش [2006م]؛

... أجنبی...

/غلامحسين معماريان وشهناز فرمانی/

القوقاز، تعود الأدلة الأولى على بناء البيوت في القوقاز إلى عصور ما
قبل التاريخ، وسكنى المغاور. كانت المغاور الطبيعية آزيخ¹⁰⁰ وتاغلار¹⁰¹،
وقوبوستان¹⁰²، وقازما¹⁰³ وآوي داغ¹⁰⁴، من المآوي الأولى التي لجأ إليها
الإنسان في القوقاز. بدأت، بعد ذلك، تدريجياً أولى مراحل بناء المساكن في
المناطق الجبلية، بعد أن أجريت تعديلات على المغاور كإقامة الجدران، وفتح
كوى لخروج الدخان (د. أ. ب. التركيّة، مج3، ص 567).

بنى سكان القوقاز تدريجياً بيوتهم خارج المغاور على النحو التالي: (1)
ال "كومه"، مأوى صغير مربع الزوايا وبسيط، من القصب وغصون الأشجار
وأوراقها، جدرانه عادة من اللبن أو الفروع الدقيقة المشبكة، والمطلية من
الداخل بالطين، وسطحه مغطى بالقصب وفروع الأشجار وأوراقها والأعشاب
اليابسة، استُخدمت ال "كومه" في ما بعد، وحتى مرحلة متأخرة لحفظ العلف،
وأحياناً لإيواء الخراف (م. ن، مج5، ص 454؛ للإطلاع على الطرق المختلفة
المعتمدة في بناء ال "الكومه" لدى الشاهسونيين ← إسماعيل بور، ص 267-
268).

(2) ال "ديه"، بالتركيّة بمعنى البيت، بدنته من الأغصان الدقيقة، تغرز
الأغصان من أحد طرفيها في التراب، وتشبك أطرافها الأخرى معاً، وتربط في
أكثر من موضع بالحبال، وتُغطى عادةً باللباد، وعلى أطرافها يُمدُّ نوعٌ من
الحُصُر يُسمّى تشتن¹⁰⁵، مصنوع من القصب؛ ويُحفر حولها خندق ضيق،
لتحويل المياه إلى الخارج، ومنعها من التسرب إلى داخل ال "ديه". لا يزال
بعض الرعاة والعشائر يستخدمون ال "ديه" حتى الآن في بعض النواحي (د. أ.
ب. التركيّة، مج3، ص 394).

(3) ال "داش قورا"، بيت مؤقت كان يُقام في المصيف. النصف السفلي
لهذا النوع من البيوت تحت الأرض، ونصفه العلوي يُبنى برصف الحجارة

¹⁰⁰ - Azix

¹⁰¹ - Tağlar

¹⁰² - Qobustan

¹⁰³ - Qazma

¹⁰⁴ - Aveydağ

¹⁰⁵ - Çatan

الصغيرة والكبيرة فوق بعضها، من دون استخدام الملاط. يُسقف بفروع الأشجار وأوراقها، وتُغطى أرضيته بالتراب المرصوص. يُجهز البيت بموقد في وسطه أو بجانب الحائط، وبكوة لخروج الدخان، ودخول الضوء. يصل ارتفاع ال "داش قورا" إلى المترين (م. ن، مج3، ص 348-349).

4) ال "قازما بوم كند"، قبو بسيط، له ماض يعود إلى العصر الحجري المتأخر¹⁰⁶، يُبنى هذا النوع من البيوت مربعًا أو دائريًا، بالألواح الخشبية. تُدعم جدرانه الداخلية عادةً بالخشب، أو الحجارة، أو غير ذلك من المواد. ومدخله مدرّج (م. ن، مج2، ص 581).

بعد العصر الحجري الجديد، ظهرت بيوت مبنية بالطين، أو الحصى، أو اللبن، جدرانها مُطَيَّنة من الداخل والخارج، مؤلفة من غرفة واحدة أو من غرفتين أحيانًا، مربعة الشكل أو دائرية، مجهزة بمواقد، ومستودعات للغلال، وبعضها يحتوي على أجزاء مخصصة لتخزين المون، وتربية الدجاج والمواشي. في الحقبة نفسها شاع بناء بيوت تُسمى "قرادام"، في أوساط الفلاحين والرعاة، وهي الشكل الأكثر اكتمالاً للمغاور المصطنعة، وللقباء المسماة قازما، وهي للعائلات الكبيرة. كان ال "قرادام" بحسب المكان الذي يُبنى فيه إما قبوًا، أو نصف قبو، أو فوق الأرض، وميزته أن سطحه مفروش بقطع خشبية صغيرة، فوق ألواح خشبية متينة، وشكله كظهر السمكة (← م. ن، مج3، ص 567؛ <دائرة معارف أذربيجان الوطنية>¹⁰⁷، مج1، ص 125). في هذا النوع من البيوت التي تُسمى في أرمينيا قلخاتون¹⁰⁸، وفي جورجيا داربازي¹⁰⁹، غرفتا الجلوس والعمل غرفة واحدة. حتى اليوم يُشاهد هذا النوع من البيوت في بعض الأماكن النائية من هاتين الجمهوريتين (د. أ. د. التركية، مج3، ص 186، 336).

كان هنالك بيوت تُسمى تشوفُستان¹¹⁰ أو تشافُستان¹¹¹، تُبنى بالمواد المحلية المحدودة، وفي المناطق الحارة الغنية بالقصب كشروان وقراباغ، تُبنى الجدران الجانبية بالأعمدة الخشبية والخيزران والقصب فوق القواعد، ثم تُطِين من الجهتين. يُسقف هذا البيت أيضًا بطبقتين من الألواح الخشبية تُرصَف فوق الأعمدة الجانبية والوسطى وفوق ألواح الدعم الموضوعة فوق العمودين العلويين، أمام البيت وخلفه، وبعد أن تُغطى بالقصب والأعشاب اليابسة، تُطَيَّن. ظل البيت المسمى تشوفُستان مستخدمًا حتى العقود الأولى من القرن الرابع

¹⁰⁶ - Paleolithic

¹⁰⁷ - Äzərbaycan milli ensiklopediyası

¹⁰⁸ - Qlkhatun

¹⁰⁹ - Darbazi

¹¹⁰ - Çovustan

¹¹¹ - Chavistan

عشر الهجريّ/العشرين الميلاديّ (← مصطفى ييف¹¹²، ص 33؛ د. أ. د. التركيّة، مج10، ص 371).



Āzarbāyjān milli ensiklopediyasi, baku 2007, P. 124

تشافستان/تشوفستان

كان البيت المسمّى كرثمه¹¹³، أكثر ما يُبنى في قرى النواحي الغنيّة بالقصب، من سلسلة جبال القوقاز الصغرى، شكّي¹¹⁴، وزاقاتالا¹¹⁵، وقوبه¹¹⁶، وخاتشماز¹¹⁷، والجزء الجبليّ من شروان وطالش، ويُستخدم في بنائه الخشب أكثر من سائر الموادّ، وفي القرون الوسطى، كان شائعاً في عددٍ كبير من المناطق القرويّة في روسيا. هذا النوع من البيوت كان مؤلفاً من غرفة واحدة أو من غرفتين، ونادراً ما كان من طبقتين. كانت سقوف البيوت الكبيرة من أربع طيّات، وللوصل بينها، بدلاً من استخدام المسامير الحديدية، توصل رؤوس الألواح بالمغاليق والمسدّات الخشبيّة. يُغطى السقف بحُصُر القصب والقرميد. هذا النوع من البيوت انقرض تدريجياً منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجريّ (← دائرة معارف أذربيجان الوطنيّة<، مج1، ص 125-126؛ د. أ. د. التركيّة، مج5، ص 357).

تُقسم البيوت القوقازيّة في القرن الثالث عشر الهجريّ، من حيث النمط المعيشيّ إلى نوعين: البيوت الدائمة والثابتة، يسكنها الحضر المستقرون في مكان واحد، والبيوت المؤقتة والمتنقلة العائدة إلى القبائل والعشائر (← مصطفى ييف¹¹⁸، ص 31). تُسمّى هذه البيوت المؤقتة تبعاً للنقاط المختلفة من هذه المنطقة: ألاجيق، جوما¹¹⁹، ديه، موخور¹²⁰، قراجه¹²¹، ودونوكلويف¹²²، وغير ذلك (← م. ن، ص 32؛ خليلوف¹²³، ص 87؛ دائرة معارف أذربيجان الوطنيّة<، مج1، ص 126). البيت المسمّى ديه أصغر من ألاجيق، وأقل صموداً، ويُسمّى ألاجيق الصغير. في المقابل ألاجيق هو بيت الأغنياء. كان

¹¹² - Mustāfāyev

¹¹³ - Kartma

¹¹⁴ - Shakki

¹¹⁵ - Zaqatala

¹¹⁶ - Guba

¹¹⁷ - Xaçmaz

¹¹⁸ - Mustāfāyev

¹¹⁹ - Coma

¹²⁰ - Muxur

¹²¹ - Karakeça

¹²² - Dunnuklu ev

¹²³ - Khalilov

في داخل هذه البيوت حيزٌ مستقلٌ يُسمّى نَمِي¹²⁴ أو بوجاق¹²⁵، مخصّص للمواشي والبهائم (دائرة معارف أذربيجان الوطنية)، م. ن، ص. ن؛ خليلوف، ص 86).

في قراباغ عُرِفَ نوعان رئيسيان من الألاجيق: القراكجه والموخور. معنى لفظة قراكجه، اللباد الأسود أو البيت الأسود، أو البيت الكبير. وبما أنّ لون اللباد يسودّ على مرّ الزمان من الدخان المتصاعد من الموقد داخل الألاجيق يسمّونه قراكجه. كان القراكجه نوعاً من الألاجيق، يُبنى بثلاثين - أربعين جوبوقاً (جذع كبير أو عمود خاصّ منحني)، وكان حجمه متناسباً ووضع العائلة الاقتصاديّ. تُقاس أوّلاً مساحة المكان الذي سيُقام فيه الألاجيق، وتُنبت الأعمدة الخشبيّة [الجوبوق] متقابلةً على الأرض، وتوصل رؤوسها من الأعلى ببعضها، ولتنشيتها تُربط معاً في عدّة نقاط بحبال عريضة خاصّة تُسمّى أوركن¹²⁶. بعد ذلك يُمدّ الخيش حول الألاجيق في الأسفل من الخارج، ثمّ يُربط بالجوبوقات [الأعمدة]. وفي آخر المطاف يُغطى الألاجيق باللباد، ويُزيّن داخله وساكف بابه بشراريب متعدّدة الألوان (← م. ن، ص 87-89).

الموخور أكمل أنواع الألاجيق. من أقسامه الجنبرة أو الحلقة الدائريّة التي يبلغ قطرها حوالي المتر، محاطة بحلقات حديديّة توضع فيها رؤوس الجوبوقات [الأعمدة]. في وسط الجنبرة فجوة تُدخّل فيها رؤوس الأعمدة؛ وفي حين أنّ ارتفاع الأعمدة المحنيّة يصل إلى حوالي 4.5م، لا يتجاوز ارتفاع الألاجيق نفسه أكثر من ثلاثة أمتار. قيل أنّ الموخور دخل قراباغ من أذربيجان الإيرانيّة. الموخور في معظم الأحيان هو بيت الأغنياء، ومخصّص للسكن، تُزيّن أرضيته وجدرانه بالبُسْط، في حين أنّ القراكجه مسكن العائلات المتوسطة الدخل والفقيرة، وكان يُستخدم فضلاً عن السكن للعمل أيضاً (← م. ن، ص 89-91؛ إسماعيل بور، ص 264-266). الألاجيق الذي كانت إقامته متداولة في بعض المواضيع مثل أوبه، وشنليك، وبينه، وقشلاق، ويلاق، ويورد، كان وسيلة الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة الاستقرار في مكان واحد، والمساكن الدائمة (القرى). ووجود ألفاظ مثل أوبه [خيمة التركمان] وبينه [مكان فوق الحمّام لوضع الثياب]، ويلاق [المصيف] وقشلاق [المشتى] أسماء لبعض القرى القوقازيّة، دليل على مثل هذا التغيير والتطوّر (دائرة معارف أذربيجان الوطنية)، مج 1، ص 121-122).

تُقسم البيوت الدائمة بشكل عام إلى نوعين: البيوت القرويّة وبيوت المدن. تُبنى البيوت القرويّة بحسب تقاليد البناء المحليّة وبالمواد المحليّة المتوافرة، مع الأخذ في الاعتبار متطلبات الحياة الزراعيّة والرعيّة، والإمكانات الماليّة

¹²⁴ - nami

¹²⁵ - bucaq

¹²⁶ - Örkan

والمعيشية للعائلة. فعلى سبيل المثال، بيوت المناطق الجبلية، ذات السقف المستوي غالباً، والجدران المبنية بالحجارة تُسمّى داخل. وبيوت منطقة مغان تُسمّى سلياني¹²⁷، وبيوت منطقة شروان تُسمّى شرواني. أسطح هذين النوعين الأخيرين من البيوت كظهر السمكة (← م. ن، مج1، ص 125؛ مصطفى ييف، ص 34). بمرور الزمن، لا سيّما في القرن الثالث عشر الهجري، باتت البيوت تُبنى من غرفة واحدة أو عدّة غرف، ومن طبقة واحدة أو طبقتين. الطبقة الأولى مخصصة عادةً للعمل والثانية للجلوس. في بعض القرى تُشاهد، وإنّما نادراً، بيوت أرستقراطية شبيهة بالقصور من طبقتين وغرف عديدة، وصُفّة، ومزججة بالمرايا (دائرة معارف أذربيجان الوطنية، مج1، ص 126).

في القوقاز، في القرون الهجرية الأولى، كأكثر المدن الإسلامية كانت واجهات المنازل مقابل الشارع موحدة النمط. في العصور اللاحقة حصل تقدّم في مجال بناء البيوت، وبُنيت تالياً بيوت ذات نوافذ، من طبقتين أو ثلاث طبقات، ذات صُفّة، والعديد من الغرف، المبنية جدرانها باللّبن والآجر، أو الحجارة المقصوبة، أو الحصى. كانت عادةً تتألّف من علّية وغرفة جلوس ومطبخ، ومستودع، وتّنور، وزريرة وغير ذلك. في معظم البيوت كانت غرف العمل تُبنى منفصلة عن المبنى السكني. على العكس من بيوت معظم الأهالي الضيقة والمعتمّة، والتي تفتقد أدنى مقوّمات الرفاهية، كانت تجهيزات هذه البيوت المعروفة باسم: البيت المنور¹²⁸، والغرفة البيضاء¹²⁹، والبيت الطنّبي¹³⁰ [البيت، القاعة]، والبيت المزجج بالمرايا¹³¹، والعمارة، والملكية، والملك، والقصر، التي هي بالتأكيد بيوت الأثرياء، منظمة بذوق رفيع. كانت الرفوف والطبقان والأصونة والخزائن والأسرّة، والمدافئ الجدارية أجزاء لا تتجزأ من عناصر هذه البيوت (دائرة معارف أذربيجان الوطنية، مج1، ص 126-127؛ د. أ. د. التركية، مج3، ص 567؛ البيت، في تركيا). كان يوجد في هذه الحقة قصور وبيوت أرستقراطية فخمة في بعض المناطق القوقازية. من بينها قصرُ بناء خان جوانشير وقصر خورشيد بانوناتوان* في قراباغ، وقصر خان شكي في شكي. عُدت الرسوم فوق جدران القصر الأخير، من أحسن نماذج الرسوم الجدارية في عصر خوانين القوقاز (← د. أ. د. التركية، م. ن، ص. ن؛ إسماعيل وباقروا¹³²، ص 72). وبما أنّ بيوت المدن القوقازية في الحقة الإسلامية، كانت عادةً تُبنى من دون مخطط، منسجمة ونسيج المدينة، داخل

¹²⁷ - Salyani

¹²⁸ - İşqlı ev

¹²⁹ - Ağ otaq

¹³⁰ - Tanabi ev

¹³¹ - Aynabandlı ev

¹³² - Bāghirovā

أسوار عالية، فإنَّ الأزقة كانت متعرّجة، غيرَ مستقيمة (إسماعيل وباقروا، ص 71؛ باباييف¹³³، وأحمدوف¹³⁴، ص 44).



.Azarbayjan milli ensiklopediyasi, baku, P. 127

أنموذج من البيوت المشهورة باسم العِمارة

بعد سيطرة روسيا على القوقاز في العقود الأولى من القرن الثالث عشر الهجري، وتنامي القدرات الاقتصادية والتقنية في النصف الثاني من القرن نفسه، لا سيّما عوائد استغلال آبار النفط في باكو، وإيصال خط السكة الحديدي الذي يخترق روسيا بأكملها إلى باكو، ظهرت أنواع جديدة من البيوت، من طبقة إلى سبع طبقات، ملائمة لظروف المدن، والمتطلبات المعيشية للسكان، وجرى الاهتمام على نحو خاصّ بزخرفة الواجهات الخارجية للمباني، بإضافة الأواوين والسلالم المزدوجة، والشرفات المطلة على الشارع، وغير ذلك. السمة الأساسية لمثل هذه البيوت هي: زيادة العناصر ذات المنفعة الاقتصادية، وتطور أعمال البناء، وتحديث الأصول والقواعد المعمارية. كانت الأنواع المختلفة من هذه البيوت، بما فيها المؤلفة من غرفة واحدة أو عدة غرف، وذات الصّفف، والطبقتين، والأسيجة، منتشرة في مختلف المدن: باكو وشكي، وغنجه، ونخجوان، وشمأخي، وشوسي (د. أ. د. التركية، مج3، ص 567-568؛ <دائرة معارف أذربيجان الوطنية>، م. ن، ص. ن). من المؤكّد، أنّه إلى جانب هذه البيوت الجديدة المتضمّنة وسائل الراحة، كانت معظم بيوت المدن في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين أكوأخًا وخصاصًا، أي بيوتًا فقيرة بشكل عام. قدّم الذين زاروا باكو في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري معلومات مؤثرة عن الخرائب التي يسكنها عمال النفط (على سبيل الأنموذج ← إسماعيل بور، ص 259-260؛ مديرية أمن باغميشه؛ مجلة أنجمن [المنظمة]، السنة 1، العدد 46، 6 محرم 1325 هـ [1907م]، ص 1، 4).



(www. Archnet. Org (04, Jul. 2010

¹³³ - Bābāyev

¹³⁴ - Ahmadov

شرفة خشبية في أحد البيوت في مدينة باكو القديمة، القرن الثالث عشر الهجري.

في حقبة الحكم السوفياتي، نُفذ برنامج بناء المجمعات السكنية، وقرى العمال والموظفين في المدن وضواحيها، وكذلك المجمعات السكنية لعمال الكولخوز¹³⁵ [المزرعة التعاونية] والسوفكوز¹³⁶ [المزرعة الحكومية النموذجية]، تحت شعار تأمين المسكن للكادحين (← ولى ييف¹³⁷ وآقا أوغلو¹³⁸ ص 67-68؛ <"منعطف نوعي في تقدّم أذربيجان">¹³⁹، ص 224-225؛ موسايف¹⁴⁰، 2000م، ص 248-249، نفسه، 2000م^{الف}، ص 364-367؛ د. أ. د. التركية، مج3، ص 568؛ دائرة معارف أذربيجان الوطنية>، مج1، ص 123). السمة الأساسية لهذا النوع من البيوت- الشقق الإسمنتية، صغر الوحدات، وتشابهها، من حيث الحسنات والسيئات.

المصادر والمراجع: جمشيد إسماعيل بور، عشائر أذربايجان وإيلات مغان [عشائر أذربيجان، وقبائل مغان]، تبريز 1377ش [1998م]؛ شرف الدولة: 1323-1327هـ. ق، ط. يحيى نكاء، طهران 1377ش [1998م]؛
أجنبي...

/رحيم رئيس نيا/

2) آسيا الوسطى والصين. يعود تاريخ الاستيطان في آسيا الوسطى، التي تضم طاجيكستان وأوزبكستان، وتركمانستان، وقرقيزستان وقزاقستان إلى ما قبل التاريخ. اكتُشفت في مغارة أغزي- كيشيك¹⁴¹ في طاجيكستان في العام 1398هـ/1979م بعض الآثار كمواقد الطبخ، تدلّ على أنها كانت مسكونة في العصر الحجري القديم (التشين¹⁴²، ص 86). المغاور المسكونة في ذلك العصر كانت مغطاة بالرسوم (درفيانكو¹⁴³ و لودزونه¹⁴⁴، ص 108) من العصر الحجري المتأخر. في تلة جيتون¹⁴⁵ في شماليّ عشق آباد، توجد آثار بيوت مستطيلة الشكل، ذات مدفأة جدارية وأرضية مبلّطة بالجص. استمرّ بناء هذه البيوت، المبنية جدرانها بقطع طينية أسطوانية الشكل، ومن ثم لبّات مستطيلة،

¹³⁵ - Kolkoz

¹³⁶ - Sovkhoz

¹³⁷ - Valiyev

¹³⁸ - Āghāoghlu

¹³⁹ - "Āzabāyjānin inkishāfindā dönüş marhalasi"

¹⁴⁰ - Musāyevā

¹⁴¹ - Ogzy-Kichik

¹⁴² - Allchin

¹⁴³ - Derevyanko

¹⁴⁴ - Lü zun-E

¹⁴⁵ - Jeitun

حتى العصر النحاسي (ساريانيدي¹⁴⁶، ص 116). هذه البيوت صغيرة تتألف من غرفة واحدة، مساحتها عشرون متراً مربعاً (بلنيتسكي¹⁴⁷، ص 65). في العصر البرونزي، كان الأهالي في بعض مناطق آسيا الوسطى يسكنون بيوتاً مدوّرة مبنية باللبن، وفي تركمانستان أيضاً عُثِرَ على بيوت كبيرة تتألف من اثنتي عشرة إلى خمس عشرة غرفة، تعود إلى عدّة عوائل من الأقارب (ماسون¹⁴⁸، ص 231، 248). عُثِرَ كذلك في طاجيكستان على بيوت تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ببيضاوية الشكل، ذات زخارف حجرية، بنوا بعد ذلك بيوتاً بالطين والتراب الأصفر والأحمر والرمادي. كان الطين المخلوط عادةً باللبن والشوك والعشب اليابس يُستخدم في تطيين الجدران، أو قوالب لبن مربعة يُبنى بها المنزل ("مسيرة العمارة في طاجيكستان"، ص 77). في العصر البرونزي كان سكّان قزاقستان يعيشون في المغاور والكهوف والأكواخ، وأنواع المأوى البسيطة (فرامكين¹⁴⁹، ص 26). عُثِرَ في طاجيكستان في موضع قلعة المير، على بقايا بيت يعود إلى القرن السابع أو القرن السادس قبل الميلاد (م. ن، ص 67). تدلّ التنقيبات الأثرية في مرو وبخارى وخوارزم أيضاً على وجود قرى مكتظة بالسكّان في النصف الأوّل من الألف الأوّل قبل الميلاد (فراي¹⁵⁰، ص 40). في العصر الحجري المتأخّر كان في خوارزم، أكواخ واسعة تصل مساحتها إلى ما يقارب ثلاثمائة متر مربع، تسكنها مجموعات عائلية كبيرة مؤلفة من مائة شخص (بلنيتسكي، ص 72). في العصر نفسه، في آسيا الوسطى كانت بيوت اليونانيين الذين يسكنون هذه المنطقة ذات فناء مركزي، تُبنى حوله عناصر المنزل الأخرى كالمطبخ والحمام. حلّ هذا الأسلوب محلّ أسلوب آخر، كان فيه موضع الفناء الخارجي أمام البيت. يُحيط بغرفة الجلوس في هذه البيوت ممرّ ذا عقدٍ حدويّ (برنار¹⁵¹، ص 113-114). في القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، كان البنّاءون في آسيا الوسطى يبنون فوق البيوت الثابتة والمباني الحكوميّة عقوداً مختلفة المقاييس ("مسيرة العمارة في طاجيكستان"، ص 78).

في عمارة آسيا الوسطى قبل الإسلام، كانت تُستخدم قطع الحجارة في هيكل البناء. والجدران والأعمدة والطبقان باللبن، والسقف وبعض الدعامات بالقطع الخشبية الكبيرة. كان مخطّط بيوت الأثرياء مستطيلاً، لا سيّما في قرى طاجيكستان الحالية، تُحيط غرف صغيرة بالفناء، والذي يتوسّطه حوض ماء. تُكسى الجدران عادةً بالجصّ، وتغطّي الرسوم معظمها. كانت معظم الرسوم ذات طابع ديني، أو أسطوري، أو غير ديني. تأثرت العمارة القديمة في آسيا

¹⁴⁶ - sarianidi

¹⁴⁷ - Alexandr Markovich Belenitskii

¹⁴⁸ - Masson

¹⁴⁹ - Frumkin

¹⁵⁰ - Frye

¹⁵¹ - Bernard

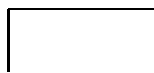
الوسطى بالعمارتين الإيرانية واليونانية (آبازوف¹⁵²، ص 192-193). يقول كلاويخو¹⁵³ (ص 238-239، 242)، إنه فضلاً عن استخدام البيوت الدائمة ذات المواد المقاومة، كانت تُستخدم الخيام الفخمة للسكن المؤقت، لا سيما في أثناء إقامة الاحتفالات والضيافة. كانت الخيام مربعة الشكل، سقوفها مقببة عادةً، تُنصب فوق ألواح خشبية، ويُقسّم داخلها إلى أقسام عديدة. تُصنع من مواد مرتفعة الأسعار كالأقمشة المخملية والحريّة ذات الرسوم، حتى أنّ جدرانها تُجهّز بالنوافذ.



ح. بولدشيف، طهران 2005م، ص 152، 162.

زخارف سقف بيت في كل من أوراتبه ولينين آباد.

البيوت التقليدية في آسيا الوسطى ذات سقوف مستوية، وزخارف قليلة في الواجهة الخارجية، وأبواب مطعّمة، والجدران الداخلية للغرف وللرواق المحيط بالفناء مجصّصة، ولا نوافذ فيها. بُنيت الغرف في هذه البيوت محيطة بالفناء الداخلي، جدرانها من اللبن، مرتفعة، ولها مدخل مشترك. حتى أواسط القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلاديّ كان يعيش في هذه البيوت من ثلاثة إلى أربعة أجيال. علماً أنّه في معظم الأحيان كانت تُبنى إلى جانب هذه المنازل وخلفها، منازل أخرى لسائر أفراد العائلات الممتدة. كان هذا النمط شائعاً في عدد كبير من مدن النواحي كخوقند، وخجند، وأش/أتش، وبخارى وسمرقند، ولا يزال معتمداً حتى الآن في الأحياء القديمة من المدن والقرى في الأقسام الجنوبية من آسيا الوسطى (آبازوف، ص 203). كانت البيوت التقليدية تُقسم إلى جناح للنساء وآخر للرجال، ولا يزال هذا التقليد سائداً حتى الآن في بعض مناطق طاجيكستان وأوزبكستان. كان يوجد كذلك قسمٌ مشترك، يلتقي فيه أفراد العائلة، ببعضهم أو بالضيوف. كان الأغنياء أيضاً يُعدّون لكل واحدة من النساء غرفةً مستقلّة (م. ن، ص 204). جدران هذه البيوت مرتفعة عادةً، وفي بعض المناطق كأوزبكستان كانت ذات أفاريز، ومن دون نوافذ، وأبوابها كبيرة من الخشب المطعّم (← موزر¹⁵⁴، ص 179).



¹⁵² - Abazov

¹⁵³ - Ruy Gonzalez de Clavijo

¹⁵⁴ - Henri Moser

زحارف اليورت الداخلية

في عِمارة آسيا الوسطى، كان الخشب يُستخدم في السقوف بأسلوب التعشيق، من دون استخدام المسامير، من خلال تداخل القطع الخشبيّة الأنثى والذكر. في طاجيكستان، لا سيّما في بنجيكت، تُعمل أعمدة المنازل والمساجد من الخشب، لا سيّما الألواح الروسيّة الكبيرة (ستوده، مج2، ص 36) لعمل السقف يقوم النجارون قبل كل شيء بوصل الأجزاء الخشبيّة كلّها على أساس مخطّط الغرفة أو المبنى كلّ، وينصبونها منفصلة عن سائر الأقسام. ومن ثمّ يضعون فوق الهيكل الخشبيّ للسقف الألواح الخشبيّة المسطّحة (وسّه)، وفوقها الحصير والقصب، وعلى هذا النحو يتمّ إنجاز سطح المنزل. يُكسى الفراغ بين الجدران والألواح الأساسيّة بالآجر أو بالألواح لها العرض نفسه، مما يؤدّي إلى إيجاد خط أفقيّ شامل (عرق) (يولداشيف¹⁵⁵، ص 17-18). في البيوت القرويّة في طاجيكستان، تُحفر داخل كل سقف فجوات، تشكّل من الخارج القباب التي تعلو الأسطح. من الشائع في البيوت الكثيرة عدد السكّان، السقوف المدرّجة. وعلى هذا النحو، توضع الألواح الخشبيّة فوق بعضها، فيرتفع السقف، وتاليًا يصمد أمام الحرائق المحتملّة، كما أنّ ذلك يسهّل خروج الدخان من خلال السقف. لكن منذ العام 1363هـ/1945م، بعد استخدام وسائل التدفئة، انتفت الحاجة إلى النار، وتاليًا إيجاد السقف المقبّب، وأصبحت السقوف مستوية، ولا يُنفذ السقف المقبّب إلّا في بناء الغرف الكبيرة (م. ن، ص 13).

في آسيا الوسطى تُستخدم في معظم الأحيان مواد البناء المحليّة، كاللّبن أو الخشب الذي يُستعمل أطرًا للجدران، ومن ثمّ يُغطّى بالحصّ (آبازوف، ص 192-193، 203). كانت البيوت في أوزبكستان بشكل خاصّ تُبنى باللّبن غير المشوي، من طبقة واحدة، وفي الجزء المواجه للزقاق منها عادةً موضع المستودعات والاصطبل، والمرافق الخدمائيّة. كانت جدران منازل الأثرياء تغطّى عادةً من الخارج والداخل بطبقة كلسيّة بيضاء، وتُزيّن بالرسوم، وفي إحدى جهات العُرف تُنفذ نافذة أرسيّة [مزججة] (باشينو¹⁵⁶، ص 136). في بيوت طشقند يقع على التوالي، المدخل، الردهة المثمّنة الأضلاع، الرواق الطويل الذي ينتهي بغرفة كبيرة، ومن ثمّ الفناء، الذي تقع أجزاء البيت الأخرى في أضلاعه (م. ن، ص 174-175). هذه المنازل كانت شائعة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريّين/الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديّين، من

¹⁵⁵ - Khikmat Abdullaevich Iuldashev

¹⁵⁶ - Peter Ivanovich Pashino

طبقتين عادةً، ومن عدّة غرف وإيوان في الطبقة الثانية، وأشجار الكرمة المزروعة في الأفنية تُستخدم ظلّاً؛ والأعمدة الخشبيّة مزخرفة بالحفر والتخريم بمهارة، وكانت تُنفَّذ تصاميم داخلية للبيت، كتفاوت ارتفاع الأرضيّات، وخارجيّة كالسطوح النافرة. تُبنى في قبو البيت غرف صيفيّة (هردغ¹⁵⁷، ص 62-63). في بعض قرى بخارى، توجد بيوت تُسمّى "بخسه" جدرانها طينيّة غير ممسّدة، وسطوحها طينيّة (ستوده، مج2، ص 15؛ أيضًا ← البيت في أفغانستان).

كانت بيوت الشعوب البدويّة الرحالة في آسيا الوسطى، منذ القَدَم مساكن تُسمّى "يورت"، يستخدمونها بشكل خاصّ منذ أوائل الربيع حتى أواخر الخريف. ويعيش هؤلاء في فصل الشتاء في مساكن مؤقتة شديدة البساطة، نوافذها صغيرة، وفيها موقدٌ من دون مدخنة (آبازوف، ص 204). اليورت بيت يمكن حمله، مستدير الشكل، مقفل، وسقفه مُقَبَّب. بنيته هذه تمنحه صلابة شديدة، وتؤدي إلى تحرك الرياح من حوله. في الشتاء، يُدْفَأ الداخل من خلال تنخين الجدران، بتغطيتها باللّبَاد الصوفيّ، وفي الصيف يُبرّد بجمع اللّبَاد، وتخفيف الكسوة. يستغرق جمع اليورت أو نصبه أقلّ من ساعة، وتُحمَل أدواته عادةً على جملين. خيام اليورت هذه مزوّدّة في هذا العصر، عادةً، بوسائل التدفئة، والكهرباء، وبالأرضيّات الخشبيّة، وهي شائعة في منطقة تمتدّ من سواحل بحر الخزر في جنوبيّ روسيا، إلى جميع أنحاء منغوليا وسيبيريا. وتُقسم بشكل عام إلى نوعين: المغوليّ والتركيّ. يستخدم اليورت التركيّ، الذي تشكّل الألواح الخشبيّة المحنيّة قُبَّتَه، الناطقون بالتركيّة في الغرب: القرقيزيّون، والقوزاق، والأوزبك والتركمان. اليورت واللّبَاد من ابتكار شعوب آسيا الوسطى (فيغره¹⁵⁸، ص 50-51). يصل عدد طبقات اللّبَاد فوق اليورت أحياناً في الأيام الباردة إلى ثمان. يُطلَى الوجه الخارجيّ للجدران اللّبَاديّة أحياناً بالزيت، للحؤول دون تسرّب الرطوبة والمطر. لكلّ شخص ولكلّ شيء في اليورت مكانٌ خاصّ. فمثلاً، مواضع جلوس النساء، والرجال، والأطفال، ومواضع الاستقبال والولائم، والمرافق الخدميّة، ومواضع الحقائق والصناديق، كلّها محدّدة (م. ن، ص 51). الخيمة أنموذج آخر من البيوت المؤقتة، لا سيّما لدى التركمان (تعريف الجمهوريّة المستقلّة في آسيا الوسطى والقوقاز، ص 58). شهدت تركمانستان حتى القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ، توطيناً دائماً لكمّ هائل من الجماعات المهاجرة (سارلي، ص 61).

إنّ زخارف البيت، التي تتضمّن في معظمها زخرفة الغرفة من الداخل، وتلوين السقف، من الفنون القديمة في آسيا الوسطى. ألواح الكتابة، أي كتابة

¹⁵⁷ - Klaus Herdeg

¹⁵⁸ - Faegre

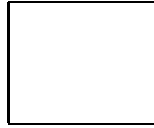
معلومات فوق ألواح السقف المستوية، من الميزات الزخرفية لبيوت آسيا الوسطى، لا سيما طاجيكستان، بحيث أنّ النجارين والجيران يكتب كل منهم شيئاً فوق الألواح كذكرى (ستوده، مج2، ص 92-93). الكسوة الخارجية للبيوت الطاجيكية رمادية اللون عادةً، والواجهة الداخلية للجدران من لون واحد. الطيقان بشكل عام مجصصة، ومعظم زخارف البيت متركزة في السقف، المغطى بألواح مسطحة طول كل منها من ثلاثة إلى أربعة أمتار. توضع بين هذه الألواح المسطحة قطع خشبية مستديرة (وسه)، طول كل منها حوالي سبعين سنتيمتراً بجانب بعضها. مقاييس الغرفة أيضاً مرتبطة بهذه الألواح. يبلغ عدد الألواح المستخدمة عادةً خمسة أو سبعة أو تسعة، وأحياناً -إنما نادراً- يصل من أحد عشر لوحاً إلى ثلاثة عشر. في المساحات الفارغة بين الجدران والألواح، تُدخل ألواح قليلة العرض (فرومان) بطول الألواح الأساسية (يولداشيف، ص 14). الرسوم والنقوش في العمارة الطاجيكية، تتضمن الإسلامي [فن زخرفي مؤلف من تعرجات وانحناءات عديدة شبيهة بعناصر الطبيعة]، والعقد، أو التوليف بين الشكليات. عادةً يرسم على الألواح الرئيسية وبقيّة الألواح بلونين أو ثلاثة ألوان. أحياناً، تُزخرف العناصر المكونة للسقف بالحفر والتثبيت (م. ن، ص 14، 16-17).

كانت العمارة في آسيا الوسطى في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وأوائل القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، خليط من العمارة الشرق أوسطية، وعمارة جنوبي آسيا، وإلى حد ما الصين. منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي أضيف إلى أثاث البيوت، بعض التجهيزات الأوروبية الطراز، كالأسرّة، والطاولات، والكراسي والبيانو.

تغيّر فنّ العمارة في آسيا الوسطى في القرن العشرين. فقد بنى الروس في هذا القرن بعض المدن والمناطق كفرغانة، وكراسنوفودسك¹⁵⁹ (تركمانباشي)، وبيشكك، وآلماتا، في سنوات الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، على النمط الأوروبي، وزالت البيوت القديمة من الوجود، وظهرت الشقق الحديثة (آبازوف، ص 192، 204، 207). في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين شجعت الحكومات في آسيا الوسطى بناء البيوت الصغيرة المستقلة، ذات الحقائق والأفنية الضيقة، وشاعت البيوت الأوروبية ذات الطبقة الواحدة والسقف الشيرواني [سقف منحدر، من الصفيح]، وقد أثر في بناء مثل هذه البيوت المساحات الواسعة الجديدة في المدن. ابتداءً من العقدين الخامس والسادس الميلاديين، ساد بناء البيوت المؤلفة من ثلاث إلى أربع طبقات، بالأجر الأحمر، تحتوي على شقق في كل منها غرفة نوم أو اثنتين. في هذه

¹⁵⁹ - Krasnovodsk

الحقبة، بدأت هذه الحكومات بناء الشقق بمقاييس كبيرة في المدن وحتى في القرى. في العقدين السابع والثامن الميلاديين بُني الكثير من هذا النوع من الشقق بالكتل الإسمنتية، في عشق آباد، ودوشنبه، وبيشكك، وطشقند، وغيرها من المدن، غير ملائمة بالتأكيد لمناخ المنطقة الحار والجاف (م. ن، ص 203-204). بنت الحكومات أيضًا في الحقبة نفسها في المدن الكبرى والمراكز الحكومية، شققًا في مبانٍ من ثلاث إلى تسع طبقات، لتسريع إسكان الأزواج الشباب، بالأجر الأحمر، ثمَّ بالإسمنت، والكتل الإسمنتية والباطونية المصبوبة سلفًا. في الحقبة الجديدة أيضًا، البيوت القديمة الخاصة والنادرة، إمَّا أنها انقرضت أو انتقلت إلى ضواحي المدن، هذا مع العلم أنَّ بناء البيوت التقليدية لا يزال سائدًا في بعض بلدان آسيا الوسطى كأوزبكستان وطاجيكستان (م. ن، ص 208-210). في مشتي بامك في بامير الطاجيكية، هنالك بيت لا يزال قائمًا، يعود إلى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، رُسمت لوحاته الجدارية بأسلوب الرسم الإيراني، وفي محيط الغرف كُتبت أشعار بالفارسية (تعريف الجمهوريات المستقلة في آسيا الوسطى والقوقاز، ص 43).



.Mimar, no3 (January, March 1982), P. 39

الأجزاء المختلفة لبيت قروي في طورفان

في شرقي آسيا الوسطى، في النواحي التي يسكنها المسلمون في الصين، مثل شيان¹⁶⁰، البيوت ذات أفنية، ويقع الفناء أمام البيت. بيوت مسلمي طورفان، في المدن أو في القرى، مؤلفة من طبقتين، ومقفلة البدنة (كلمان¹⁶¹، ص 36-37). من نماذجها، البيوت ذات الطبقتين والفناء الداخلي، يعيش في الطبقة الثانية الابن الأكبر وعائلته. في هذه الحال تُستخدم غرف الطبقة السفلى مستودعًا. عادةً هنالك سلم منفصل يصل الفناء بغرفة الابن. عناصر المنزل الأخرى هي غرفة الطعام، والمطبخ، وغرفة الجلوس، وغرفة النوم (← م. ن، ص 39). الفناء المركزي في بيوت المسلمين بالقرب من طورفان واسع، ليلائم الأعمال الزراعية وتربية المواشي، وبالإمكان تأخير الجدار لتوسيع الفناء، لكن في مدينة شيان، هذا الأمر قليل الاحتمال لأنَّ مداخل البيوت في هذه المدينة، باتجاه الشارع، ومن خلال رواق جانبي لجهة الفناء. تُبنى في الفناء غرفتان عادةً، فيصبح حينئذ ممر الدخول أضيق. يُزخرف سكاّن المنازل القريبة من

¹⁶⁰ - Sian

¹⁶¹ - Clement

المسجد الجامع في شيان منازلهم، بالحفر والتزليل، وتشبيك الخشب (م. ن، ص 38، 40).

المصادر والمراجع: آشنايي با جمهوريهاي مستقل آسيای ميانہ وقفقاز [تعريف الجمهوريات المستقلة في آسيا الوسطى والقوقاز]، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، معاونية الشؤون الثقافية، [؟ 1371 ش] [؟ 1992 م]؛ آلكساندر ماركوفيتش بلنيتسكي، خراسان وما وراء النهر (آسيای ميانہ [آسيا الوسطى])، ترجمه بالفارسيّة برويز ورجاوند، طهران 1364 ش [1985 م]؛ بيتر ايفانوفيتش باشينو، سفرنامه تركستان: ما وراء النهر [مدونة رحلة تركستان: ما وراء النهر]، ترجمه بالفارسيّة داودخانوف، ط. جمشيد كيان فر، طهران 1372 ش [1993 م]؛ أراز محمد سارلي، تركستان در تاريخ: نگرشي بر تركستان در نيمه دوم قرن نوزدهم [تركستان في التاريخ: لمحة عن تركستان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي]، طهران 1364 ش [1985 م]؛ منوتشهر ستوده، آثار تاريخي وراز و خوارزم [الآثار التاريخية في ما وراء النهر و خوارزم]، طهران 1384 - 1388 ش [2005 - 2009 م]؛ "مسار العمارة في طاجيكستان" الإعداد والشروح لنور علي المرادي، مجلة ميراث فرهنگي [الإرث الثقافي]، العدد 17 (ربيع وصيف 1376 ش [1997 م])؛ روي غونثالث دي كلاويخو، سفرنامه كلاويخو [مدونة رحلة كلاويخو]، ترجمه بالفارسيّة مسعود رجب نيا، طهران 1344 ش [1965 م]؛ هنري موزر، سفرنامه تركستان وايران: گذري در آسيای مركزي [مدونة رحلة تركستان وايران: جولة في آسيا الوسطى]، ترجمه بالفارسيّة علي المترجم، ط. محمد غلبن، طهران 1356 ش [1977 م]؛ كلوس هردوغ، ساختار شكل در معماري اسلامي ايران و تركستان [بنية الشكل في العمارة الإسلامية في ايران و تركستان]، ترجمه بالفارسيّة محمد تقی زادة مطلق، طهران 1376 ش [1997 م]؛ حكمت يولداشيف، نقش ونگارهای معماري در تاجيكستان [الرسوم والنقوش المعمارية في طاجيكستان]، ترجمه بالفارسيّة نسترن الزندي، طهران 1384 ش [2005 م]؛

أجنبي...

/عبد الكريم عطار زادة/

(د) الجنوب والجنوب الشرقي من آسيا.

(1) أفغانستان. كانت عمارة البيوت في هذه البلاد خاضعة لتأثير تاريخ شعوبها المختلفة، وأنماط حياتهم، ملائمة للمناخ، ولمواد البناء المتوافرة (العمادي¹⁶²، ص 111).

لا تتوفر معلومات كافية حول المنزل في أفغانستان، قبل الحقبة المعاصرة. ما نعلمه فقط هو أنَّ آثارَ بيوت تعود إلى حوالي 2230-2110 قبل الميلاد، مؤلفة من غرفة واحدة، أو من عدة غرف من اللبن قد عُثر عليها في قندهار، وأطلال بيت فخم يعود إلى المرحلة الممتدة من القرن السادس حتى الرابع قبل الميلاد اكتُشفت في الشمال الغربي من بلخ في ألتن/تلة ألتن. تصميم هذا البيت بالأسلوب الأخاميني، أي فناء مركزي يتوسطه حوض، محاط بغرف عديدة (د. إيرانيكا، مج1، ص 528-530).

أشار هيوئن تسانغ¹⁶³، السائح البوذي، الذي زار المنطقة في القرن الهجري الأول، إلى بيوت محصورة داخل جدران واطئة، استُخدم في بنائها اللبن والخشب، والقاشاني (← مج1، ص 74). وصف البيهقي أيضاً، في القرن الخامس الهجري، بيت صاحب بريد بلخ الذي كان كبيراً وفخماً جداً (← ص 178).

تخلّى عبد الرحمن خان الباركزائي (حك: 1297-1319هـ/1879-1901م) الذي تولى إمارة أفغانستان بعد نفيه إلى آسيا الوسطى، عن مخطّط البيوت التقليديّة، وصمّم قصوراً ذات عقود وقباب، وحدائق إنجليزية، تزيّنها العناصر المائيّة. كان البيت الأوروبيّ الأوّل في كابول، دليلاً على بداية حقبة استخدام مخطّطات البناء الهنديّة-البريطانيّة. اختفى هذا الأسلوب من التداول بعد الحرب القصيرة الأمد 1337هـ/1919م بين أفغانستان وإنجلترا، ومال الشاه أمان الله (حك 1337-1328هـ/1918-1909م)، مستلهمًا فخامة الطراز المعماريّ الأوروبيّ في القرن الثامن عشر الميلاديّ، إلى مزج العناصر الكلاسيكيّة الحديثة¹⁶⁴، والركوكيّة¹⁶⁵ [أسلوب في الفنّ والعمارة يميّز بالزخرفة البالغة]. في منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ/العشرين الميلاديّ، أخلّى هذا الأسلوب المعقّد الساحة للنماذج البسيطة البعيدة من الفخامة، المعتمدة في الاتحاد السوفياتيّ وأوروبا المركزيّة، ولا يزال هذا الطراز طاغيًا في البيوت والمباني الحكوميّة. في البيوت التقليديّة، تتعدّد وجوه استعمال الغرفة. والجدران البيضاء مزخرفة بالرسوم النباتيّة بواسطة التجصيص والقوالب الزخرفيّة. في البيوت الجديدة في كابول، كل غرفة من الغرف مخصّصة لغرض ما، واستُبدلت بالزخارف الجصّيّة، أوراق الجدران، والألواح المسطّحة الرقيقة، الخشبيّة أو الرخاميّة (<معجم الفن>¹⁶⁶، مج1، ص 208).

بعد الحرب العالميّة الثانية (1939-1945م)، شاعت في الجنوب الغربيّ من أفغانستان البيوت، المستطيلة المخطّط، ذات العقود المحدّبة، بنوافذ

¹⁶³ - Hiuen Tsiang

¹⁶⁴ - New Classic

¹⁶⁵ - Pseudo-rococo

¹⁶⁶ - The Dictionary of art

أو من دونها (دوبري¹⁶⁷، ص 134). في الحقبة نفسها، شاع استخدام الزجاج والباطون في المباني العالية (ماغنوس¹⁶⁸ ونبي¹⁶⁹، ص 21). يوجد في سهل تركستان وفي المناطق الأفغانية المحاذية للحدود الإيرانية، بيوت مربعة الشكل سقوفها مقبَّب، مقتبسة على الأرجح من المساكن المخروطية الشكل الشائعة في الأناضول وشمالي سوريا. تقوم الملاقف بجذب الهواء والنور إلى الداخل، وطررد الدخان إلى الخارج (دوبري، م. ن، ص. ن).

لقد جرت المحافظة على فنون عمارة البيوت في أفغانستان، على مدى الأزمان، وهنالك حركة لإصلاح التصاميم الموجودة. يبذل المعمارِيُّون جهودًا كبيرة للتغلب على الظروف البيئية المتنوعة، والقاسية في معظم الأحيان. البيوت ذات جدران طينية سميكة، لكثرة المواد وتوافرها، واقتران ذلك بالتوفير، وعدم الحاجة إلى العناصر البشرية الماهرة والمتخصصة بأعمال البناء، وهيكلها خشبي عادةً، وسقفها مغطى بالطين، توضع أحياناً ورقة مطاطية تحت الطبقات الطينية، كعازل للسطح (عمادي، ص 113-114).

يُطلق على الأسلوب الشائع في بناء البيوت في المدن ذات الكثافة السكانية اسم سينج. في هذا الأسلوب، هيكل المبنى خشبي، والجدران مزدوجة من الألواح الخشبية العازلة، يُملأ الفراغ في ما بينها باللبن، مما يُنتج تاليًا بدنة يمكنها تحمّل الغرف أو الطبقات الإضافية. يُسقف البيت بالألواح الخشبية، والأغصان اليابسة، وطبقات من القصب، ويكسى بطبقات طينية (م. ن، ص 122).

من الزخارف المعمول بها في المباني، التخصيص، والتزجيج بالمرايا، بالأسلوب الإيراني وأسلوب آسيا المركزية (ماغنوس ونبي، م. ن، ص. ن)، والأخشاب المطعمة ذات التصاميم الظرفية والجميلة للأفاريز والسقف، والمعادن لحماية النوافذ، والزخارف الفسيفسائية والقاشانية المتعددة الألوان للأرضيات (العمادي، ص 117). في المناطق التي يندر فيها وجود الأخشاب، السقوف المستوية التي تحتاج إلى قواعد خشبية، غير شائعة، ويكثر استخدام السقوف المقبَّبة والعقود المخنصرة. في هذه المناطق الجدران من الطين المخلوط بالتبن، والسقف آجري، فهو أخف من السقف الطيني، ومناسب أكثر للشكل المنحني. يُستخدم السقف المقبَّب للبيوت المربعة الشكل، والعقد المخنصر للمستطيلة الشكل. يخرج الهواء الحار من داخل البيت من خلال كوة صغيرة فوق القبة، مما يجعل الهواء داخل الغرفة باردًا. كما أن الجدران التخينة في الطقس البارد، تحول دون خروج الهواء الحار (م. ن، ص 120-121، 124).

¹⁶⁷ - Dupree

¹⁶⁸ - Magnus

¹⁶⁹ - Naby



(www. archnet. Org (21, Juin. 2010

- 1- أنموذج من الزخارف الداخلية في بيت شكيبا، القرن الرابع عشر الهجري، كابول.
- 2- جزء من الزخارف الداخلية في بيت واساي، القرن الثالث عشر الهجري، كابول.

التآكل الناجم عن رطوبة الأرض، مشكلة أساسية في المباني الطينية. لذلك، ولجعل الجدران الطينية السمكة المسماة بخسه، أكثر صموداً، يُحفر في الأرض خندق عرضه حوالي نصف متر ويُمَلأ بالحجارة إلى ما فوق سطح الأرض. فيُصبح الجدار تالياً أعلى من مستوى سطح الأرض. السقوف ليست مستوية كلياً، وذلك للحؤول دون تجمع مياه الأمطار على السطوح. في كل ربيع بعد انتهاء فصل المطر، تُطَيَّن الجدران والسقف بطبقة جديدة (م. ن، ص 119، 122).



(www. archnet. Org (21, Juin. 2010

الواجهة الخشبية للفناء في منزل زمان، كابول.

تُقسم كابول إلى قسمين قديم وجديد. في القسم القديم، من الشائع أنموذج البيوت التقليدية. هذا القسم يتضمن الأسواق وبيوت من طبقتين، الدكان في الطبقة الأولى والبيت في الطبقة الثانية (م. ن، ص 123). بيوت كابول في الوقت الراهن متفاوتة المقاييس والأشكال، سقوفها مستوية نسبياً، وجدرانها آجرية، ارتفاعها من مترين إلى ثلاثة أمتار. بعد المدخل تأتي مباشرة قاعة الاستقبال، التي يستقبل فيها الرجال ضيوفهم. أحياناً يكون لغرفة الاستقبال ممرٌ على الفناء. النساء يتواجدون في داخل البيت، بعيداً عن أنظار غير المحارم. المكان المهم الثالث في البيت، مطبخ صغير فيه موقد. في العقد السابع من القرن العشرين، بُنيت في كابول شقق سكنية في مبان من خمس طبقات، كان سكانها بشكل رئيسي من أبناء الطبقة المتوسطة (م. ن، ص. ن)، لكن الأفغانيين

يفضّلون الحياة في البيوت ذات الأفنية، والعائلة الواحدة (غروتس باخ¹⁷⁰، ص 237، 239).

أكثر المنازل شيوعاً في المناطق المرتفعة والجافة من أفغانستان مربّعة الشكل أو مستطيلة، سطوحها في معظمها مستوية (دوبري، ص 124). في أحياء كابول الأقدم، للبيوت أشكال غير منظمّة، ومقاييس متفاوتة. الغرف متلاصقة ببعضها حول الفناء المركزي. يُغطّى السطح بالطين المخلوط بالطين، والألواح الخشبيّة ركائز للسقف. في المباني الأكثر جدّة، يُستخدم الصفيح للسطح. في الأجزاء القديمة من المدينة المباني قريبة من بعضها إلى حدّ أنّ حواف الأسطح تتلاقى في الشوارع الضيّقة. هذه البيوت صغيرة لندرة الأرض، والفناء إنّ كان موجوداً فهو صغير جدّاً. يُستخدم السطح في الصيف للعمل والتسليّة والنوم (العمادي، ص 124).

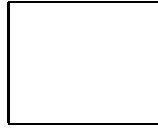
كان الشيعة الهزارة يعيشون في الماضي على شكل مجموعات في قلاع حصينة. بعد هدم هذه القلاع بأمر من عبد الرحمن خان، صار هؤلاء يبنون بيوتهم بالحجارة والطين، ولمقاومة البرد يُبنى البيت والزريبة تحت سقف واحد. البيوت في معظم الأحيان من طبقة واحدة وتضمّ زريبة البقر أو "مال خانة"، ومخزن العلف، وغرفة الجلوس وغرفة النوم والمطبخ. الأشخاص الأكثر ثراء لديهم غرفة تُسمّى تاوخانة [غرفة التدفئة]، تُحرق الأخشاب تحت أرضيّتها، ويعبر الدخان منافذ متعرّجة في الأرضيّة، ويخرج من خلال مدخنة بين الجدران، فيعمّ الدفء أرضيّة الغرفة وجوّها (فرهنگ، ص 417-418؛ بولادي، ص 422، 424). من الشائع بناء التاوخانة [غرفة التدفئة] في وادي كابول، والميدان، ولوغر، وغزنة، ونغرهار (دوبري، ص 138). في غرف بيوت الهزارة، تُبنى مشاكٍ وطيقان في الجدران لوضع المصابيح، وغير ذلك من الأدوات المنزليّة. أرضيّة الغرفة مسطّحة، من الصلصال. تُطَيّن الأرضيّة والجدران بطبقة طينيّة رقيقة، ثمّ تُمسّد وتُصقل (بولادي، ص 425).

لم يطرأ تغيير يُذكر على أسلوب بناء البيوت القرويّة، طيلة القرون (العمادي، ص 114). البيوت في قرى كابول وقندوز ومعبر سالنغ، تُبنى على منحدر، متباعدة، على شكل مدرّج. عدد كبير من البيوت تُبنى بالحجارة، وتُعبأ الفراغات بين الحجارة بالقطع الخشبيّة أو بالطين. وتُسقف بالألواح الخشبيّة المستوية، وطبقات من القصب والطين. في معبر سالنغ تدلّ الجدران السميكة والكوى الصغيرة في البيوت على الرغبة في العزلة، وعلى أهميّة الحرمة الخصوصية للعائلات. قواعد الجدران الحجريّة تصل سماكتها أحياناً إلى المتر، ملائمة للمحافظة على الحرارة في الشتاء، لكنّ سماكة الجدار تحوّل دون فتح النوافذ فيه (م. ن، ص 127).

¹⁷⁰ - Erwin Grotzbach

مساكن البشتون القروية على شكل قلاع آجيرية أو من اللبن. يعيش أحياناً مائة نسمة من أجيال مختلفة في قلعة كبيرة واحدة. في الكثير من القلاع مسجد صغير. في قلاع البشتون موقع الغرف مقابل الفناء، والجدران الخلفية للغرف تشكّل جزءاً من سور ارتفاعه حوالى ثلاثة أمتار، وهناك بوابة تُقفل ليلاً، يعبر منها الأشخاص والحيوانات. لكل عائلة حيّز مكانيّ مخصّص للنوم ولحفظ الممتلكات الشخصية، أمّا المطبخ والمرافق الصحيّة، ومستودع المواد الغذائية، والمضافة فمشاركة (ماغنوس ونبي، ص 19). المضافة تكون عادةً فوق العقد المقوّس الذي يعلو بوابة القلعة، وهناك سلم في المدخل يقود الضيوف مباشرة إلى الطبقة العليا. في ممرّ الدخول إلى حيث تعيش العائلة، مُنْعَرَجٌ يحجب عن الزائر رؤية داخل الفناء (عمادي، م. ن، ص. ن).

في النواحي الأكثر أماناً مثل ضواحي قندهار وهرارة، المباني بشكل عام ذات قباب أو عقود مخرّصة، من طبقة واحدة، ومبنية باللبن. من الممكن أن يجعل حائط ذو بوابة عدّة أبنية ملحقة ببعضها. لدى العائلات الثرية أبنية منفصلة لاستقبال الضيوف الرجال (ماغنوس ونبي، م. ن، ص. ن).



L. Dupree, Karachi 1997, P. 139, Pl. 32

أكواخ قروية مقببة بالقرب من هرة، 1968م.

في جنوبي هندوكش وغربيها، تُحيط حيطان طينية بفناء البيوت الصغير. يضمّ الفناء حوضاً صغيراً، أو ساقية للوضوء وغسل الأواني والثياب. الكوخ القروي يتألف عادةً من غرفتين صغيرتين أو ثلاث. وكلّما تقدّمنا أكثر من خلال السهول باتجاه المناطق الجبلية، نلاحظ أن الجدران في معظمها مبنية بحجارة الأنهار. في بنجشير معظم البيوت من طبقتين، وفي الشتاء تكون الطبقة الأرضية مأوى المواشي، لتبعث حرارة أجسادها الدفء إلى الطبقة العليا حيث تعيش العائلة (دوبري، ص 136، 138، 140).



L. Edelberg & S. Jones. Graz 1979, P. 67, Pl. 49

بيوت قروية، نورستان، 1970م.

في قرى نورستان في سفوح جبال هندوكش الحرجية، الشديدة الانحدار. كان أول أمر فكر به أساتذة فنّ العمارة والبناءون، ابتكار أسلوب يجعل المباني قادرة على مقاومة الزلازل في هذه المنطقة المعرضة دائماً للهزات الأرضية (إدلبيرغ¹⁷¹ و جونز¹⁷²، ص 113-114). يحول بناء البيوت في موضع انحدار الصخور، ووراء بعضها عادةً على شكل سلسلة متعرجة، دون إتلاف الأراضي الزراعية (م. ن، ص 52؛ أيضاً ← دوبري، ص 142). كانت هذه البيوت تُبنى بالأخشاب والحجارة، من طبقتين أو ثلاث طبقات عادةً. سطوحها مستوية، ومتصلة كلياً ببعضها. الطبقة الأرضية لإيواء المواشي، وتخزين الحطب وما شابه. يمكن الوصول من خلالها إلى الطبقة الثانية المقرّ الأساسي للعائلة بواسطة سلم خشبي، وباب صغير (عمادي، ص 136). تتضمن الطبقة العليا عادةً إيواناً، فيه صفان من الأعمدة الخشبية المطعمة، وهو الموضع الذي تجتمع فيه العائلة وتتجز فيه أعمالها المشتركة، لا سيما في فصل الصيف (إدلبيرغ و جونز، ص 29، الحاشية).



L. Edelberg & S. Jones. G raz 1979, P. 29, Pl. 2.3

أنموذج بيت وإيوان أعمدته خشبية مطعمة، نورستان، 1964م.

يعيش البدو الأفغان في الخيام، واليورت أو الأكواخ الممكن حملها ونقلها من مكان إلى آخر. هنالك ثلاثة أنواع من الخيام: الخيام السوداء في الجنوب والغرب؛ والخيام الكتانية أو الصوفية البيضاء في الشرق والشمال؛ والخيام ذات العقود المحدبة في بلوشستان. تغطي كل خيمة عادةً 25 مترًا مربعًا من مساحة الأرض (عمادي، ص 128). يعيش البدو الرعاة من البشتون طيلة السنة في خيام سوداء محاكة من شعر الماعز، يعلوها عقد مخنصر أو حادّ الرأس. ولتسهيل عملية حمل الخيمة ونقلها من مكان إلى آخر، يستعملون أقلّ كمية ممكنة من الخشب في بنائها. يستخدم الباعة الجوالون، والمنجمون والعرافون الخيام الكتانية (ماغنوس ونبي، ص 20).



w. Ball. The monuments of Afghanistan, N. 4. 2008. P. 36, Pl. 52

¹⁷¹ - Edelberg

¹⁷² - Jones

اليورت شائع في النواحي الشماليّة الأشدّ برودةً، وفي المناطق التي يملك فيها الفلاحون بيوتاً صيفيّة وشتويّة. اليورت الذي أدخله المهاجرون التركمان إلى هذه النواحي مستدير الشكل، يُصنع من الأغصان الدقيقة، التي تُربط ببعضها بالحبال، وبالإمكان حمله ونقله. يُغطّى اليورت من الخارج بطبقات من اللَّباد. وفي أعلاه كوة لخروج الدخان. يُمكن أن يُزيّن من الداخل بالأقمشة الصوفيّة والبُسُط (م. ن، ص 20-21؛ أيضاً ← دوبري، ص 172-173).

الكوخ [كُلبه] مستدير البدنة، متعدّد الأضلاع أو مستطيل الشكل، سقفه مائل، وبابُه خشبيّ، وإطاره خشبيّ عادةً أو من القصب. الأكواخ الدائريّة ثلاثة أشكال: لاجق، وكاباي جامشي وجَبَري. اللاجق هيكله خفيف ورخيص من الحصير أو الأعشاب، ولا يحتاج تركيبه إلى مهارة خاصّة. هذا الكوخ الصيفيّ شائع في أوساط الأوزبك والعرب الطاجيك والتركمان. الكاباي جامشي يُصنع من حُصُر القصب، يقي من البرد إلى حدٍّ ما، لكنّه لا يصمد أمام الرياح والمطر، كما أنّ حمله ونقله صعب، وأحياناً لا تدعو الحاجة إلى استخدامه ثانيةً، فيترك في مكانه، لأبناء السبيل، أو العمّال نصف البدو. الجبري يتضمّن ألواحاً خشبيّة، وجدراناً من الحُصُر وسقف من القشّ وقطع اللَّباد، وهو شائع في أوساط الهزاراة الرعاة في الشمال (عمادي، ص 130-131؛ أيضاً بولادي، ص 423).

هنالك شكلان من الأكواخ المتعدّدة الأضلاع: كابا العرب وجوب داره. كابا العرب يتألّف من ألواح خشبيّة، متّصلة ببعضها، تحيط بها جدران حصيريّة، يستخدمها أصحاب القطعان من العرب البدو، في أثناء ارتحالهم إلى مراعي بدخشان. إطار الكوخ المسمّى جوب داره [الخشبّي] خشبيّ وجدرانه وسقفه حصيريّ. يُستخدم هذا الكوخ أكثر ما يُستخدم مستودعاً أو زريبة (عمادي، ص 131-132).



L. Dupree, Karachi 1997, P. 173, Pl. 50

جبري بالقرب من جام، 1961م.

تُبنى الأكواخ المستطيلة الشكل في غربيّ أفغانستان من فروع الطرفاء، وتُسمّى كُدي، وكُديك، وكابا. يسميها الطاجيك أيضاً كابا. تتألّف هذه الأكواخ من مجموعة من الألواح، توضع على مسافات متساوية بشكل مستطيل، وتغطّى

بجدران حصيرية. هذه الجدران ليست محكمة كما يجب، لكنها تُستخدم بكثرة لسهولة حملها ونقلها، ولرخص ثمنها (م. ن، ص 132).

في بعض النواحي حيث تكثر الحجارة الرملية، يُعثر على مغاور سكنية، يُمكن أن تُوسّع فوهتها بالأدوات اليدوية. هذا النوع من المساكن الذي كان مُستخدمًا قبل الحرب للقطعان فقط، هو [حاليًا] مأوى للعائلات الفقيرة في ناحية هزاره جات في باميان (م. ن، ص 122؛ دوبري ص 142).

المصادر والمراجع: البيهقي؛ حسن بولادي، تاريخ هزاره ها: اجتماعي، سياسي، فرهنگي، اقتصادي [تاريخ الهزاره: الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي]، ترجمه بالفارسية علي عالمي الكرمانی، طهران 1381ش [2002م]؛ محمد حسين فرهنگ، جامعه شناسی و مردم شناسی شیعیان افغانستان [علم الاجتماع وعلم الإناسة لشيعة أفغانستان]، قم 1380ش [2001م]؛ إروين غروتس باخ، جغرافیای شهری در افغانستان [جغرافية المدن الأفغانية]، ترجمه بالفارسية محسن محسنیان، مشهد 1368ش [1989م]؛

أجنبي...

/سبيده معتمدي/

(2) **شبه القارة الهندية (الهند والباكستان).** من العوامل المؤثرة في عمارة البيوت في الهند والباكستان، الظروف الإقليمية، ونوع المناخ، ومجاورة الأنهار الكبرى في نطاق السند، والحرارة، والرطوبة، والأمطار الموسمية. هنالك في موهنجودارو، أحد مراكز الحضارة التي يبلغ عمرها خمسة آلاف سنة في وادي السند في الباكستان، شواهد على طرق متطورة في بناء البيوت. في القسم الجنوبي من المدينة، أطلال أحياء سكنية، جعلتها الأزقة والشوارع مجمعات متميزة من بعضها كليًا. يبدو أن هذه البيوت كانت بالحد الأدنى من طبقتين، تضم عدة غرف، وتحيط بفناء مركزي، وفيها حمام وبئر ماء. كان لفوهات الآبار بؤيب، يحول دون سقوط الأطفال والحيوانات الأليفة فيها. كان باب مدخل البيت يُفتح باتجاه الأزقة الضيقة، والوصول إلى الطبقة الثانية وسطح المنزل يتم من خلال سلم (أشفق ونقوي، ص 9، 12؛ نقوي، ص 32). يبدو أن الأمان والراحة هما اللذان كانا يحظيان بالأهمية في تصاميم المنازل وكيفية بنائها، أكثر من الناحية الجمالية. لهذا السبب بُنيت الدهاليز، وغرف الاستقبال، والأفنية، والسلام، والمرافق الصحية، والآبار، كلها على أساس ما تفرضه متطلبات الحياة اليومية (أشفق ونقوي، ص 11).

كان عدد الأبواب والنوافذ في هذه البيوت قليلًا، بهدف حمايتها من النور الساطع، والحرارة الزائدة في منطقة السند، وكان فناء الاستراحة أهم موضع لتأمين النور والهواء (أشفق ونقوي، ص 12؛ فتحي، ص 108). كانت قواعد

المنازل تُبنى باللّبن المشويّ الصلب، كي لا يلحق أي ضرر بالمبنى حين يزداد مستوى فيضان نهر السند، أو تهطل الأمطار بغزارة (فتحي، م. ن، ص. ن). كانت مياه الصرف الصحي في البيوت تُصبّ من خلال مجاريير تحت الأرض في شبكة المجاريير الأساسيّة الممتدّة تحت الشوارع. كان لكلّ مدينة نوع خاصّ من نظام مدّ الأنابيب. كانت مياه الآبار المحفورة في المنازل تُستخدم أيضًا لأعمال النظافة والطبخ (← م. ن، ص 109؛ أشفق ونقوي، ص 9؛ نقوي، ص 35).

أثر دخول المسلمين هذه المناطق تأثيرًا شديدًا، في أنماط السكن في المدن، ودخلت الهند تدريجيًا نماذج معماريّة خاصّة، من ضمنها استخدام المواد المُقاومة والصلبة، بدلًا من المواد الهشة غير المُقاومة، وازدهر استخدام نوع من العمارة العسكريّة في تشييد المباني (مالك، ص 85). ونتج عن ذلك تاليًا، وبالتدرّج، بفضل المعمارين المسلمين المهاجرين، عمارة جديدة إسلاميّة السمات، هي مزيج من التقاليد المعماريّة الهنديّة والإسلاميّة، وكانت المواد المستخدمة على أساس الخصائص المُناخيّة لكل منطقة من المناطق المختلفة، هي الحجارة، والآجر، والطين؛ فمثلاً في البنغال [بنغلادش]، دعت الضرورة، بسبب ندرة الحجارة والظروف المُناخيّة الاستوائية إلى استخدام الآجر الصلب، وفي ماندو إلى استخدام حجارة المباني المختلفة (غروفر¹⁷³، ص 28؛ مالك، ص 79، 85).

في عصر بابر (932- 937هـ/1525- 1530م)، لحماية البيوت من الحرارة الشديدة استُبدلَ بالجدران السميكة والكوى الصغيرة، أساليب معماريّة جديدة. أهمّها ملاقف السند. كانت هذه الملاقف على شكل أعمدة خشبيّة عموديّة، لها فتحات فوق أسطح البيوت باتّجاه الرياح الخارجيّة، تجذب الهواء باتّجاهها، فيدخل مباشرة إلى داخل البيت. النوع الأكثر إتقانًا من هذه الملاقف، يمرّ فيه الهواء فوق مرشحة فحميّة- مائيّة قبل دخوله البيت، فيبرد. هذا الأسلوب لا يزال شائعًا حتى الآن في بعض مدن الهند كحيدر آباد (غروفر، م. ن، ص. ن).

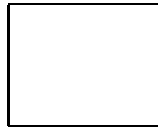
من العوامل المؤثرة في عمارة البيوت الهنديّة، المناخ، والحرارة الشديدة، والأمطار الموسميّة، والرطوبة، وفي المناطق الجبليّة، الثلج والبرّد الفصليّ. تحمي الجدران الثخينة داخل المنزل من أشعّة الشمس والحرارة الشديدة صيفًا. تُكسى الجدران بطبقة من السمد والقشّ، ثمّ تُدهن بألوان فاتحة تضاعف انعكاس النور. الأبواب العالية الرقيقة تصل الغرف ببعضها، وتُتيح جريان الهواء. النوافذ اللُفافيّة جزء لا يتجزأ من العمارة في البيوت الهنديّة. تعلّق خلف النوافذ أطر خشبيّة مكسوّة بالنباتات العطّرة، وحين تُرطب تبعث في الجو نسيمًا باردًا. في المناطق الشماليّة الشرقيّة الرطبة، التي تهطل فيها

¹⁷³ - Satish Grover

الأمطار الموسميّة، والمعرّضة لخطر السيول، يُستخدم الخيزران في بناء البيوت. في هذه النواحي، أرضيّة البيت أعلى من مستوى سطح الأرض، وسقفه سميّك ومغطى بالصفّيح (هندرسون¹⁷⁴، ص 80-81).

في الجهة الجنوبيّة في كِرا¹⁷⁵، البيوت خشبيّة، ولمقاومة الرطوبة والحرارة سقوفها شيروانيّة من الصفّيح، شديدة الانحدار، وحوافّ سطوحها مرتفعة، وهي ذات أوابين رحبة. في النواحي التي تكثّر فيها السيول تُستخدم الموادّ المتوافرة، مثل أنواع الحماية المصنوعة من الخيزران والحصير والقش والصفّيح، والفخار أو السقوف المعدنيّة المُغلّونة [المغطاة بطبقة من الزنك]، الثخينة ذات الحوافّ النافرة. في العِمارة المحليّة في راجستان، عدّة أكواخ طينيّة مستديرة، ومستودع وجدران طينيّة تُحيط بالفناء المركزيّ؛ أقربها إلى باب المخرج مخصّصة للرجال، والحيز الداخليّ للنساء. في النواحي الأشدّ برودةً، المباني خشبيّة متعدّدة الطبقات، مربّعة الشكل أو مستطيلة، تؤمّن الدفء (م. ن، ص 81-85).

في الهند، هنالك عدد من المباني والبيوت الخاصّة تعود إلى القرن التاسع الهجريّ لا تزال قائمةً على بعد ستّة كيلومترات غربيّ مدينة بيانه¹⁷⁶. في بعض النماذج، بُنيت مجموعة من الغرف في طبقة واحدة أو طبقتين، وصف من الأعمدة تحيط بالفناء من جميع الجهات. زُخرفت الأعمدة ونعل ساكف الباب بالحجارة الرملية الحمراء، وجُصّست الجدران. وهنالك نماذج أخرى تصاميمها مختلفة، موحّدة المخطّط، تتضمّن في الوسط قاعة استقبال واسعة ذات أعمدة، وفي كلّ جانب من جوانبها غرفة. كلّ زوجين من البيوت يصلهما ببعضهما جدارٌ مشترك، وأمام كلّ منهما حديقة مسوّرة. جميع عناصر المنزل البنائيّة كالأعمدة وتيجانها، وحواجب سواكف الأبواب موحّدة الشكل والمقاييس، ونمط الزخارف. يدلّ ذلك على أنّ مخطّطا واحداً، وُضع لهذه المنطقة، ونُفذّ بكمّ كبير من الموادّ المنتجة، وبالقِطع المصنّعة سلفاً (← <معجم الفن>¹⁷⁷، مج 15، ص 345).



(www. archnet. Org (12, Oct. 2010

هافلي باتوفن، جيسلمر، الهند.

¹⁷⁴ - Henderson

¹⁷⁵ - Kerala

¹⁷⁶ - Bayana

¹⁷⁷ - The Dictionary of art

أهمّ البيوت الهندية وأكثرها تداولاً تلك المسمّاة هافلي¹⁷⁸، وبنغالو¹⁷⁹ وبُهره/وفُهره¹⁸⁰.



(www. Pakistan. Karachi. Info (12, Oct. 2010

هافلي ناتونهاال سينغ، لاهور

الهافلي النوع الأكثر أصالة من أنواع البيوت في الهند والباكستان، ظلّت نماذجه التقليدية الأولى قائمةً حتى القرن الرابع عشر الهجريّ، وقيل إنّ بيوت منطقة هربا¹⁸¹ تجمعها بعض وجوه الشبه بالهافلي. أقدم البيوت الشبيهة بالهافلي، والتي لا تزال قائمة تعود إلى القرنين التاسع والعاشر الهجريّين، وهي موجودة في إحدى خرائب دهلي. شوهدت نماذج من الهافلي في مئات المدن في السهول الهندية بأسرها من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب حتى غجرات، وكذلك في الباكستان (← م. ن، مج32، ص 323-324؛ عبد القادر، ص 85). مع أنّ هنالك فرقاً بين أنواع الهافلي في المناطق المختلفة، فإنّ هذا الاسم يُطلق على البيت الكبير الواسع الذي تملكه العوائل الثرية. صُمم هذا النوع من البيوت بشكل عام محيطاً بفناء أو عدّة أفنية، ساكف مدخله كثير الزخرفة في معظم الأحيان، يصله بالداخل ممرٌ منعرج. معظم البيوت الهافلي جدرانها من الحجارة السميكة، وسطوحها حجريّة مستوية. السطح والفناء يُستخدمان كلاهما كحيزٍ معيشيّ. الزخرفة الطينية تشكّل عنصراً مشتركاً في هذه المناطق بين الهافلي والبيوت العادية أيضاً. وهنالك فوارق تُلاحظ في هذه البيوت، بحسب المناطق، لا سيّما في طريقة البناء، ونوع المواد المستخدمة. هافلي الهندوس والجرين¹⁸² والسيخ، من طبقتين أو عدّة طبقات، والفناء أكبر وأرحب مقارنةً بهافلي المسلمين، لكنّ غرفه أصغر وأقلّ عددًا. في هافلي المسلمين، القسم الخلفيّ من البيت للنساء، والقسم القريب من باب المدخل للرجال. في غجرات الهافلي خشبيّ، منحدر السطح، وهنالك مشتركات بينه وبين نوع آخر من بيوت مهاراشترا¹⁸³ المسمّى وادا¹⁸⁴، وشبيهه ببيوت جنوبيّ الهند، ذات السطوح العريضة الحوافّ، المائلة، وتتضمّن إيواناً وفناءً. طرأ الكثير من التغيير على

¹⁷⁸ - Haveli

¹⁷⁹ - Bungalow

¹⁸⁰ - Bohra/vohra

¹⁸¹ - Harappa

¹⁸² - Jain

¹⁸³ - Maharashtra

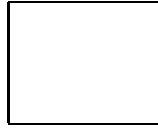
¹⁸⁴ - Wada

أنواع الهاولي مؤخرًا، بتأثير من الإنجليز خصوصًا، فقد استُخدم في بنائها على سبيل المثال الزخارف الغربيّة، والأبواب المتعدّدة، والألواح الفولاذيّة (← معجم الفن، مج32، ص 323-324).



(www. Bcmtouring. com (18, Jul. 2010

الفضاء الداخليّ في واحدٍ من الهاولي



(www. Bcmtouring. com (18, Jul. 2010

أنموذج زخارف هاولي

البنغالو المستمدّ اسمُهُ من الأكواخ البنغاليّة، استُخدم منذ أواخر القرن الحادي عشر الهجريّ على نحوٍ واسع كمكان سكنيّ. وهو دليل على الإرث الثقافيّ الأوروبيّ في الهند. وهي بيوت كانت الدول الاستعماريّة (لا سيّما إنجلترا وفرنسا) مضطّرة لأنّ تسكن فيها الأعداد المتزايدة من جنودها ومسؤوليها. كانت النماذج الأولى من البنغالو تضمّ غرفةً واحدةً مربّعةً أو مستطيلة الشكل سقفها من الزنك. بعد ذلك أُضيفت إلى كلّ زاوية من زواياها الأربع غرفة صغيرة، والمساحة بين الغرف جُعِلت إيوانًا. في أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ، تقبّل الهنود البنغالو نوعًا من البيوت. في القرن نفسه ظهر نوعٌ آخر من البنغالو سطحه مائل، وجزأه المركزيّ أعلى، ويعلو كلّ إيوان ذي أعمدة صف من النوافذ (م. ن، مج32، ص 324-325). في شماليّ الهند كُيّف البنغالو ليلائم الأوضاع المحليّة، وبدلاً من أن يُستخدم في بنائه الصلصال والزنك والقش، بُنيت جدرانها بالحجارة، وسطحه بالقرميد (م. ن، مج 15، ص 402). في الباكستان، البنغالو في الواقع نوع من مكان للنوم أو للاستراحة من طبقة واحدة، مؤلّفة من غرفة أو غرفتين وإيوان وفناء (عبد القادر، ص 48).

بيوت البُهرة نوعٌ آخر من البيوت. يُسمّى المسلمون في غربيّ الهند الذين هم في معظمهم من الشيعة الإسماعيليّة باسم البُهرة*. يقيم البُهرة في ولاية غجرات، في أحياء تُسمّى بهره واد¹⁸⁵. كلمة بهره/وهره معناها التاجر، والبُهرة يمتنون التجارة. ذكر أنّ تاريخ هذه الأحياء يعود إلى أكثر من مائة سنة

(دوشي، 1984م، ص 52، 57-58؛ نفسه، 1986م، ص 34). يُحسب البُهرة من الأقليات في الهند، والأمن بالنسبة إليهم مهمٌ جدًّا. تفرض عليهم تقاليدهم الاجتماعيّة والثقافيّة والدينيّة، أن تكون منازلهم بجوار المساجد ومراكز تجمّعات المسلمين. وبما أن معظم البُهرة تجار، يسافرون باستمرار، يفضلون أن تُقيم عوائلهم في أوساط الجماعات المسلمة. لهذه الأسباب نفسها يشكّل سكّان الأحياء المسمّاة بهره واد، أجزاء متميّزة من المدينة (نفسه، 1984م، ص 58).



(www. archicrafts. com (12, Oct. 2010

أنموذج منزل من منازل البُهرة، غجرات

تتّسم بيوت البُهرة بثلاث سمات مثيرة للاهتمام. الأولى، أن تقسيم عناصر المنزل عمودياً وأفقيّاً يبدأ من المكان العام وينتهي بالمكان الأكثر خصوصيّة. الحيز المحصور داخل البيت يعكس مساعي البُهرة للمحافظة على الهويّة التي تميّزهم من الجماعات الدينيّة الأخرى، وللابتعاد عن الأجانب والغرباء، وبما أن معظم البيوت تُبنى فوق المتاجر، أو مستقّلة في الأحياء المسمّاة بهره واد، يُتاح تاليّاً، وجود الأمن والأمان إلى حدٍّ ما. لا تُفتح هذه البيوت على الشارع مباشرة، وهذا ما يلغي احتمال سرعة الوصول إلى المنزل. يتمّ استقبال الأقارب في الطبقة الأولى في الغرفة العائليّة أو الأردو¹⁸⁶ (← تنمّة المقالة). تتميز بيوت البُهرة من غيرها من البيوت بسمات أخرى منها زخرفة الواجهات والمداخل، واستخدام المواد الجيدة المرتفعة الأثمان. المخطط الأساسي لهذه البيوت، فضلاً عن التصميم الذي يفصل بين الجناح الخاصّ والجناح شبه العام، شبيه ببيوت الهندوس. في الطبقة الأرضيّة مدخل البيت على شكل إيوان، يعلو عن مستوى الشارع حوالي 75 سنتميترًا، تليه غرفة المدخل المسمّاة دهلي¹⁸⁷، ذات الساتر الذي يفصل الحريم الخاصّ عن الفناء الداخليّ. يتمّ الوصول من المدخل [الدهلي] إلى الطبقات العليا مباشرة من خلال سلم. والضيوف أيضًا يتوجّهون من هذا المكان إلى غرفة الاستقبال (نفسه، 1986م، ص 35). بعد الفناء يأتي ما يُسمّى بهارني بارسال¹⁸⁸ أو الرواق الخارجيّ، المفتوح بأكمله على الفناء. وهذا العنصر المكانيّ يوصل إلى الرواق الداخليّ أو أندرني بارسال¹⁸⁹. السلم

¹⁸⁶ - Ordo

¹⁸⁷ - Dehli

¹⁸⁸ - Baharni parsal

¹⁸⁹ - Andarni parsal

مبني في مكان يُسمّى راواس¹⁹⁰، يُتيح استقلاليّة الذهاب إلى الغرف والإيّاب منها. هذا العنصر المكانيّ يتحوّل في الطبقة العليا إلى شرفة مكشوفة (تِرّاس) تفصل الغرف الأماميّة عن الغرف الخلفيّة. السطوح ذات الانحدارين في هذه المنازل توجد حيّزاً مكانيّاً تحت السطح الصفيحيّ المائل يُسمّى داغلو¹⁹¹ (م. ن، ص. ن). الفناء المفتوح في هذه البيوت يُساعد على تهوية البيت، وإضاءة جميع الطبقات. في محيط الفناء المطبخ وسائر مرافق الخدمة. يُستخدم كل من الفناء والرواق الخارجيّ (بَهَارني بارسال)، لتناول الطعام والاستراحة والأعمال المنزليّة كافة. في الفناء مصطبة خشبيّة كبيرة تُسمّى بتاك/بتهاك¹⁹²، يُستخدم الفراغ تحتها لحفظ الأدوات، وما فوقها للاستراحة (م. ن، ص. ن). الرواق الداخليّ (أندرنّي بارسال)، أساساً، موضع استراحة العائلة بعد الظهر في أيّام القيظ. بعد الرواق الداخليّ (أندرنّي بارسال) تقع آخر غرفة من غرف البيت، أي الأردو. تنتهي هذه الغرفة بخزانة حائطيّة مصمّمة على الطراز الإسلاميّ التقليديّ. تُستخدم غرفة الأردو عادةً لاستقبال الأقارب الأذنون، وأصدقاء العائلة، وكذلك للنوم (م. ن، ص 35-36).

لحماية المبنى من الرطوبة، ولتجميل الواجهة، بُنيت بيوت البُهرة على قواعد حجريّة، وإطار البيت خشبيّ عادةً، وجدرانه حجريّة. تتضمّن النوافذ عادةً منوّرين، أحدهما خشبيّ، والآخر من الزجاج الملون. مؤخراً تأثّر بناء الواجهات بالأساليب المعماريّة الأوروبيّة، فمثلاً استُبدل الأجر بأعمال التخصيص (م. ن، ص 36، 38).

تُقسم العمارة وبناء البيوت في الباكستان إلى أنواع: القبليّة، القرويّة، الجبليّة، المدنيّة. تُحسب المساكن القبليّة النوع الأكثر تقليديّة بين أنواع البيوت. وهي مبنيّة بشكل أساسيّ بالطين والحجارة والخشب. من ميزات مثل هذه البيوت، سورٌ شبيه بالقلعة، من الجدران العالية، وموضع للحراسة لحماية المنازل من الغزوات الليليّة المفاجئة. بالتأكيد، ليس لدى البشتون الحضر مثل هذه المباني الدفاعيّة. في البيوت القبليّة، تُقيم النساء دائماً في القسم الداخليّ من المنزل، في حين أنّ الرجال يستقبلون زوّارهم في جناح مستقلّ يُسمّى الحجرة (مالك، ص 103).

في سلسلة الجبال المِلحيّة في البنجاب، تشكّل البيوت الطينيّة البيضاء، ومزارع الخردل المحيطة بها مناظر بديعة. معظم أهالي نواحي البنجاب وكشمير، تعرّفوا بسبب عملهم خارج قراهم نماذج معماريّة أخرى، ومنذ العقد السابع من القرن العشرين أنفقت مليارات الروبيات، لإعادة إعمار البيوت في هذه القرى أو ترميمها (م. ن، ص. ن).

¹⁹⁰ - Ravas

¹⁹¹ - Daglo

¹⁹² - Bethak

حافظت بيوت المناطق الجبلية في الباكستان بسبب أوضاعها الجغرافية الخاصة، على سمات نادرة المثال. فقد بُنيت هذه البيوت بالحجارة والخشب. تغلب في المناطق الشمالية، الأساليب التقليدية للتبيت وآسيا المركزية. من معالم هذه البيوت، استخدام الخشب، والمِلاط والسقوف الواطئة. في الواقع، لقد حرمتهم تجربة الحياة قرونًا متطاولةً في مناطق معرضة للزلازل، إمكانية أي نوع من التطوير في أعمال البناء. لكن في بعض المناطق، مثل مورِه¹⁹³ وزيارت¹⁹⁴ وسوات¹⁹⁵ بُنيت بيوت بالأساليب الحديثة. أضاف أهالي وادي هونزا¹⁹⁶ إلى حدٍّ ما وسائل الراحة المعاصرة والكمالية إلى منازلهم. في شترال¹⁹⁷، البيوت بسيطة، عارية من الزينة، ومجهزة بمدفأة جدارية في وسط الغرفة (م. ن، ص 104).

بعد الاستقلال شهدت المدن الباكستانية ازدهارًا لافتًا، ولحق النمو بالكثير من النواحي، وأنجزت أعمال عمرانية واسعة في المدن. استخدم معظم المعمارين الباكستانيين النماذج المعمارية الغربية، بحيث أن العمارة الحديثة حجت العمارة التقليدية (سجاد كوثر¹⁹⁸، ص 42؛ مالك، ص 79، 99). مع ذلك لا تزال توجد في كراتشي وفيصل آباد، ولاهور، وراولبندي، وبيشاور، وبعض المدن الأخرى أحياء قديمة فيها مبانٍ قديمة وجديدة (← سجاد كوثر، م. ن، ص. ن؛ مالك، ص 100؛ كأنموذج من البيوت التي أعيدَ إعمارها في العام 1983م ← "مقر إقامة فدا علي في كراتشي"¹⁹⁹، ص 38). في مدينة لاهور، استُخدمت الأساليب العالمية أكثر من تقاليد الناحية، الغنية، وبالتأكيد استُخدمت أحيانًا المواد والعناصر التقليدية في أنماط البناء المعاصرة؛ على سبيل المثال منزل الحاج مجيد في لاهور، الذي استُخدم فيه كمٌّ من مواد الحماية الآجيرية والخشبية. كان الآجر يُستخدم على نحو تقليدي للبناء وللزخرفة أيضًا، ولا يزال حتى الآن من أكثر المواد الشائع استخدامها في البناء في لاهور، إنما في السنوات الأخيرة بات يُكسى عادةً بالإسمنت. لمقاومة الفيض الشديد صيفًا، توضع طبقة عازلة سماكتها 51 ملليمترًا من البوليسترين فوق السقف. يخطط البيت محيطًا بفناء، وذلك من السمات الشائعة في البيوت التقليدية. يُشكّل الفناء فاصلًا بين الجناح الخاص والجناح العام في المنزل. وغرفة الجلوس موقعها بقرب الفناء، وفي الصيف تنقل الهواء البارد إلى الغرف المجاورة. في الواقع، صون الحرمة الخصوصية للمنزل من أهم الملاحظات في تخطيط البيوت. هنالك

¹⁹³ - Murree

¹⁹⁴ - Ziarat

¹⁹⁵ - Swat

¹⁹⁶ - Hunza

¹⁹⁷ - Chitral

¹⁹⁸ - Sajjad Kousar

¹⁹⁹ - "Fida Ali residence, Karachi"

إيوان في الجزء الأمامي من المنزل يفصل الضيوف الرسميين من بداية دخولهم عن الضيوف غير الرسميين. عادةً هنالك غرفتا جلوس: رسمية وغير رسمية. غرفة الجلوس الرسمية حيّز مكاني يُستخدم أحياناً للاستقبالات الرسمية، وغرفة الجلوس غير الرسمية لأفراد العائلة. يُدعى إليها أيضاً أصدقاء العائلة المقربون (← مالك، ص 99؛ سجّاد كوثر، ص 45).

أسكن المهاجرون واللاجئون من جرّاء أعمال العنف بين الهندوس والمسلمين في حواشي المدن الباكستانية، ومن ضمنها ضواحي كراتشي. يعيش هؤلاء المهاجرون منذ حوالى الستينات من القرن العشرين في بيوت مؤقتة تُسمّى كاجا²⁰⁰، وبوكا²⁰¹. هذه البيوت تعاني من مشكلات بنيوية عديدة، بسبب استخدام المواد غير الجيدة، والقصيرة العمر، وطرق البناء التي ينقصها الاحتراف والإتقان، فتتهدّد حين تهبّ الأعاصير، أو تهطل الأمطار، والحياة فيها شديدة الخطورة (عارف حسن، ص 84-85).

بناء البيوت في الهند بشكل عام، وفي الباكستان بشكل خاصّ مزيج من التقاليد المتنوّعة. استخدام طرق التهوية المختلفة، وتخصيص مكان مُصان للنساء، وغير ذلك من النماذج، شواهد على تلاقح الحضارات والثقافات هذا (← مالك، ص 101).

المصادر والمراجع: س. م. أشفق وأ. نقوي، "موهنجودارو: مدينة جديدة من الزمن القديم"، بيام يونسكو [رسالة الأونيسكو]، العدد 53 (دي 1352ش [ك₂ 1954م])؛ هوشنغ فتحي، كاوش در گذشته [تتقيب في الماضي]، طهران 1379ش [2000م]؛ ساتيس غروفر، "تأثير الإسلام في العمارة الهندية"، ترجمه بالفارسية عبد المجيد الإسكندري، كيهان فرهنگي [مجلة كيهان الثقافية]، السنة 10، العدد 4 (تير 1372ش [تموز 1993م])؛ أ. نقوي، "موهنجودارو: عاصمة الحضارة القديمة في خطر"، بيام يونسكو [رسالة الأونيسكو]، العدد 183 (مرداد 1364ش [آب 1985م])؛

أجنبي... / سبيدة معتمدي /

3. ماليزيا وأندونيسيا.

ماليزيا. كان الشكل الأوّل من أشكال الاستيطان في ماليزيا، في السواحل الغربيّة من هذه المنطقة. عُثر في مغاور نياه²⁰²، بصفتها المساكن الماليزيّة الأولى، على آثار الحياة البشريّة منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد (مسائلي، ص 4، 21-22، 65). في القرن التاسع الهجريّ، بعد دخول الإسلام، طرأ تطوّر في المنطقة (م. ن، ص 21).

²⁰⁰ - Kacha

²⁰¹ - Pukka

²⁰² - Niah

اتّخذ السكن في ماليزيا، نظرًا لموقعها الطبيعيّ، ثلاثة أشكال: (1) على ضفاف الأنهار وفي السهول، حيث يعمل معظم السكّان في زراعة الأرز، يبنون منازلهم بالخشب، مستواها أعلى من سطح الأرض. معظم هذه البيوت كانت حيّزًا مكانيًا واحدًا، مختلفة عن البيوت الكبيرة، تُراعى فيها المعايير الإسلاميّة. (2) على سواحل البحر، حيث يعمل معظم الأهالي في صيد الأسماك، وبيوتهم مواجهة للبحر، بُنيت صفّين أو ثلاثة صفوف. (3) حول المستنقعات، حيث بُنيت المنازل خشبيّة فوق تلال أعلى من مستوى المستنقع، ولوصل المنازل ببعضها استُخدمت القواعد الخشبيّة. شُقّت بين الوحدات السكنيّة ممرّات للمشاة عرضها متر واحد، تصل المنازل في كلّ صفّ من الصفوف ببعضها. كلّ ممرّ مشاة عائد إلى مجمّع من خمسة عشر إلى ثلاثين بيتًا (كلينغ²⁰³، ص 53-55). بشكل عام، الأنموذج السكنيّ للماليزيّين شبيه بما هو موجود في المناطق الأخرى من جنوب شرقيّ آسيا. البيوت عادةً خشبيّة تُسقف بسعف النخيل، تُزرع حول المنازل أشجار جوز الهند والأنبج (المانجو) والموز (مسائلي، ص 25-26).

توجد مناطق سكنيّة أخرى تعود إلى المهاجرين في القرن الثالث عشر الهجريّ وما بعده. إنّ ما أقدمت عليه بريطانيا من إنشاء المزارع الكبرى لزراعة المطاط [الكاوتشوك] والنخيل الزيتيّ، غير ملامح ماليزيا الغربيّة، وأدّى إنشاء المجمّعات لجمع المحاصيل، والمستودعات، وأماكن السكن للعمّال والمديرين، إلى ظهور نوع من العمارة مختلفة كليًا عن الأنموذج المعماريّ القرويّ التقليديّ (م. ن، ص 26). هنالك منازل لا تزال قائمة، من مرحلة الاستعمار، من خصائصها النوافذ الكبيرة، وبساطة الجدران ومناعتها، كما أنّ تأثير العمارة الهولنديّة فيها ظاهر للعيان (← معجم الفن²⁰⁴، مج20، ص 167). بعد الحرب العالميّة الثانية تقع العين على نوع من العودة إلى العناصر المحليّة في بيوت- دارات الطبقة المتوسّطة (م. ن، مج20، ص 169). بعد الاستقلال في العام (1376هـ/1957م)، ازدهر بناء الشقق في هذه البلاد (م. ن، ص. ن).



(www. Backpackingmalaysia.com (26, May. 2010).

²⁰³ - Kling

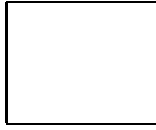
²⁰⁴ - The Dictionary of art



(www. archnet. Org (5, Jan. 2010

أنموذجان من المنازل في ماليزيا.

تعيش جماعات من سكّان النواحي الساحليّة المنخفضة وسفوح الجبال، المحليّين في ماليزيا الشرقيّة، في بيوت جماعيّة. في كل منزل مبنيّ على ركائز، غرفٌ تعيش عائلة في كل منها. المنازل الجماعيّة دُمجت أحياناً ببعضها، بسبب الروابط الأسريّة، بحيث أنّها تضمّ أحياناً خمسين غرفةً (مسائلي، ص 28). هذه البيوت طويلة، يصل طولها أحياناً إلى 180 متراً، وعلى الرّغم من أنّ ساكنيها يصلون أحياناً إلى خمسين عائلة، متوسط سعتها ملائم لعدد من عشر إلى اثنتي عشرة عائلة (<معجم الفن>، مج20، ص 167). بُنيت منازل القرويّين الصينيّين في ماليزيا الشرقيّة بشكل عام بمستوى الأرض، ومتميّزة كليّاً عن سائر البيوت (مسائلي، م. ن، ص. ن). هذه البيوت مؤلفة من البيت والدكّان، وقد آلت إلى الزوال بعد الحرب العالميّة الثانية (<معجم الفن>، مج20، ص 168).



(www. archnet. Org (5, Jan. 2010

المنظر الداخلي لأحد البيوت الماليزيّة.

البيوت القديمة في ماليزيا تحكي كلّها عن نوع خاصّ من العمارة. تُبنى بالخشب الصلب فوق أعمدة خشبيّة، وارتفاعها من متر إلى ثلاثة أمتار، يُستخدم الحيز الفارغ تحت السقف، الذي يتحرّك فيه الهواء بسهولة، لتخزين الأرز، والحب، وحفظ شبّاك الصيد، والحُصُر، وأدوات المطبخ (م. ن، ص. ن). تُبنى معظم البيوت أعلى من مستوى سطح الأرض، ويوضع في مدخل البيت سلّم للصعود، ويُستغنى عنه ليلاً (م. ن، ص. ن). البيت لدى المسلمين الماليزيّين، هو المكان الذي يعيشون فيه حياتهم الخاصّة، ويقيمون علاقاتهم الاجتماعيّة، ويحتفلون فيه بمراسم الزواج، وأعياد الميلاد، وفيه يهيّئون الجثامين للدفن في المقبرة.

في القرية بيت المختار يتضمّن إيواناً كبيراً، لإتاحة الجوّ المناسب للتباحث والتشاور حول القضايا المتعلّقة بالأهالي. معظم بيوت آسيا الجنوبيّة الشرقيّة مستطيلة الشكل، تُوسّع حين تزيد ثروات أفراد العائلة. العناصر

الفاصلة بين أجزاء البيت، تُلغى لتكبير المكان، وجعله مناسباً لإقامة مراسم الزواج. أهمّ الفوارق بين بيوت القرويين وبيت المختار أو رئيس القبيلة تكمن في أعمال الحفر والتنزيل في الإيوان وقاعة الرجال، وفي مقاييسهما. كان الطراز الأندونيسيّ في البيوت الماليزيّة ذا قواعد، ويمكن أن تكون فوق مقاعد ترابيّة. في البيوت المالويّة التقليديّة، من السائد الأرضيّات الترابيّة، لأنّ المالويين يعتقدون أنّ الطبخ فوق التراب أكثر أماناً، رُوِعت في بناء البيوت المالويّة في الحقة الإسلاميّة، حرمة العائلة وجناح الرجال منفصل عن جناح النساء (مُطلب، ص 25). يتألّف المنزل المالويّ من ثلاثة أجزاء محدّدة: (1) إيوان المدخل في مقدّمة المنزل ويُسمّى سرامبي²⁰⁵. (2) القسم الأوسط، الأعلى من مستوى سطح الأرض، يخصّص لأفراد العائلة المتزوّجين، وللضيوف المهمّين. (3) القسم المقفل في آخر البيت لبنات العائلة، يوصل عادةً إلى المطبخ أو ال دابور²⁰⁶ (كمر الدين محمّد علي، ص 265).

لم يبقَ من المنازل الماليزيّة القديمة آثار يُعتد بها باستثناء عدد من النماذج عائدة إلى الحقة الإسلاميّة، بما أنّ البيوت الماليزيّة من الخشب، سرعان ما يلحقها الخراب، وتحتاج كلّ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة إلى إعادة الإعمار والترميم. يعود أقدم البيوت القديمة الباقية إلى القرن الثالث عشر الهجريّ (<معجم الفن>، مج 20، ص 167). من أهمّ هذه البيوت يمكن أن نُشير إلى النماذج التالية: (1) بيت كامبونج بالوه²⁰⁷، في قرية تحمل الاسم نفسه، تحتوي على جميع الإمكانيات والوسائل اللازمة لحياة أيّ مسلم، من المهد إلى اللحد، بُنيت على الطراز المعماريّ الماليزيّ المحليّ، مع الفرق أنّ هذا البيت له صُفّة من الإيوان، هي مكان استقبال الضيوف، وإقامة المراسم والمناسبات الدينيّة. الأجزاء الأساسيّة في هذا البيت موادّها، من الألواح، وكذلك أرضيّة البيت، والجدران من صفحات البامبو. هذا البيت قليل النوافذ، وذلك عائد ربّما لمعتقدات صاحبه الدينيّة، وأهميّة حرمة الجناح الخصوصيّ لديه، فهو كان زعيماً دينيّاً.

(2) بيت جالي²⁰⁸، الواقع في قرية براك²⁰⁹ في منطقة كامبونج بارو²¹⁰. ميزة هذا البيت وجود خمسة ، وجدار واطيء وسنطوريّ مثلث الشكل في نهايته. حوّل بيت جالي اليوم إلى مُتحف، ويتألّف من أربعة أجزاء رئيسيّة: قاعة الرجال، والجناح الداخليّ، وغرفة مدخل النساء، والمطبخ. لهذا البيت

²⁰⁵ - Serambi

²⁰⁶ - Dapur

²⁰⁷ - Kampung Paloh

²⁰⁸ - Jail

²⁰⁹ - Perak

²¹⁰ - Kampung Bharu

ثلاثة مداخل: المدخل الرئيسي المتصل بإيوان ممتد على طول البيت، يتصل من أحد طرفيه بقاعة الرجال، والمدخل الثاني من خلال غرفة دخول النساء، التي هي أحد طرق دخول المنزل، والموضع الذي تتجمع فيه النساء أثناء الضيافة، كما يُستخدم المطبخ أيضًا مدخلًا خلفيًا. في الكثير من المناسبات يُستقبل الضيوف الرجال في قاعة الرجال، والضيفات في الجناح الداخلي. في هذا الجناح تجري معظم النشاطات العائلية، ويُسمى روما إيبو²¹¹. الجناح الداخلي هو المكوّن الأساسي للبيت، وموضع النوم الذي يستريح فيه أفراد العائلة، وهو الأكبر مساحةً بالنسبة إلى بقية أجزاء البيت، ويشكّل الحيز شبه الخصوصي من البيت. يُفصل الجناح الداخلي من البيت بجدار عن الإيوان. جمال هذا البيت يكمن في قاعته الرجالية، المسدّسة الزوايا النصفية، وسقفها منحدر على امتداد السطح المسوّى. جدران هذه القاعة مزخرفة بأكملها، ونوافذها العالية والمتوازية محفورة ومطعمة بإتقان. أنجز زخارف بيت جالي فنانون صينيّون، لهذا السبب هو متأثر بالعمارة الصينية.

(3) بيت توكانغ كاهار²¹²، الواقع في منطقة نغري سمبيلان²¹³، صاحبه كاهار بين سيك²¹⁴، الفنّان المعروف في منطقة كوالا بيلان²¹⁵، يضمّ فضلاً عن العناصر المكانية المتداولة، غرفة استراحة للنساء، وجناحاً في الوسط، يتميز كل قسم من الآخر بسبب الفرق في مستوى سطح الأرض. يقوم النساء في غرفة الاستراحة عادةً بالأشغال اليدوية كالحيّكة وغيرها. مواد البناء الأساسية وكسوة الأرضية من الألواح الكبيرة المسطحة. المدخل الرئيسي لهذا البيت باب خشبيّ واطيء، ذو مصراعين، صُنِع بطريقة العقد، من دون استخدام أيّ مسمار. فالمسامير المعدنية لم تُعرف في ماليزيا إلا في عصر الاستعمار (م. ن، ص. ن). جدران الإيوان وسقفه من الداخل كلها مزخرفة بالرسوم النباتية والحيوانية. أعمدة البيت الخمسة الظاهرة في الواجهة الأمامية، مزخرفة بالحفر والتزليل.

(4) بيت الشيخ عثمان جلال الدين، الذي هو حالياً مدرسة سكالابوندوك²¹⁶ الدينية، بُني في العام 1361هـ/1943م في وسط قرية بنانتى²¹⁷، بالقرب من منطقة بوكيت مرتاجام²¹⁸. هذا البيت الذي هو أيضاً مدرسة، يختلف عن سائر البيوت الماليزية التقليدية الأخرى، في أنّ أجنحته لا تتماز من بعضها. هذا البيت من ثلاث طبقات، وطبقته السفلة مؤلفة من إيوان طولي، ومن حيز

²¹¹ - Rumah ibu

²¹² - Tukang kahar

²¹³ - Negeri Sembilan

²¹⁴ - Kahar Bin Siak

²¹⁵ - Kuala pilah

²¹⁶ - Sekalah pondok

²¹⁷ - Penanty

²¹⁸ - Bukit Mertajam

للجلوس، وقاعة للرجال. الطبقة الثانية مؤلفة من إيوان طولي، وقاعة للرجال، وغرفة نوم، والجزء الخاص من المنزل.

من البيوت الماليزية القديمة الأخرى، بيت بوان ميلا²¹⁹ بالقرب من مدينة جيسين، وبيت ديتوغمباحاجي²²⁰ محمّد زكريّا في غامبونج كبون لادا²²¹، ودكّان- بيت حاجي محمّد كايا²²² في جّلان بندر، الذي يعود تاريخه إلى أكثر من ثمانين سنة.

المصادر والمراجع: فضلاً عن معلومات المؤلف الشخصية؛ محمود مسائلي، ماليزيا، طهران، وزارة الخارجية، مكتب الدراسات السياسية والدولية، 1372ش [1993م]؛

/محمّد تاج الدين/

أندونيسيا. تدلّ المغاور ذات الرسوم، وأطلال المباني الحجرية والطوبية، التي يعود تاريخها إلى حقبة من عشرة إلى اثني عشر ألف سنة في أندونيسيا، تدل على الاستقرار الدائم في العصور المختلفة في هذه البلاد (← ميكسيك²²³، 2001م، ص 10-11). يُعدّ البيت في أندونيسيا مركز الحياة العائلية والاجتماعية، وأكثر من ذلك هو الذي يمنح قوّة الحياة، والعلائق بعلم النباتات، بحيث أنّ هنالك أجزاء خاصّة من البيت، تحسب موضع دخول القوى الما فوق الطبيعية (فورشه²²⁴، ص 85-86؛ أيضاً ← دافيزون²²⁵، ص 18-19). في بعض نواحي أندونيسيا مثل جنوبيّ سولاويزي²²⁶، يتمّ اختيار الموضع الذي سيبنى فيه البيت خلال مراسم خاصّة (واترسون²²⁷، 2001م، ص [20])، وفي بناء البيت على أساس عادة المساعدة المتبادلة (غوتونغ رويونغ²²⁸)، يتشارك الأقارب والجيران في أعمال البناء (فورشه، ص 86).

تعكس العمارة الأندونيسية، ومن ضمنها بناء البيوت التنوّع الثقافيّ والميراث التاريخيّ الغنيّ لتلك الديار. المراحل المختلفة لهذه العمارة على أساس التنظيم التاريخيّ على النحو التالي: الأسلوب المعماريّ المحليّ الأثريّ، الميراث الكلاسيكيّ، العمارة الإسلامية، والطراز الهولنديّ، والطراز الهنديّ الجديد، والطراز الأندوسيّ في العمارة الجديدة (تجاجونو²²⁹ ودافيزون، ص [6-7]).

²¹⁹ - Puan milah

²²⁰ - Dato Gempa Haji Mohamad Zakaria

²²¹ - Kampong Kebun Lada

²²² - Kaya

²²³ - Miksic

²²⁴ - Forshee

²²⁵ - Davison

²²⁶ - Sulawesi

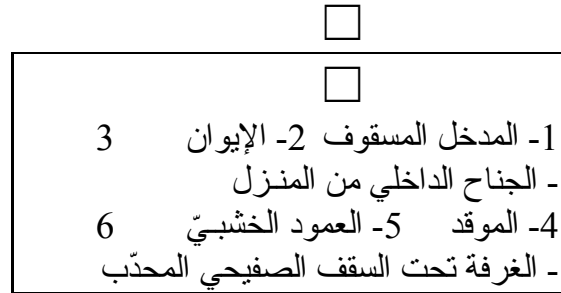
²²⁷ - Waterson

²²⁸ - Goton royong

²²⁹ - Tiahjono

بسبب الظروف المناخية في المنطقة والرطوبة الزائدة، البيوت- التي يُبنى معظمها بالمواد المحلية كالخشب وألياف الأشجار المحلية- قصيرة العمر (فورشه، م. ن، ص. ن؛ دومينغ²³⁰، ص [16])؛ لذلك ليس في المتناول الكثير من النماذج القديمة، ولا يعود تاريخ أقدم المباني إلى أكثر من 1500 سنة. بناء على الكتابات المحفورة على اللوحات الحجرية في المعابد، العائدة إلى القرن التاسع الميلادي في جاوه المركزية، يُلاحظ الكثير من وجوه الشبه بين عمارة ذلك الزمان، وبين البيوت المحلية المعاصرة (تجاجونو ودافيزون، ص [6]).

تنتشر البيوت الأندونيسية التقليدية المبنية بهذه الطرق، أو مزيج منها، في جميع أنحاء آسيا الجنوبية الشرقية، وهناك قواسم مشتركة بينها، كالأعمدة الخشبية، والأرضية والطبقة السكنية الأعلى من مستوى الأرض، والسقف المحدب النافر، والزوايا الثلاث (← م. ن، ص. ن؛ فورشه، ص 88).



أنموذجان من هيكل بيت تقليدي في أندونيسيا

الألواح الخشبية أو الركائز، تحت المبنى، وفي معظم الأحيان تُثبت فوق مصاطب حجرية (← وريومارتونو²³¹، ص 31؛ واترسون، 2001م، ص 40 ، الصورة). السطح الذي يُركَّب على الألواح الخشبية، وله أهمية كبيرة في بناء البيوت في أندونيسيا (واترسون، 2001م^{الف}، ص 13)، يُعمل من الخشب وألياف النباتات المجذولة، وفي بعض المناطق من القرميد الأحمر أو البرتقالي. في بعض المناطق مثل مادورا²³²، وميناء كاباؤو²³³، يضعون قرن الجاموس على قمة السقف الحادة والنافرة (فورشه، ص 96؛ 2001م^ب، ص 21؛ غيل²³⁴ ، ص 112- 113، الصورة؛ للاطلاع على أنواع السقوف ← تجاجونو ودافيزون، ص [8]؛ واترسون، 2001م^ب، م. ن، ص. ن). الجدران في المناطق القروية من الألواح، وفي بعض القرى البيوت لا جدران لها، يضعون مكان الجدران ستائر حصيرية أو قصبية. في المدن جدران البيوت آجيرية وعلى

²³⁰ - Domenig

²³¹ - Wiryomartono

²³² - Madura

²³³ - Minang kabau

²³⁴ - Gill

الطراز الهولنديّ (واترسون، 2001م²³⁵، ص 20؛ جرمين²³⁶ وخوس²³⁷، ص 25؛ شفولد²³⁷، ص 29، الصورة؛ فورشه، ص 86).

في معظم النواحي الأندونيسية، بسبب الرطوبة الزائدة، وأيضاً احتمال حدوث السيول، تُبنى البيوت أرفع من مستوى سطح الأرض (فورشه، م. ن، ص. ن)، ممّا يُسرّع ضمناً عبور مجرى الهواء تحت الأرضية، وتجفيفها. من البديهيّ، أن يوضع أمام مداخل هذا النوع من البيوت درج أو سلم خشبيّ من بضع درجات (← وريومارتونو، م. ن، ص. ن). على الرّغم من أنّ العمارة الإسلامية في البداية خضعت بشدّة لتأثير التقاليد المعماريّة الأندونيسية الكلاسيكية (تجاجونو ودافيزون، ص [7])، إنّما تُلاحظ أيضاً تجديدات في مداخل البيوت. من ذلك أنّ مصراعيّ الباب وساكفه، مزينة بعناصر زخرفيّة متنوّعة كالمزهريّات الصغيرة، والورود المزخرفة (ميكسيك، 2001م^{الف}، ص 87، الصورة).

تتألّف البيوت بشكل عامّ من حيّز مكانيّ تحت السطح، والطبقة السكنيّة، وما تحت الأرضيّة، للحيوانات وعلفها (فورشه، ص 88؛ أيضاً ← وريومارتونو، م. ن، ص. ن).

في بيوت الطبقة المتوسطة في جاوه، تُوزّع أقسام البيت الثلاثة على النحو التالي: المحوّطة الواسعة أمام البيت وتتضمّن كوخاً [الاجيق]، لاستقبال الضيوف ومصطبة للجلوس، تُسمّى بندوبو²³⁸ أو بندابا²³⁹.

العنصر الثاني الذي هو أصغر العناصر البنائيّة في المنزل، هو المنتزه والتحويلة المربعة المسقوفة، والمسمّاة برينغتان²⁴⁰. هذا العنصر وظيفته أن يكون صلة الوصل بالمبنى الأساسيّ

²³⁵ - Germain

²³⁶ - Goes

²³⁷ - Schefold

²³⁸ - Pendopo

²³⁹ - Pendapa

²⁴⁰ - Pringgitan

Nami
Buçaq

Dalem ageng
Kamaruddin Mohamed Ali
Dayak
Kalimantan
Borneo
Uma dalog
Amin
Meunasah
Surau
Ruang
Anjuang
Dapur
Austronesian
Bale/balai
Tikar
Timor
Rumah adapt
Rumah sehat
Passchier
Siregar
Sukada
Gardner
Veronica Ions
Brenda Smith

Arnold
 Sensort
 “Styles of houses in ancient Egypt”
 John D. Hoag
 Henry Martin
 Petherbridge
 Hidenobu Jinnai
 Ettinghausen
 Grabar
 Lewcock
 Andre Raymond
 Gaston Wiet
 Sims
 Gourbi
 Santelli
 Matamata
 Garian
 Fontaine
 Gresser
 Petherbridge
 Bulla Regia
 Kib
 Maamra
 Tell
 Zaghuan
 Medjerda
 Bizerte
 Dems
 Domus
 Kabyles
 Chénini
 Friable
 Saadaoui
 Revault
 Abdelkafi
 Roberto Berardi
 Kbu
 Korbendau
 De Amicis
 Leared
 Wilbaux
 Tahiri
 Kafas
 Patio
 Mourad
 Njoku
 Pavilion
 William lempriere
 Paul Lambert
 André Bazzana
 Ghacham-Benkirane
 Saharoff
 El Kalaâ M’gouna
 Sub-Sahran
 New encyclopedia of Africa
 Bantu
 Azania
 The commerce and navigation the Erythraean Sea
 Raphtha
 Fitzpatrick
 Swahili
 Devisse
 Jenne/jeno

Walata/Oualata
Indian Ladies House
Battle
Steel
Lamu
Beddaw
Mombasa
Petherbridge
Wihelmine
The Dictionary of art
Elmina
Savanna
Opening
Trade winds
Afar
Falasha
Oromo
Dinka
Encyclopedia of Africa peoples
Asante
Madagascar
Hausa
Dogon
Bourdier
Yoruba
Benin
Langley
Lagos
Abuja
Cape Town
Johannesburg
Messaoud
Lusaka
Nouakchott
Kumasi
Ochieng